ة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

مجلة ٣٧



العدد السابع والثلاثون ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مجلة



العدد السابع والثلاثون ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م


بسم الله الرحمن الرحیم

هيئة التحرير

دلالة السلاح في أدب الحرب

محاولة في دراسة شعر الفرزدق

الدكتور نوري حمودي القيسي

عميد كلية الآداب ـ جامعة بغداد

للحرب في الشعر العربي حديث طويل توزعت مفرداتها في معظم أغراضه وتناثرت دلالاتها في كثير من القصائد التي تبتعد أحيانا في اغراضها عن الحرب ولكنها تعطي هذا الجانب من خلال التأكيد عليها جانبا قد يفوق في مفرداته ما تمنحه الاغراض الاخرى بعد أن أصبحت الحياة العربية ميدانا فسيحا لاداء مهمة صعبة ومواجهة حاسمة لتأكيد الرسالة التي حملتها الامة باخلاص والتزمت بأدائها امانة ووفاء . حتى توزعت مفردات الحرب على الشعر بشكل يثير الدهشة وخاصة عند الشعراء الذين كانوا قريبين عصرا من حركة التحرير التي وجدت في هذه المفردات صورة جلية لدورها في التعبير وتعبيرا حيا عن ترسيخ روح التواصل التي تمنح الابناء قدرة التجديد وتثير فيهم نوازع التوثيب وتهيىء لهم المناخ الملائم لبقاء روح المقاومة والجهاد وسيلة من وسائل التحفيز ومن الطبيعي ان تكون دراسة المفردات التي تلتصق بالحرب وتحليل بعض مضامينها ودراسة الصور البلاغية التي تقدمها واحصاء النماذج التي تحيط بها هذه المفردات والدلالات المترتبة على المعاني التي تؤديها بداية لمحاولة أخرى في هذا الجانب الذي لا يقف عند الحدود المرسومة ولا يقتصر على القصائد الشعرية التي تناولتها قصائد الحرب لأن الاغراض الشعرية الأخرى كانت تستمد

من هذه المفردات صيغ المديح التي تضفي على الممدوح صفة التقدير وتبعث في نفسه روح الاعتزاز وتحمله على ان يكون في منزلة لا تقل عن أية منزلة يتمتع بها قائد متميز أو أمير من امراء الجند أو فارس من فرسان المعارك ٠

واذا كانت صيغ المديح قد سلكت هـذا المسلك فان قصائد الرثاء والهجاء قد سارت في هذا التوجه لانها كانت تستمد معانيها من الصور ذاتها التي يمكن ان تؤدي المهمة نفسها في حدود الأغراض التي ترد فيها وقد اعطت هذه الخصائص لمفردات الحرب امتدادا واسعا في الاستعمال وتركت لها حرية العطـاء في كل موقع من مواقع الشعر العربي بعـد ان ارتبطت بروح الجهـاد وصفة الشجاعة وقـدرة المقاومة واتصلت بالقيم البطولية التي أصبحت لوحة كبيرة من لوحات الحياة المألوفة في الشعر العام لحياة العرب وهي تتوارث القيم الخيرة وتحيي خصائص التضحية والمروءة والخير ٠ ولابد ان ترافق هذه الرحلة واجهة شعرية تتحرك فيها هذه القيم على وفق المقاييس التي يمكن أن تؤديها في كل باب من أبواب الاحيـاء ٠

وان هذا التوجه في دراسة الشعر الأموي ترسم الخط الموازي لحركة التحرير وفي نطاق الحياة الداخلية للدولة وهي تجد في هذه المفردات التي لا تفارق الأغراض الشعرية تأكيدا للروح التي تستمد منها جيوش التحرير مادتهـا الأساسية وتتمكن من الحفـاظ عليها في كـل جانب من جوانب المواجهة ٠٠ وتؤكد بدايات هذه المحاولات أن الصورة الشعرية التي عاشت في الذاكرة العربية كانت تحمـل من هـذه المفردات ما يوازي أو يفـوق ما تحمله قصائد الحماسة أحيانا وفي محاولة أولية لدراسة شعر الفرزدق وجدت ان انتشار هذه المفردات قد غير الصورة التي علقت في ذهن الكثيرين ممن درسوا شعر الحرب بعد أن وجدت أعدادا هائلة من مفردات الحرب قد تناثرت في قصائده ولونت شعره وزينت أغراضه ٠

السلاح في شعر الفرزدق

لم يكن الحديث عن السلاح جديدا في الشعر العربي بعد أن شهدت مجاميع شعر الحماسة أحاديث طويلة عن مواقف الفرسان وبطولاتهم وهم يسجلون روائع التضحية ويخوضون أعنف المعارك وانساحت مواكب المحررين من الجزيرة ليمسحوا عن وجوه الناس قتامة البؤس وذل العبودية واذا كانت قصائد الحماسة قد أخذت هذا البعد لأنها تعد حديث الحرب جزءً من غرضها واوصاف السلاح جانبا من اهتمامها فان هناك دواوين الشعراء التي بقيت بعيدة عن هذا الاهتمام خارجة عن دائرة الاعتناء لأنها لم تقع في اطار هذا الاختصاص . وان الشعراء لم يتحدثوا عن السلاح بمعزل عن الاغراض التي كانوا يقفون فيها على خصائص الاغراض المطلوبة وانهم لم يكونوا من رجال الحرب الذين خاضوا غمراتها أو أسهموا فيها وقد وجدت وانا اتابع دواوين الشعراء ان أحاديث طويلة عن السلاح قد توزعت في دواوين هؤلاء الشعراء حتى اخذت مساحة لا بأس بها وهي تظهر حالة من التوثب وتضخ صورا من البطولات التي تبقي جذوة الحماسة متقدة وعناصر الدفاع حية وصلة الشعر الحربي متواصلة في الحياة . ولابد لمثل هذه الاتجاهات أن تبرز في دراسة أو تجمع في تحليل أو توحد في أطار كتاب يعطي لهذا الجانب أهميته ..

والفرزدق الذي عرف بمواقفه ومنزلته الشعرية باعتباره من الطبقة الاولى من شعراء العصر الأموي واحد من اولئك الذين آثرت ان اتحدث عنهم لاترك للآخرين هذا الباب مفتوحا لمن يريد ولوجه ويحاول تحقيقه ..

فمفردة السيف تأتي في ديوان الفرزدق أكثر من مائة وتسعين مرة ولا يقتصر ذكرها على غرض وانما تتوزع في أغراض شعره واكثر المواقع ورودا تأتي في حديث المديح والفخر وتختلف دلالات الاستشهاد بها بحسب

المعاني التي يروم اليها الشاعر ولكنها تؤكد صفة [القطع] في حالة الانتخاء في الحرب وتستخدم (الذكور القواطع)(١) ، أو (السيوف الصوارم) فالممدوحون يعادون بالسيوف الصوارم أيام المحن(٢) . والصبر محكوم بها(٣) وصدورها لا تنبو(٤) والظهور تكون اتراساً عندها(٥) يلاذ بها(٦) وتفك القيود بعزمها(٧) ولا يدفع الجور الا بقدرتها(٨) وتشق جفون الهندي اعناقها(٩) ويكون الرد بها(١٠) وتجلى حمم الوجوه بشدتها(١١) ويظل الحساب بانضائها(١٢) والصوارم لها اثارها(١٣) وفي أيدي الرجال لها اقتدارها(١٤) وتقترن مفردة السيف بالفعل [سل] ومشتقاته .

فالسيوف تسل يوم المنية والحمام(١٥) وبوجه الظالمين وقت

---

(١) الفرزدق ــ الديوان ١/٤٢٠ ، ٢/٣٣٢ ، ٢/٢١ ، ٢/١٩٦ ، ١/٢١٨ ، ٢٢٣ ، ١/٤٠٧ ، ٤١٧ .
(٢) الفرزدق ــ الديوان ٢/٢١٧ .
(٣) الفرزدق ــ الديوان ٢/٢٢٥ .
(٤) ن.م. ٢/٢٣٣ .
(٥) ن.م. ٢/٢٤٥ .
(٦) ن.م. ٢/٢٧٣ .
(٧) ن.م. ٢/٢٨٢ .
(٨) ن.م. ٢/٣٠٠ .
(٩) ن.م. ٢/٣٠٢ .
(١٠) ن.م. ٢/٢١١ .
(١١) ن.م. ٢/٣١٢ .
(١٢) ن.م. ٢/٣١١ .
(١٣) ن.م. / ٣٣٩ .
(١٤) ن.م. / ٣٦٨ .
(١٥) ن.م. ٢/٢٨٩ .

الحرب(١٦) وأيام الفتح(١٧) وهي حالة يجد فيها الشعراء مناقب فخر لهم(١٨) · لانهـا لا تجـد من واق(١٩) وحـين تستل يكـون بشـيرها الممدوح(٢٠) الذي يمري سيفه المسلول(٢١) وتأتي المفردة مضافة اعتزازا ببطولة المضـاف اليـه واعترافا بشهرته في المعـارك الحاسـمة فسيف غالب(٢٢) وسيف ابن ظالم(٢٣) وسيف بلال(٢٤) وسيف بني عبس(٢٥) واسياف مازن(٢٦) وسيف ابن احور(٢٧) وسيف بني المهلب(٢٨) وسيف بني تميم(٢٩) وسيف مسلمة(٣٠) وسيف أبي بكر وطلحة(٣١) لها ايامها في الوقائع التي يستشهد بها الشاعر لانها تحز كل معصم ويفرج الله بها كرب كل مظلمة وتذل لها القصور والقلاع والرقاب وتقتحم المدن وتضاف مفردة السيف عند الشاعر الى لفظ الجلالة تعظيما للموصوف وايمـانا

---

(١٦) ن·م· ٢/٣٠١ ·

(١٨) ن·م· ٢/٣٣٦ ، ٢٢٦ في ٢/٢٠٦ ·

(١٧) ن·م· ٢/٣٣١ ·

(١٩) ن·م· ٢/٥ ·

(٢٠) ن·م· / ٢٥٤ ·

(٢١) ن·م· ٢/٢٣٧ وتنظر الصفحات / ١٢ ، ٢١ ، ٥٨ ، ٢/٢٣٢ ·

(٢٢) ن·م· ١/٢٨ ·

(٢٣) ن·م· ١/٤٤ ·

(٢٤) ن·م· ١/٦٩ ·

(٢٥) ن·م· ١/١٥٧ ·

(٢٦) ن·م· ١/١٨١ ·

(٢٧) ن·م· ١/١٥٨ ·

(٢٨) ن·م· ١/٣٠٧ ·

(٢٩) ن·م· ١/٣١٤ ، ٢/٤٧ ·

(٣٠) ن·م· ٢/٢٥٢ ·

(٣١) ن·م· ٢/٢٥٤ ·

بقدرته على المنازلة وتوثيقا لدوره في المعركة وتحقيق النصر المؤزر(٣٢) وتضاف المفردة احيانا الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى الخلفاء(٣٣) وممدوح الشاعر يجرد لخصومه سيف الجهاد(٣٤) ٠

ويستلهم الشاعر من الوقائع التاريخية بعض استشهاداته مدللا على اعتزازه بممدوحيه فسيف آل مروان لاقى الرسول صلوات الله عليه به بنى النضر في بدر وهو ابيض مصقول(٣٥) ويقتصر الشاعر أحيانا على صفة (البيض) دون ذكر الموصوف لشهرتها ووضوحها ، وممدوحوه شدوا أمرهم بأبيض ثاقب(٣٦) أو صارم البارقات البيض تلمع في كتائب قومه(٣٧) والشاعر ينزل حيث التفت في الذرى البيض المناجيب(٣٨) ولا تنجي اصحاب الخنادق ما يستترون به اذا تسل البيض من اغمادها(٣٩) والبيض بأيمان المغيرة تجرح(٤٠) ويهد الأيام الأبيض ذو الاثر(٤١) والشاعر ابيض صارم يبدي الصقال وقعه(٤٢) والحكم للأبيض الصارم(٤٣) وشيبان تقاتل بكل أبيض مخذم(٤٤) ويجدع انف الخطوم

---

(٣٢) ن٠م٠ تنظر الصفحات ١/٢٤ ، ٧١ ، ٢١٣ ، ٢٣١ ، ٢/٤٢ ، ٢/١٢٢ ، ٢/١٣٧ ، ٢/٣٥٣ ٠

(٣٣) ن٠م٠ ٢/١٢٣ ٠

(٣٤) ن٠م٠ ٢/١٣٨ ٠

(٣٥) ن٠م٠ ١/١٨٩ ، ٢/٩٢ ، ٢/٣٥٣ ٠

(٣٦) ن٠م٠ ١/٢٨ ، ٢/٥٦ ٠

(٣٧) ن٠م٠ ١/٤٠ ٠

(٣٨) ن٠م٠م١/٧٠ ٠

(٣٩) ١/١١٢ ٠

(٤٠) ن٠م٠ ١/١٢٦ ٠

(٤١) ن٠م٠ ١/٢٠٢ ٠

(٤٢) ن٠م٠ ٢/٢١٥ ٠

(٤٣) ن٠م٠ ٢/٢٢٢ ٠

(٤٤) ن٠م٠ ٢/٢٢٨ ٠

بالراسنيات البيض(٤٥) .

وتأخذ مفردة الهندي حالة الافراد والاضافة الى السيف في حديث الشاعر لما يثيره دفع المفردة من احساس بالقوة والشدة والقطع في نفوس المقاتلين . ولهذا كان يضرب المثل بوقعها(٤٦) والهندوانيات يفري حديدها(٤٧) وسيوف الهند تقطع نياط القلائد(٤٨) وتعض الرقاب بالمصلتات الهند(٤٩) وصفيح الهند لا تبالي المغامر(٥٠) ويصرع الكمي المقنع بهندية بيض(٥١) والهندوانيات لا تترك غير الشراذم(٥٢) وتقطع الصفيح(٥٣) . وقد تنبو ظباتها ولكنها أحيانا تقطع مناط التمائم(٥٤) والفرسان يتقلدون السيوف الهندية(٥٥) وبالهندوانيات يبلى البلاء الخشن(٥٦) .

وتأخذ المشرفية صفة الحدة والمضاء في حديث الشاعر ويبدو ان كل مفردة من مفردات السيف كانت لها دلالة تقترن بحالة الاداء المطلوب وتتوافق مع الغرض الذي يرمي اليه الشاعر عند الاستخدام . فالاجتلاد

---

(٤٥) ن٠م٠ ٢/٣١٥ .
(٤٦) ن٠م٠ ١/٢٠ .
(٤٧) ن٠م٠ ١/١٥١ .
(٤٨) ن٠م٠ ١/١٥٧ .
(٤٩) ن٠م٠ ١/١٧٧ .
(٥٠) ن٠م٠ ٢/٣١٤ .
(٥١) ن٠م٠ ١/٣٩٩ .
(٥٢) ن٠م٠ ٢/٢٤٦ .
(٥٣) ن٠م٠ ٢/٢٧٠ .
(٥٤) ن٠م٠ ٢/٣١٤ .
(٥٥) ن٠م٠ ١/٣٠٦ .
(٥٦) ن٠م٠ ١/٣١٣ .

بالمشرفية فيه الموت والحرب في اللقاء(٥٧) وبها تذل الصعاب(٥٨) . ويعرف حقها اذا اشتدت الحرب(٥٩) وتستقيد للمدوح رقاب الخصوم بها(٦٠) والحجاج مشرفي يرمي العدو به(٦١) .

وتتوزع مفردة السيف في ثنايا الديوان وهي توحي بمواقع القوة وحالات الجلد والمقارعة فالحجاج سيف تجذ به الجماجم والرقابا(٦٢) وخالد بن الوليد سيف على المرتدين(٦٣) والممدوح والسيف اسلام لمن كفر(٦٤) وحنيفة افنت بالسيوف أعداءها(٦٥) والطوال الشم يضربون بالسيف رأس المتوج(٦٦) وبالسيوف تصدع هام الجماجم(٦٧) والممدوح خلى بالسيف هامة خصومه(٦٨) وبالسيوف ترتقي الاسوار(٦٩) والمحاربون سيوف تشظى جمجمات المفارق(٧٠) والصيد من الابناء يبنون بالسيوف امجادهم(٧١) وتحمى المكارم بسيوف الابناء اذا علا صوت الظبات(٧٢)

---

(٥٧) ن٠م٠ ٩٢/١ .
(٥٨) ن٠م٠ ١٧١/١ .
(٥٩) ن٠م٠ ٢٢٤/١ .
(٦٠) ن٠م٠ ٢٣١/١ .
(٦١) ن٠م٠ ٣٤٩/١ .
(٦٢) ن٠م٠ ٨٢/١ .
(٦٣) ن٠م٠ ٣٥٠/١ .
(٦٤) ن٠م٠ ٣٤٣/١ .
(٦٥) ن٠م٠ ١١٩/١ .
(٦٦) ن٠م٠ ١٢٠/١ .
(٦٧) ن٠م٠ ٣١٠/٢ .
(٦٨) ن٠م٠ ٣٨/١ .
(٦٩) ن٠م٠ ٣٨/١ .
(٧٠) ن٠م٠ ٤٢/٢ .
(٧١) ن٠م٠ ٣٠٦/١ .
(٧٢) ن٠م٠ ٣٠٦/١ .

وكتائب الموت تحجب بالسيوف(٧٣) والسيوف تمد بأيديها لتضرب المهزمين اذا لم تجد فرصة للطعن(٧٤) وتفسح عن بني مروان ضيق المقام(٧٥) وتعرف وقعها الابطال(٧٦) وهي معاقل(٧٧) وهي تقد ما بين الانف الى تحت الشراسيف(٧٨) ومجدها تحمى الظهور(٧٩) وبه يقتل كبش القوم(٨٠) وبه يتم الفتح اذا التقت الخيل دروبها(٨١) ويصدع به جبين ذي التاج ذلا(٨٢) ولا يصلح الثغر الا الفصاحة الذكر(٨٣) وبشر بن مروان سيف يصول به أمير المؤمنين(٨٤) وعمر بن عبدالله كانت يداه يدا سيفا يعاذ به من العدو(٨٥) وظلت سيوف الزغل بن عردة الجرمي عمائم هامات الملوك من البطارقة(٨٦) وبنو دارم يحمون النساء اذا اخترطت السيوف(٨٧) واذا عاد حامل السيف منعوه تحت لوائهم(٨٨) ويعتز الفارس اذا احتفظ بحسامي سيفه وحمائله(٨٩) وتجرد السيوف لاخذ

---

(٧٣) ن٠م٠ ١/٧١ ٠
(٧٤) ن٠م٠ ١/٧٣ ٠
(٧٥) ن٠م٠ ١/٧٩ ٠
(٧٦) ن٠م٠ ١/٧٩ ٠
(٧٧) ن٠م٠ ١/٧٧ ٠
(٧٨) ن٠م٠ ١/١٥٧ ٠
(٧٩) ن٠م٠ ١/٣٦٨ ٠
(٨٠) ن٠م٠ ١/٢٣٦ ٠
(٨١) ن٠م٠ ١/٢٥٨ ٠
(٨٢) ن٠م٠ ٢/١٧٦ ٠
(٨٣) ن٠م٠ ٣/٢٧٧ ، ٢٩١ ٠
(٨٤) ن٠م٠ ١/٢٣١ ٠
(٨٥) ن٠م٠ ٢/٢٣٦ ٠
(٨٦) ن٠م٠ ٢/٥١ ٠
(٨٧) ن٠م٠ ٢/١٥٥ ، ٢٨٩ ٠
(٨٨) ن٠م٠ ٢/١٧١ ٠
(٨٩) ن٠م٠ ٢/١٧٣ ٠

الثأر(٩٠) وتكون المنازلة بالسيف(٩١) ٠

ولمفردة السيف عند الهجاء صور أخرى للاستعمال تتمثل في اغماد السيوف(٩٢) وعدم اشهارها أو استلالها(٩٣) ٠ أما الرثاء فله صور أخرى فالشاعر يبكي كل سيف قاطع من أبناء قومه(٩٤) وتواري اللحود صدر المصقول اليماني أو مضاربه(٩٥) ولولا الذي للأرض لم تقلل بالسيوف حرابها(٩٦) ويأسف من يموت من أبناء قومه من الذين يضربون بالسيوف رأس كل مخالف(٩٧) ويمدح المرء بالصبر تحت السيوف(٩٨) والمرثى سيف ينتقم به من الموالي(٩٩) ٠

وممدوح الشاعر يشتري وينهي بالسيف افضل ما غلا(١٠٠) وتجلي السيوف عشا الابصار(١٠١) والغشاوة وأبناء قومه سيوف جلا الاطباع عنها صقالها(١٠٢) وابن منظور حسام جلا الاصداء عنهـا صاقله(١٠٣) واصـاب الشاعر سـيوف اذا الاغمـاد القيت عنها كان صقالها لهامات

---

(٩٠) ن٠م٠ ٣١٥/١ ٠
(٩١) ن٠م٠ ٢٥٧/٢ ٠
(٩٢) ن٠م٠ ٢٣٨/١ ٠
(٩٣) ن٠م٠ ٣١٠/١ ، ١٧٥/٢ ٠
(٩٤) ن٠م٠ ٣٩٤/١ ٠
(٩٥) ن٠م٠ ٣٤٢/٢ ، ٣٤٣ ٠
(٩٦) ن٠م٠ ٣٤٩/٢ ٠
(٩٧) ن٠م٠ ٦/١ ٠
(٩٨) ن٠م٠ ٣١١/١ ٠
(٩٩) ن٠م٠ ١٩١/٢ ٠
(١٠٠) ن٠م٠ ٥١/١ ، ٢٧٦ ، ١١٩/٢ ٠
(١٠١) ن٠م٠ ٣١٣/١ ، ٣٠٢/٢ ٠
(١٠٢) ن٠م٠ ٧٥/٢ ، ١٣٤/٢ ٠
(١٠٣) ن٠م٠ ١٠٥/٢ ٠

الرجال(١٠٤) وقوم نصر بن سيار سيوف اذا جردت لكتيبة لمعوا(١٠٥) ٠

ويجلي الممدوح بسيفه وجوها علتها الغبرة وتعلو السيوف كأنها مصابيح واستلال السيوف نجوم لامعة(١٠٦) ٠

وتأتي مفردة السيف في بعض صور الشاعر لتؤدي معنى مجازياً فتميم تستظل بالسيوف(١٠٧) واعناق الأبل تشبه بالسيوف(١٠٧) في امتدادها اذا تقدد عنها ستر النيل(١٠٨) والسيف يفيض دما(١٠٩) ويستعاد حد الحسام للغراب(١١٠) وبنو أمية سيوف لم تضعف(١١١) والسيوف تلوي بالخدود اذا انحنت(١١٢) وبنو مروان اسياف غضاب(١١٣) ويمزق الغمد على نصل السيف(١١٤) والسيوف مخاريق بأيدي الفرسان(١١٥) وتشبه الناقة بجفن السيف(١١٦) وتفدى السيوف التي تفي في المعركة(١١٧) والسيوف تلوي الدروع(١١٨) وتأتي صيغة السيف في الحديث عن الاباء(١١٩) ٠

---

(١٠٤) ن٠م٠ ٢/١٠٦ ٠
(١٠٥) ن٠م٠ ١/٤١٢ ٠
(١٠٦) ن٠م٠ ١/١١١ ، ٣٦٧ ، وتنظر ١/٧٥ و ٢/١٠٧ ٠
(١٠٧) ن٠م٠ / ١١٤ ٠
(١٠٨) ن٠م٠ ١/١٤٣ ٠
(١٠٩) ن٠م٠ ٢/٢٧٩ ٠
(١١٠) ن٠م٠ ٢/١٤٢ ٠
(١١١) ن٠م٠ ٢/١٢٤ ٠
(١١٢) ن٠م٠ ٢/١٣٠ ٠
(١١٣) ن٠م٠ ١/٢٢ ٠
(١١٤) ن٠م٠ ٢/١٩٠ ٠
(١١٥) ن٠م٠ ٢/٥١ ٠
(١١٦) ن٠م٠ ٢/١٦ ٠
(١١٧) ن٠م٠ ٢/٣١٠ ٠
(١١٨) ن٠م٠ ١/٣٢١ ٠
(١١٩) ن٠م٠ ١/٢٨٩ ٠

ويأتي ذكر الرمح أكثر من مائة مرة موزعة مفرداتها بحسب كثرتها بين (الرمح) و (القنا) و (العوالي) و (الأسنة) ونذكر أحيانا (بالردينيات) أو (الازاني)(١) أو (الوشيج المقوم) أو (الاسمر الذابل) وفي كل مفردة من هذه المفردات تتجلى بعض الخصائص التي تأتي من خلالها المفردة فالرماح رواعف(٢) وهي مخضبة في حومة الوغى يخوض المصاليت بها المنايا(٣) وتغادر الرؤساء وهي تمج نجيعاً من دم الجوف احمرا(٤) ويقترن ذكرها في هذه المواضع بالطعن ايغالا في عمق الضربة(٥) وتأتي اللفظة اشارة الى سعة الجراح ومدى تأثيرها لتؤكد قدرة الفرسان على حسن استخدامها ومعرفة مواضع تأثيرها ومقاتلها التي لا تتيح فرصة للمهزوم ان يجد طريقه ويكثر ورودها في النحر ولحالات تشبيه الطعن صور كثيرة يمكن الرجوع اليها من خلال الاشارات(٦) والفارس المتمكن هو الطاعن النجلاء التي تهدر حين يتدفق الدم من قوة الضربة ليروى الاسنة(٧) والرماح تسقي عطاش المنايا وهي تتوالى رماحا وراء رماح بدفعات متتالية(٨) واهتزاز الرماح يعني اشتداد أوار المعركة(٩) والمنايا تحوم فوق الرماح(١٠) وتروى بالاكف اذا ارعشت أيدي الآخرين(١١)

---

(١) نسبة الى سيف بن ذي يزن .

(٢) ديوان الفرزدق ٢/٢١ .

(٣) ن·م· ١/٧٤ .

(٤) ن·م· ١/١٩٥ .

(٥) ن·م· ٢/١٥ .

(٦) ن·م· ٢/٤٧ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ٣٤١ .

(٧) ن·م· ١/١٠٦ ، ٢/٣٣٩ .

(٨) ن·م· ٢/٧٥ .

(٩) ن·م· ١/٥٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ .

(١٠) ن·م· ١/٣٩٩ .

(١١) ن·م· ٢/٥٤ .

وهي تصيب الخصوم(١٢) والحكم لها(١٣) وحين تشتد الوقائع تصبح الرماح مثل حبال البئر(١٤) وتوصف الرماح بالطول لتكون اقدر على اصابة المهزوم(١٥) وتنفي عنهــا صــفة القصــر والرماح الشوارع تبقى مشهورة لتدل على التهيؤ والانقضاض(١٦) وبالرماح تحمى الارض ويحمى الحمى(١٧) ويشقى بها كل مبتدع دينا يحيد عن الفرقان والسنن(١٨) وبها تبنى الامجاد(١٩) وتأتي لفظة الرمح في معان أخــرى(٢٠) وتركيز الرمح يشير الى الترقب والتهيؤ والحراسة(٢١) وتذكر عبارة صــدور الرماح في بعض المواقف لتشير الى الهيبة والفداء(٢٢) .

ويستخدم الشاعر (القنـــا) ليدفع بها شر الأعداء ويفنيهم(٢٣) ويترك الخصوم شراذما(٢٤) وينزل الضرب والطعن بهــم(٢٥) وترادف مفردة القنا الخيل ففي اشتداد المعارك تختلط وقع القنا بحمحمة الخيل العتاق(٢٦) والخيل والقنا تكون حصونا يلاذ بها(٢٧) وتكون الحــرب

---

(١٢) ن٠م٠ ١/٤٢٦ .

(١٣) ن٠م٠ ١/٤٢٠ .

(١٤) ن٠م٠ ١/٤٢٠ .

(١٥) ن٠م٠ ١/١٠٤ ، ٢/٢٢ .

(١٦) ن٠م٠ ٢/٢٧١ .

(١٧) ن٠م٠ ٢/٢١٩ و ٢/٣٣٦ .

(١٨) ن٠م٠ ٢/٣٤٠ .

(١٩) ن٠م٠ ٢/٣٤٥ .

(٢٠) ن٠م٠ ١/١٤٩ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢١ .

(٢١) ن٠م٠ ٢/٢٤ ، ٣٤٩ .

(٢٢) ن٠م ١/٣٧٠ ، ٣٧٤ .

(٢٣) ن٠م٠ ١/١١٩ ، ٣٧٤ .

(٢٤) ن٠م٠ ١/١٥١ ، ٢/٢٤٦ .

(٢٥) ن٠م٠ ١/١٢٦ .

(٢٦) ن٠م٠ ٢/٢٥٤ .

(٢٧) ن٠م٠ ٢/٢٧٣ .

ضروسا اذا تلاقت الخيل بالقنا(٢٨) وتقاتل الخيل بالقنا اذا لم ينتـه الخصوم من خصومتهم(٢٩) واهتزاز القنا يكون عند دعوة الداعي باعتباره علامة من علامات التهيؤ والمنازلة والاشهار(٣٠) واذا شرعت القنا تحتدم المعارك(٣١) ويكون الكر بالقنا يوم النزال(٣٢) وفوارس قومه يحامون عن الحريم اذا اشتجرت القنا(٣٣) وتنشب الرماح النواحر في الوقائع الحماسة(٣٤) وتحل النذور بالقنا(٣٥) وتجريد الحرب يكون بالقنا(٣٦) وفي الرثاء يشار الى القنا رمزا الى شجاعة المرثي واعترافا بقـــدرته على الطعان(٣٧) والممدوح يروي شعب المنايا بالقنا الهندي(٣٨) والمضاء للقنا الهندي وشدة طعانه(٣٩) والمساعير في الوغى لهم بالقنا الهندي ايد طوال الاشاجع(٤٠) وفي الفخر يأتي ذكر القنا والسيوف(٤١) ٠

اما الاسنة فالطعان بها وتروى حين تكون الطعنة نجلاء وهي تخضب بالدم(٤٢) ويقترن الموت بذكر الاسنة(٤٣) وللاسنة لمعان النجوم حين يعلو

---

(٢٨) ن٠م٠ ١/٢٥٨ ٠

(٢٩) ن٠م٠ ١/٣٢٣ ، ٢/١٦٣

(٣٠) ن٠م٠ ١/٤٠٠ ، ٢/٣٠١ ٠

(٣١) ن٠م٠ ١/٢٤٠ ٠

(٣٢) ن٠م٠ ١٣٠ ٠

(٣٣) ن٠م٠ ١/٢٦٠ ٠

(٣٤) ن٠م٠ ١/٣١٦ ، ٣٢٣ ٠

(٣٥) ن٠م٠ ١٠/١١١ ٠

(٣٦) ن٠م٠ ٢/١٢٠ ٠

(٣٧) ن٠م٠ ١/١٢٢ ، ٢٩٥ ٠

(٣٨) ن٠م٠ ١/٣٠٣ ٠

(٣٩) ن٠م٠ ١/٣٢١ ٠

(٤٠) ن٠م٠ ١/٤١٢ ٠

(٤١) ن٠م٠ ٢/٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ٠

(٤٢) ن٠م٠ ١/٢٣٨ ، ٢/١٠٦ ، ٢/٢٠٢ ٠

(٤٣) ن٠م٠ ١/٣٩٧ ، ٣٩٩ ٠

غبار المعارك ويتكاثف غبارها وتحجب الشمس اذا اشتدت أيام المعارك استعرت كحد السنان(٤٤) وللاسنة وقعها في المعارك(٤٥) واسنة الابطال تحسم ايام اللقاء(٤٦) واطراف العوالي تخضب بالدم(٤٧) واذا هـزت انهلت(٤٨) وهز العوالي اشارة الى استثارة العزائم(٤٩) وبها يفـرق انصار الخصوم(٥٠) وتجلى الغشاوة(٥١) وحـين تلتقي الايادي تهتز العوالي لتلتقي بالعوالي(٥٢) وتسـتعار العوالي للاثافي وايقـاد نار الحـرب(٥٣) ويستظل بالعوالي كمـا يستظل بالرماح والسيوف(٥٤) وصدور العوالي تحـول دون الاستجابة لنداء الداعي وتقع في ظهـور المهزومين(٥٥) ٠

وتصير الردينيات برودا على قتلى قومه وتوصف الأزاني بانهـا تقطع العروق وتسيل الدماء واذا هز الوشيج المقوم تخشى صولته(٥٦) ٠

---

(٤٤) ن٠م٠ ١/٣٥٠ ، ٢/١٢٨ ٠

(٤٥) ن٠م٠ ١/٢٥٤ ٠

(٤٦) ن٠م٠ ٢/١٦٧ وتنظر الصفحات ١/٢٤٠ في ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٤١٧ ، ٢/١٢٩ ، ١٦٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ٠

(٤٧) ن٠م٠ ٢/٢٢٠ ٠

(٤٨) ن٠م ٢/٣٢٧ ٠

(٤٩) ن٠م٠ ١/٣٤٢ ٠

(٥٠) ن٠م٠ ١/٣٧ ٠

(٥١) ن٠م ١/٣١٣ ٠

(٥٢) ن٠م٠ ٢/٣٥٣ ٠

(٥٣) ن٠م ٢/٣٠ ٠

(٥٤) ن٠م٠ ٢/٣٥٥ ٠

(٥٥) ن٠م٠ ١/٣٦٩ في ٤٢٠ ٠

(٥٦) ن٠م٠ ١/٣٩٤ ، ٢/٢٩ ، ١٣٠ ، ١٨٩ ٠

وتأخذ الدروع حصتها في حديث الفرزدق وتتوزع اوصافه على قصائده في اغراض الفخر المديح والرثاء لما تقدمه من فوائد وهي تقي الفارس من الضربات حين البأس وتحميه من سيوف الخصوم وقد وجد في الدروع السابغة (الطويلة) التي تغطي الاظفار صورة للحديث لما تتميز به من أسباب الوقاية وتوفره من حالات المحافظة وتتركه من ثقة في نفوس المقاتلين وهم يتدرعون بها ويدفعون عن أنفسهم سيوف الخصوم ورماحهم(١) ٠

ومن الطبيعي ان تصبح الادراع اصنافا تتوافق واداءها وتناسب الدور الذي تؤديه وهي تحافظ على الدارعين والخصائص التي تتميز بها (فالماذي) تعرف بليونتها وقدرتها على المقاومة لانها تصنع من الجلود ولكن هذا لا يحول دون آثار الصدأ الذي تتركه فوق جلود المقاتلين لتواصل لبسهم لها وهي خصيصة من خصائص الفرسان(٣) ومن مفاخر الفرسان أن سيوفهم تجز حلق الماذي عن كل معصم(٤) ولم تكن الدروع الماذية وحدها تصنع من الجلود وانما الدروع اليمانية كذلك(٥) وتبقى قوة الفارس ملازمة لقدرته على فصم حلق الدروع لان ذلك يعني وصول الضربة الى الجسد وتعرية الفارس من سلاح يقيه به جسده وانكشافه امام خصمه(٦) وللدلاص المتماسكة الحلقات المتظاهرة في السك صورة عند المقاتلين(٧) وقد وجد الشعراء في هذه الاجساد الصلبة ميدانا للحديث عن

---

(١) ن٠م٠ ١/٢٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣٢١ ، ٣٩٥ ، ٤١٢ ، ٢/١٥٧ ، ٢/٣٢٧ ٠
(٢) ن٠م٠ ١/٢٥ ، ٨٢ ، ٢/٢٥٤ ٠
(٣) ن٠م٠ ١/١٥٩ ، ١٧١ ٠
(٤) ن٠م٠ ٢/٢٥٤ ٠
(٥) ن٠م٠ ١/٤٠ ٠
(٦) ن٠م٠ ١/٣٠٦ ، ٣٢١ ٠
(٧) ن٠م٠ ١/٢٠٦ ٠

الفرسان وهم يميسون في دروعهم متعجبين بها ، مفاخرين الآخرين بأسهم معتدّين بما يمتلكونه من اعتزاز بقدراتهم في المنازلة ومصاولتهم في المواجهة(٨) واصبح الاقرار بالماذي والتسربل به دلالة من دلالات الشجاعة التي لا تقاوم(٩) ٠

واذا كثرت الدروع في كتيبة لمعت حلقاتها فغشيت الابصار(١٠) وتأتي مقارنة الشاعر بين الدارع ـ اذا كان عليه درع ـ ، والحاسر (الذي لم يكن عليه درع) ، مجالاً للحديث عن المعارك(١١) والضربة الشديدة تفلق هام الدارعين(١٢) ٠

ومن رموز استخدام الدرع الاشارة الى دروع سليمان عليه السلام لما عرفت به من قوة وامتدت اليه من شهرة(١٣) ٠ وكثرة الدروع في الكتايب تحمل الشعراء على تشبيهها بالجراد في الكثرة والانتشار والحركة(١٤) وتعرف بعض الدروع بتسبتها لمن يعملها مثل الحطيمة(١٥) أو التي تتكسر عليها السيوف لصلابتها أو الثقيلة العريضة التي ترد عن دارعها سيوف الخصوم اما الفلعية فهي التي تنسب الى معدن ينسب اليه الرصاص الجيد الذي تتخذ منه حلق الدروع(١٦) وتذكر المفردة في حالات الحديث عن الفرسان والمقاتلين وهم يتحركون الوفا الوفا وهم يرتدون

---

(٨) ن٠م٠ ١/١٥٠ ٠
(٩) ن٠م٠ ١/٢٣١ ، ٢/٣٢٨ ٠
(١٠) ن٠م٠ ١/٢٥٨ ٠
(١١) ن٠م٠ ١/١٩٥ ٠
(١٢) ن٠م٠ ١/٢٢٧ ٠
(١٣) ن٠م٠ ١/٢٨١ ٠
(١٤) ن٠م٠ ١/٢٤٣ ٠
(١٥) ن٠م٠ ٢/١٧٣ ٠
(١٦) ن٠م٠ ١/٨٢ ٠

الدروع أو يلبسونها(١٧) ويقف على الدروع القصيرة التي تسمى الابدان(١٨) ٠

وللكتائب في حديث الشاعر مساحة كبيرة لانها تدل على الكثرة وتوحي بمفاخر الافذاذ لما تثيره في نفوس الخصوم وتبثه من الرعب وهي تتحرك بجندها ومقاتليها وقد حاول الشاعر أن يضفي على هذه الكتائب الصفات العظيمة التي يطغى عليها بياض الحديد وصفاؤه فكانت الكتيبة الشهباء اوسع المفردات انتشارا بعد النفع منها أكثر من خمس وعشرين مرة في ديوانه وهو في كل صورة من صور الشهباء يحدد صفة من صفات هذه الكتائب ففيها للمنايا مناكب(١٩) وتغشى الناظرين(٢٠) وبيرق بيضها(٢١) قادتها صناديد(٢٢) راسخة كركن شهلان(٢٣) وتأتي مفردة الكتائب مجردة ولكنها كالليل(٢٤) واذا تحركت خرت لها الجن سجدا(٢٥) وتدوس الخصوم(٢٦) وتطاعن(٢٧) ومن شدة غيظها تبدو اضراسها(٢٨) وتجلى ظلمة الفتن(٢٩) ويعبر عنها بالململة أو الململومة وهي اشارة الى

---

(١٧) ن٠م٠ ١/٢١ ، ٢/٣٢ ، ٢/١٧٣ ٠
(١٨) ن٠م٠ ٢/٣٢٨ ٠
(١٩) ن٠م٠ ١/٥٦ ٠
(٢٠) نن٠م٠ ١/٥٨ ، ٢٥٨ ٠
(٢١) ن٠م٠ ١/٦٤ ٠
(٢٢) ن٠م٠ ٢/٣٦ ٠
(٢٣) ن٠م٠ ٢/٣٤٠ وتنظر الصفحات/٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢/٤٢ ، ٢/٢٥٣ ٠
(٢٤) ن٠م٠ / ٤٠ ٠
(٢٥) ن٠م / ١٤٥ ٠
(٢٦) ن٠م٠ / ١٥٨ ٠
(٢٧) ن٠م٠ / ٣٢٣ ٠
(٢٨) ن٠م٠ / ٢٥٨ ٠
(٢٩) ن٠م٠ ٢/٣٤٠ ٠

كثافة حديدها واجتماع رجالها ويؤكد الشاعر هذه المعاني وهو يشير اليها ويوفر الى ثقلها(٣٠) ويكنى عنها احيانا بلبس الحديد على الحديد(٣١) ويصفها احيانا بالخضر ولعله يشير الى ما اجتمع عليها من صدأ وسواد(٣٢) ولا ينسى بطولة أبناء قومه الذين يكثرون الضرب اذا الكتائب احجمت(٣٣) وتأتي اشارة الى كتائب الشباب وهي دلالة واضحة الى قوة رجالها وشدتهم(٣٤) ٠

ويشير الشاعر الى البيض (الخوذ) لأنها مما كان يتخذه المقاتل وقاية له وحماية من وقع المشرفي على الرأس مباشرة ولكن ذكرها يأتي قليلا ويغلب عليها ان تذكر من باب الحديث عن الفخر ولهذا فالاشارة اليها من باب لبسها وتأكيد جودتها وتحديد موقعها فهي فوق الرأس(٣٥) أو تحت العمائم(٣٦) ويقترن ذكرها ببقية انواع الاسلحة فتذكر مع القنا(٣٧) أو يكنى عنها بذات الحبائك وتذكر مع الدرع السابغة(٣٨) ومن خصائص مديح الانسان انهم يضربون القوانس(٣٩) أو الضاربون الكبش يبرق بيضه(٤٠) ٠ اما يوم البأس فتقيهم اذا ركبوا(٤١) ويشار اليها بقوانس

---

(٣٠) ن٠م٠ ١/٧٣ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٣٠ ، ٢/١٠٤ ٠

(٣١) ن٠م٠ ٢/٢٢٨ ٠

(٣٢) ن٠م٠ ١/٢٥٤ ٠

(٣٣) ن٠م٠ ٢/١٦١ ٠

(٣٤) ن٠م٠ ١/٤٨ ٠

(٣٥) ن٠م٠ ١/٢٠٦ ٠

(٣٦) ن٠م٠ ٢/٣١٢ ٠

(٣٧) ن٠م٠ ١/٣٤٠ ٠

(٣٨) ن٠م٠ ١/٢٨١ ، ١/٣٠٧ ٠

(٣٩) ن٠م٠ ٢/٧١ ٠

(٤٠) ن٠م٠ ٢/٢٨٩ ٠

(٤١) ن٠م٠ ٢/٣٢٨ ٠

الابدان احيانا(٤٢) وينعتها الشاعر بصفح الهند فوق رؤوسهم وهي تشبه مصابيح الليل ولا تبالي بالمغفر(٤٣) ويأتي ذكر بيضة الدارع من باب الاستعارة لمن صلع ولم يبق الا القليل من شعره(٤٤) .

ومن مستلزمات الحديث عن السلاح والجيش والكتائب ان يأتي الحديث عن اللواء والراية لانها شعار المقاتلين ودليل القوة التي تتحرك وصورة الكثرة التي تجد في هذه الرموز عتها وهي تخفق فوق الرؤوس وكرامتها وهي تظلل حماتها . وتشبيه الراية بالطير صورة قديمة وقعت عليها في حديث مستقل ولأن خفقانها واضطرابها وهي مرتفعة تشبه أجنحة الطير وهي تخفق وتصطفق . ويبدو ان هذه الحركة هي التي حملت الذين وجدوا صورة هذا التشبيه بالعقاب ان يفسروا ذلك بانها كانت تحمل صورة العقاب ، وان اللواء كانت ترسم صورة العقاب .. لقد سميت الراية بذلك لما فسرنا به حركتها وفي أبيات الاعشى وهو يصف يوم ذي قار فيقول(١) :

كفوا اذ اتى الهامرز تخفق فوقه

كظل العقاب اذ هوت فتدلت

ويقول عبيد بن الابرص يصف الجيش(٢) :

بمعضل لجب كأن عقابه

في رأس خرص طائر يتقلب

---

(١) الاعشى ، الديوان .

(٤٢) ن.م. ٢/٣٤٤ .

(٤٣) ن.م. ١/٢٤٢ .

(٤٤) ن.م. ٢/٣٥٢ .

(٢) عبيد بن الابرص . الديوان / ١٥ .

والطفيل الغنوي يقدم الصورة نفسها فيقول(٣) :

فما برحوا حتى رأوا في ديارهم
لواء كظل الطائر المتقلب

ويأتي عنترة على الصورة فيقول(٤) :

كتائب تزجى فوق كل كتيبة
لواء كظل الطائر المتقلب

ويكررها في موقف آخر فيقول(٥) :

كتائب شهبا فوق كل كتيبة
لواء كظل الطائر المتصرف

ان هذه الاشارات تؤكد ما ذهبنا اليه في تفسيرنا لما ذهبت اليه بعض التأويلات في تسمية الراية أو اللواء بالعقاب وقد اصبح العقاب اسما للراية واللواء وهو ما بدأنا نراه واضحا في نماذج في الشعر التي اعقبت فترة الادب بعد الاسلام . والفرزدق يذهب هذا المذهب في أوصافه وتشبيهاته حتى يعتبر الرايات طيورا فوق رؤوس المقاتلين(٦) ويتسع في أجزاء الصورة فيجعل الرايات حول الألوية طيورا حوائم في السماء تدور(٧) واذا بدت الرايات فوق الخميس كانت كأنها كواسر العقبان(٨) ويلازم الفعل خفق هذه الصورة في كثير من التشبيهات فاذا خفقت العقاب (الراية) ترى الناس يسعون اليهم هربا من نار الحرب(٩) وجنود الشام

---

(٣) الطفيل الثنوي . الديوان / ١٣ .
(٤) عنترة . الديوان .
(٥) عنترة .
(٦) الفرزدق . الديوان ١/٢٥ ، ٥٨ .
(٧) ن.م. ١/٢٩٨ .
(٨) ن.م. ٢/٣٤٤ .
(٩) ن.م. ١/٦٤ .

تتقدم وفوقها تخفق الرايات كالطير حين ترتفع(١٠) وكأن بني مجاشع تحت الخوافق اسد هواصر(١١) ويمدح آل المهلب بانهم يدنون خوافق من خوافق لتلتقي في كل يوم تثار فيه الحرب(١٢) ولقومه يومان منها يوم في ظلال الخوافق(١٣) ويكنى عن الرايات بخرق الملوك ولكنها تقترن بالفعل يخفق تأكيدا لما ذهب اليه في أوصافه المتقدمة(١٤) ويؤشر لون الراية باللون الأحمر وربما جاءت الصورة لتظهر بطش الممدوح بخصومه(١٥) وأمواج المقاتلين ترتفع فوقهم الرايات(١٦) .

وللواء صورة تقارب الراية وتختلط بها أحيانا فارتفاعه يستعار للرفعة والسمو بحيث تقصر عنه العيون(١٧) وتحت اللواء يستعذب الاستشهاد اكراما له وابقاء لرفعته(١٨) وللواء دلالات كثيرة لانه يرفع في مناسبات ويبقى أصحابه لهم الفضل في رفعه لقوم الشاعر كان لهم لواء المربد ويجد الشاعر في هذه الحقيقة كرامة واعتزازا حتى يفخر بها(١٩) واللواء يرفع على رمح يقاتل به صاحبه اذا وجد نفسه مضطرا للقتال(٢٠) ومن هنا كانت (حمال الوية) صفة من الصفات التي يمدح بها المرء(٢١)

---

(١٠) ن٠م ١/١١٢ .
(١١) ن٠م٠ ١/٢١٦ .
(١٢) ن٠م٠ ١/٣٠٥ .
(١٣) ن٠م٠ ٢/٥٤ .
(١٤) ن٠م٠ ٢/١٥٥ .
(١٥) ن٠م٠ ١/٢٥ .
(١٦) ن٠م٠ ١/٢٣٤ .
(١٧) ن٠م٠ ١/٢٩٧ .
(١٨) ن٠م٠ ١/٤٧ ، ٢/٢٧ ، ٢/١٧١ .
(١٩) ن٠م٠ ١/١٧٣ .
(٢٠) ن٠م٠ ١/١٠ .
(٢١) ن٠م٠ ١/٣١١ . ٤١٣ .

ولواء المؤمنين منصور(٢٢) واذا فزع القوم هزوا لواءهم اعرابا عن الخطر واشارة الى بداية المنازلة(٢٣) ٠

اما مفردة الحرب في الديوان فيقف عندها الشاعر أكثر من خمسين مرة وتقترن بعض هذه الألفاظ بالنار فنـار الحرب لا يخبو شهابها(١) واذا الحرب العوان تضرمت(٢) واذا ما الحرب شب ضرامها(٣) ويصطلي في الحرب نارا(٤) واثافي الحرب تغلي قدورها(٥) ونار الحرب ونيرانها(٦) هي التي تصطخب اواراً وتلتهب اشتعالا وهي صور تؤكد شدتها وتثير سعارها وتقترن بما تحمله وتبعثه اذا جاشت ولفح هجيرها(٧) واذا كانت النار قد اخذت هذه الصورة في التأثير فان الشقاء والخيانة والمنايا اخذت جوانب أخرى وهي تمتد الى كل مسلك من مسالكها وتتسرب الى كل لون من ألوانها فواجعها(٨) اذا تكشفت(٩) أو فل نابها(١٠) أو بدا قتامها(١١) أو شمرت عن ساقها(١٢) فالحرب لا تؤمن(١٣) لأن الانسان يصبح شلواً

(٢٢) ن٠م٠ ١/٢٩٨ ٠
(٢٣) ن٠م٠ ٢/١٦٩ ٠
(١) ن٠م٠ ٢/٣٤٩ ٠
(٢) ن٠م٠ ٢/٢٤١ ، ٣٤٢ ٠
(٣) ن٠م٠ ٢/٢٤١ ٠
(٤) ن٠م٠ ١/٧٥ ٠
(٥) ن٠م٠ ١/٢٥٨ ٠
(٦) ن٠م٠ تنظر الصفحات ١/٥١ ، ١/٩٢ ، ٢/٤٥٩ ، ٢/١٢٠ ٠
(٧) ن٠م٠ ١/٥٦ ، ١/٧٣ ، ٢٣٥ ٠
(٨) ن٠م٠ ١/٧٥ ، ٢٢٤ ، ٢/١٣٠ ، ٢٩٤ ٠
(٩) ن٠م٠
(١٠) ن٠م٠ ١/٥٨ ٠
(١١) ن٠م٠ ٢/٢٤١ ٠
(١٢) ن٠م٠ ٢/٣٠١ ٠
(١٣) ن٠م٠ ٢/٣٣٣ ٠

عنهـا(١٤) اذا شهرت سيوفهـا وعضت نيابها(١٥) ولم تمنع من حمـاة يدفعون بلاءها ويطفئون نارها · ويبقى أخو الحرب وبنو الحرب اوجها من وجوهها عند الشاعر(١٦) فيها تصبح وجوه الأبطال كالحة(١٧) حتى تقطع القلوب والافئدة(١٨) ·

اما رحى الحرب فهي صورة متوارثة تعاود عليها الشعراء لما تلمسوه فيها من طحن وسحق وقد وجد فيها الشاعر صورة موروثة أضاف اليها من قدرته ما جعلها تأتي متوافقة والاحداث التي شبهها بها(١٩) · ومن باب الاحاطة الشاملة بجوانب السلاح والاستقصاء الشامل لصورتها كانت أحاديث الشاعر تمتد من خلالها الى الحديث عن الأبطال والصناديد والقتلى وذكر الملحمة التي تعني الصورة بالمفردات وتلونها بالمعطيات التي تجعلها أكثر تدفقا واعمق اثارة ·

---

(١٤) ن·م· ٣٢٢/٢ ·
(١٥) ن·م· ٣٠١/٢ ، ٣٥٠ ·
(١٦) ن·م· ١٥/٢ ، ٣٣ ، ٣٢٧ ٥٦/١، ١٥٤ ·
(١٧) ن·م· ٣١١/١ ·
(١٨) ن·م· ١٨١/٢ وتنظر الصفحات ٢٣٤/١ ، ٧٠ ، ٣٣ ، ٩٢ ، ٨٢ ، ١٣٤ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ · ١٢٢/٢ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ، ٢٢٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ·
(١٩) ٢٢٣/١ ، ٣١٣ ، ٧٣/٢ ·

فالابطال يعرف وقع سيوفهم(١) وجوههم في الحرب كالحة(٢) ورحى الابطـال تدور في حومة الوغى(٣) واذا شمرت الحـرب كانوا مصاليت أبطالا(٤) وكيف تصنع أيدي الفرسان بالابطال(٥) واذا التقت الابطال أبصرت وجه وكيع مضيئا واعناق الكماة خاضعة(٦) وتظهـر المكارم يوم تنازل الابطال(٧) ومن الخصائص التي يمدح بهـا اقتحام الابطال(٨) والضرب فوق جماجمهم(٩) ٠

وحدق الابطال تبدو مصبوغة بالزعفران والعندم حين تشتد المعارك لهول ما يقع فيها(١٠) ٠

ويأتي الشاعر على ذكر الملحمة في خمسة مواضع يؤكد فيها شدتها ويوم بؤسها التي تزيد المرء اقترابا من اجله(١١) ويشير الى الوقائع التي تكسرت فيها القنا حتى ترك فيها عند اللقاء ملاحما دارت على خصـومه رحى المنايا(١٢) وبنو حنيفة ينتمون الى أبيهم في يوم الملحمة والصبر(١٣) وبلال بن أبي بردة ممدوح الشاعر اذا استل سيفه للملحمة فاز فيها واخذ

---

(١) ن٠م٠ ٧٩ ٠
(٢) ن٠م٠ ١/٣١١ ، ٢/٢١١ ٠
(٣) ن٠م٠ ١/٣١٣ ٠
(٤) ن٠م٠ ١/٣٢٣ ٠
(٥) ن٠م٠ ١/٣٤٢ ٠
(٦) ن٠م٠ ١/٤٠٩ ٠
(٧) ن٠م٠ ٢/١٦٨ ٠
(٨) ن٠م٠ ٢/٢١٠ ٠
(٩) ن٠م٠ ٢/٢٣٨ ٠
(١٠) ن٠م٠ ٢/٢٧٩ ٠
(١١) ن٠م٠ ١/٨٢ ٠
(١٢) ن٠م٠ ١/١١٥ وتنظر ١/٢٣٥ ٠
(١٣) ن٠م٠ ١/٣٥٠ ٠

حق(١٤) وتتوالى مفردات يوم الروع(١٥) والغمرات(١٦) وأخو غمرات(١٧) ويوم الكريهة(١٨) والوغى(١٩) وحومة الوغى(٢٠) والقتال(٢١) والمعلمين(٢٢) والجيش الجرار(٢٣) ٠

ان هذه المحاولة التي جردت المفردات وحاولت ان تدرسها من خلال المواقع التي استخدمت فيها استطاعت ان تقدم صورة لطريقة استخدام الافعال والفروق التي يمكن ان تتضح من خلال كل موقع للمفردة والفعل الذي تسبق فيه ٠ ولابد ان يخرج الدارس منها بتصور عام يعطي الأدب العربي جودة فيها ألوان جديدة وتقدير يختلف عن الصورة التي لازمته وهو ينحصر في أطار ودائرة ضيقة ويدور في حلقات بقي يعاني من ضيقها مدة من الزمن وان هذه لمحاولة تفتح الطريق أمام الدراسات الأدبية لتأخذ هذا المنحى وصولا الى الصيغة التي تضع الأدب العربي في الموضع المناسب وسأحاول متابعة امثال هذه الدراسة في دواوين أخرى لتكتمل الصورة أمام الدارسين ليعيدوا النظر في المقولات التي ظلت تنحت في البناء الشعري العربي ٠

---

(١٤) ن٠م٠ ٢/١٠٦ ٠
(١٥) ن٠م٠ ١/١٢ ، ١٨ ، ٦٩ ، ٢/٣٣٥ ، ٣٣٦ ٠
(١٦) ن٠م٠ ١/١٠٢ ، ١٧٨ ، ٣١٥ ، ٤٢٠ ، ٢٠/٦٠ ، ١٢٨ ، ٢/٢٥٤ ٠
(١٧) ن٠م٠ ١/٥٦ ، ٢٣٩ ٠
(١٨) ن٠م٠ ٢/١٢٣ ٠
(١٩) ن٠م٠ ٢/٢١ ، ١٣٠ ٠
(٢٠) ن٠م٠ ١/٧٤ ، ٣١٣ ٠
(٢١) ن٠م٠ ١/٧٩ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٧٨ ٠
(٢٢) ن٠م٠ ١/١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢/٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٣٢٠ ٠
(٢٣) ن٠م٠ ١/١٤٥ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٣٠٥ ، ٣٤٢ ، ٢/١٧٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ٠

ظاهرة « القطع » في العربية

الدكتور فاضل صالح السامرائي

استاذ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

في العربية ظاهرة جديرة بالالتفات اليها وهي ظاهرة (القطع) ونعني بها مغايرة النعت للمنعوت في الاعراب وذلك بأن يكون المنعوت مرفوعا ونعته منصوبا وقد يكون المنعوت منصوبا ونعته مرفوعا وقد يكون مجرورا فيقع نعته مرفوعا أو منصوبا نحو (مررت بمحمد الكريمُ أو الكريمَ) .

ويقع القطع في النعت كثيرا وقد يقع أيضا في العطف نحو قوله تعالى « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء ـ البقرة ١٧٧ » فعطف بالنصب على المرفوع ومثله قوله تعالى « والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ـ النساء ١٦٢ » فعطف بالنصب على المرفوع .

وقد اختفت هذه الظاهرة من التعبير منذ زمن بعيد .

ويستعمل القطع لأداء معنى لا يتم بالاتباع فهو يلفت نظر السامع الى النعت المقطوع ويثير انتباهه وليس كذلك الاتباع وذلك ان الاصل في النعت أن يتبع المنعوت فاذا خالفت بينهما نبهت الذهن وحركته الى شيء غير معتاد فهو كاللافتة أو المصباح الأحمر في الطريق يثير انتباهك ويدعوك الى التعرف على سبب وضعه .

فهذا التعبير يراد به لفت النظر واثارة الانتباه على الصفة المقطوعة وهو يدل على ان اتصاف الموصوف بهذه الصفة بلغ حداً يثير الانتباه .

جاء في (حاشية يس على التصريح) : « قال السعد في حواشي

الكشاف : فان قلت : ما وجه دلالة مثل هذا النصب أو الرفع على ما يقصد به من مدح أو ذم أو ترحم ؟

قلت : ان في الافتنان لمخالفة الاعراب وغير المألوف زيادة تنبيه وايقاظ للسامع وتحريك من رغبته في الاستماع سيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ فانه أدل دليل على الاهتمام »(١) .

وجاء في (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) في قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) : « قال أبو علي : اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ... الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تعبير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سنن السلوك ينبىء عن اهتمام جديد شأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب »(٢) .

وجاء في (معترك الاقران) : « قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها . قال الفارسي : اذا تكررت صفات في معرض المدح أو الذم فالأحسن ان يخالف في اعرابها لأن المقام يقتضي الاطناب ، فاذا خولف في الاعراب كان المقصود أكمل لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا »(٣) .

وذكر الفراء أن العرب تقصد بمخالفة الصفة للموصوف في الحركة أن تجدد له وصفا جديدا غير متبع لأوله . جاء في (معاني القرآن) : « والعرب تعترض من صفات الواحد اذا تطاولت بالمدح أو الذم فيرفعون

---

(١) حاشية يس على التصريح ١١٧/٢ .
(٢) ارشاد العقل السليم .
(٣) معترك الاقران ٣٥٤/١ وانظر التفسير الكبير للرازي ٤٩/٥ ، البرهان ٤٤٦/٢ .

اذا كان الاسم رفعا وينصبون بعض المدح فكأنهم ينوون اخراج المنصوب بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام ...

وقال بعض الشعراء :

الى الملك القرم وابن الهمام
وليثَ الكتيبة في المزدحم

وذا الرأي حين تغم الامور
بذات الصليل وذات اللجم

فنصب (ليث الكتيبة) و (ذا الرأي) على المدح والاسم قبلهما مخفوض »(٤) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى انك اذا قطعت فانك تعني أن المخاطب يعلم من اتصاف الموصوف بهذه الصفة ما يعلمه المتكلم فان القطع يدل على أن الموصوف مشتهر بهذه الصفة معلوم بها عند السامع كما عند المتكلم ولست تريد أن تعلمه بها . فاذا قلت (مررت بمحمد الكريمَ) كان المعنى : مررت بمحمد المعروف بالكرم المشتهر به بخلاف قولك (مررت بمحمد الكريمِ) فانك قد تريد بذلك ان تميزه عن غيره وتبينه به . فالقطع لا يكون الا اذا كان الموصوف مشتهرا بالصفة معلوما بها حقيقة أو ادّعاء أي تدعي أنه مشهور بهذه الصفة فاذا مدحته بالقطع ادّعيت انه معروف بهذه الصفة مشتهر بها فيكون أمدح له . واذا ذممته كنت ادّعيت انه مشهور بهذه الخصلة الذميمة معلوم بها ، فانك اذا قلت (مررت بخالد الدنيءَ) لم ترد أن تعلم المخاطب بأن خالدا دنيء لأن المخاطب لا يجهل ذلك وانما اردت ذكره بأمر يعلمه كل أحد فيكون أهجى

---

(٤) معاني القرآن ١/١٠٥ .

له واذم ، قال تعالى « وامرأته حمالةَ الحطب ـ المسد ٤ » فنصب لأنه لم يرد أن يخبر بأمر مجهول وانما ذكرها بأمر مشهور يعرفه كل أحد اضافة الى الذم بصيغة المبالغة فهو ذمها بصيغة المبالغة أولا ثم بالقطع بأن جعل هذا أمراً معلوما لا يخفى على أحد .

ولهذا اذا كانت الصفة لقصد التوضيح والتبيين وتمييز الموصوف من غيره لا يصح قطعها « اذ لا قطع مع الحاجة » فالموصوف اذا احتاج الى مائة صفة ليتميز من غيره لم يصح قطع واحدة منها . قال ابن مالك :

وان نعوت كثرت وقد تلت
مفتقراً لذكرهن أتبعت

وذلك كأن تقول (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب) فانك اذا أردت أن تميزه من ثلاثة آخرين كل واحد اسمه محمد أحدهم تاجر شاعر والثاني تاجر كاتب والثالث شاعر كاتب كان عليك أن تميز الآخر منهم بقولك (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب) فانك اذا حذفت اية صفة التبس بمحمد آخر ، ففي نحو هذا لا يجوز القطع لأن هذه الصفات لقصد تمييزه من غيره . فان كانت له صفة أخرى مشهورا بها معلومة للمخاطبين كأن يكون فقيها جاز لك القطع على قصد أنه معلوم بها فتقول (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب الفقيهُ) فتتبع النعوت الاولى وجوبا ويجوز في النعت الآخر القطع . جاء في (التصريح) : « وان لم يعرف مسمى المنعوت الا بمجموعها وجب اتباعها كلها للمنعوت لتنزيلها منزلة الشيء الواحد واليه اشار الناظم بقوله :

وان نعوت كثرت وقد تلت
مفتقراً لذكرهن أتبعت

وذلك كقولهم (مررت بزيد التاجر الفقيه الكاتب) اذا كان زيد هذا

الموصوف بهذه الصفات يشاركه في اسمه ثلاثة من الناس اسم كل واحد منهم زيد وأحدهم تاجر كاتب والآخر تاجر فقيه والآخر فقيه كاتب فلا يتعين زيد الأول من الأخيرين الا بالنعوت الثلاثة فيجب اتباعها كلها .

وان تعين ببعضها جاز فيما عدا ذلك البعض الذي تعين به الأوجه الثلاثة الاتباع والقطع الى الرفع أو الى النصب أو الجمع بينهما بشرط تقديم المتبع على الأصح .

واذا كان المنعوت نكرة تعين في الأول من نعوته الاتباع لأجل التخصيص بخلاف ما اذا كان معرفة فانه غني عن التخصيص وجاز في الباقي من نعوته القطع عن المتبوع »(٥) .

فالقطع انما يكون للدلالة على ان الموصوف مشهور بالصفة المقطوعة جاء في (شرح الرضي على الكافية) : « اعلم ان جواز القطع مشروط بأن لا يكون النعت للتأكيد نحو امس الدابر ...

والشرط الآخر ان يعلم السامع من اتصاف المنعوت بذلك النعت ما يعلمه المتكلم لأنه ان لم يعلم فالمنعوت محتاج الى ذلك النعت ليبينه ويميزه ولا قطع مع الحاجة وكذا اذا وصفت الموصوف بوصف لا يعرفه المخاطب لكن ذلك الوصف يستلزم وصفا آخر فلك القطع في ذلك الثاني اللازم نحو (مررت بالرجل العالم المبجل) فان العلم في الأغلب مستلزم للتبجيل »(٦) .

وجاء في (التصريح) : « اذا لم تتكرر النعوت وكان المنعوت معلوما بدون النعت حقيقة أو ادعاء جاز اتباعه وقطعه ما لم يكن لمجرد التوكيد نحو (نفخة واحدة) أو ملتزم الذكر نحو جاؤا الجماء الغفير أو جارياً على

---

(٥) التصريح ٢/١١٧ وانظر الاشموني ٣/٦٨ ، الهمع ٢/١١٩ .
(٦) الرضي ١/٣٤٦ .

مشار اليه نحو بهذا الرجل »(٧) ٠

وجاء في (شرح قطر الندى) : « ويجوز قطع الصفة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادعاء رفعا بتقدير هو ونصبا بتقدير أعني او أمدح او أذم او أرحم »(٨) ٠

وجاء في (الكامل) : « اذا قال (جاءني عبدالله الفاسقَ الخبيثَ) فليس يقول الا وقد عرفه بالخبث والفسق فنصبه بأعني وما اشبهه من الافعال نحو (اذكر) وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح »(٩) ٠

وجاء في (الكتاب) : « (هذا باب ما ينتصب في التعظيم والمدح) وان شئت جعلته صفة فجرى على الأول وان شئت قطعته فابتدأته وذلك قولك (الحمد لله الحميدَ) هو والحمد لله اهلَ الحمد والملك له اهلَ الملك ولو ابتدأته فرفعته حسنا كما قال الاخطل :

نفسي فداء امير المؤمنين اذا
ابدى النواجذ يوم باسل ذكر

الخائضُ الغمر والميمونُ طائره
خليفةُ الله يستسقى به المطر

زعم الخليل ان نصب هذا على انك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطبه بأمر جهلوه ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناء وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال : اذكر أهل ذاك واذكر المقيمين ولكنه

---

(٧) التصريح ٢/١١٦ ٠
(٨) شرح قطر الندى ٢٨٨ وانظر الكليات لأبي البقاء ٢٢٠ ٠
(٩) الكامل ٢/٧٤٨ ٠

فعل لا يستعمل اظهاره وهذا شبيه بقوله (انا بني فلان نفعل كذا) لأنه لا يريد أن يخبر من لا يدري انـه من بني فلان ولكنه ذكر ذلك افتخارا وابتهاء »(١٠) .

وجاء فيه أيضا : « (هذا باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما اشبهه) وذلك قولك اتاني زيد الفاسقَ الخبيثَ لم يرد أن يكرره ولا يعرّفك شيئا تنكره ولكنه شتمه بذلك ... وقال عروة الصعاليك :

سقوني الخمر ثم تكنفوني
عداةَ الله من كذب وزور

انما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين ... وقد يجوز مررت بقومك الكرامَ اذا جعلت المخاطب كأنه قد عرفهم »(١١) .

وجاء في (شرح السيرافي) بهامش الكتاب : « قال ابو سعيد : يحتاج التعظيم الى اجتماع معنيين في المعظم :

احدهما ان يكون الذي عظم به فيه مدح وثناء ورفعة .

والآخر أن يكون المعظم قد عرفه المخاطب وشهره عنده بما عظم أو يتقدم من كلام المتكلم ما يتقرر به المخاطب حال مدح وتشريف في المذكور يصح ان يورد بعدها التعظيم »(١٢) .

فهذه حقيقة القطع وغرضه .

ثم انه يقطع مع المرفوع الى النصب ومع المنصوب الى الرفع ومع المجرور الى الرفع أو النصب فتقول (مررت بخالد العظيمَ أو العظيمُ)

---

(١٠) سيبويه ١/٢٤٨ ـ ٢٥٠ .
(١١) سيبويه ١/٢٥٢ .
(١٢) شرح السيرافي ١/٢٥٢ .

ويبدو أن القطع الى الرفع أثبت وأشهر وذلك لأنه في النصب بتقدير جملة فعلية نحو (أعني العظيم أو أمدح) وفي الرفع بتقدير اسم أي هو العظيم .

والاسم أثبت واقوى وأدوم من الفعل كما هو معلوم فقولك (هو متعلم) اثبت واقوى من (هو يتعلم) و (هو مطلع) اثبت واقوى من (هو يطّلع) ومنه قوله تعالى « هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام ــ الذاريات ٢٣ ، ٢٤ » فهم حيوه بالنصب وحياهم بالرفع فرد التحية عليهم بخير منها ذلك لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الثبات كما ذكرنا وهم حيّوه بالجملة الفعلية ذلك لان النصب على تقدير فعل وهو حياهم بالجملة الاسمية(١٣) .

فقولك (مررت بمحمد العظيمِ) بالاتباع قد يراد منه تمييزه من غيره الذي هو حقير أو يراد مدحه بهذه الصفة .

وقولك (مررت بمحمد العظيمَ) بالنصب تريد تنبيه السامع على هذه الصفة كما تعني أن محمداً مشهور بهذه الصفة معلوم بها للمخاطب يعلمه كل أحد .

وقولك (مررت بمحمد العظيمُ) بالرفع يدل على ان محمداً معلوم اتصافه بهذه الصفة مشهور بها غير أن اتصافه بهذه الصفة واستقرارها ورسوخها فيه وتمكنها منه أكثر وأشد مما قبلها .

وورد القطع في العطف أيضا للدلالة على أهمية المقطوع من بين المعطوفات جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء ــ البقرة ١٧٧ » : « وأخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن

(١٣) ينظر تفسير الرازي ٢١٢/٢٨ ، الكشاف ٣٨/١ ــ ٣٩ ، ١٦٩/٣ .

القتال على سائر الاعمال »(١٤)

وجاء في (شرح شذور الذهب) في قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة ـ النساء ١٦٢ » : « ان المقيمين نصب على المدح وتقديره : وأمدح المقيمين . وهو قول سيبويه والمحققين وانما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها »(١٥) .



---

(١٤) الكشاف ١/٢٥٢ .

(١٥) شرح شذور الذهب ٥٤ وانظر الكشاف ١/٤٣٨ .

مراجع البحث

ـــ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد العمادي ـ مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢١٠٣ ٠

ـــ البرهان في علوم القرآن ـ لبدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ط١/١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م دار احياء الكتب العربية ٠

ـــ التفسير الكبير لفخرالدين الرازي ـ المطبعة البهية ـ مصر ٠

ـــ حاشية على شرح التصريح للشيخ يس بن زين‌الدين العليمي الحمصي طبعت مع شرح التصريح ٠

ـــ شرح الاشموني على الفية ابن مالك ـ دار احياء الكتب العربية ٠

ـــ شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبدالله الازهري ـ دار احياء الكتب العربية ٠

ـــ شرح رضي‌الدين الاسترابادي على الكافية لابن الحاجب ٠

ـــ شرح السيرافي على كتاب سيبويه مطبوع بهامش الكتاب ٠

ـــ شرح شذور الذهب لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ٠

ـــ شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصاري ـ تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ط ٩ سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م ٠

ـــ الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق الدكتور زكي مبارك ط١/١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ٠

ـــ كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق ـ نشر مكتبة المثنى ببغداد ٠

ـــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ لجارالله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ٠

- الكليات لأبي البقاء الحسيني الكفوي طبعة بولاق ط ٢ ٠
- معاني القرآن لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء ـ مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ٠
- معترك الاقران في اعجاز القرآن لجلال‌الدين السيوطي تحقيق محمد علي البجاوي ٠ دار الثقافة العربية للطباعة ٠
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال‌الدين السيوطي ط ١ سنة ١٣٢٧هـ مطبعة السعادة بمصر ٠



الغيث ألفاظه ومعانيه في الشعر العربي

الدكتورة سهام الفريح
قسم اللغة العربية ـ جامعة الكويت

للمطر وقع خاص في نفوس العرب ، فهو بدء الخصب ، حيث تتوقف الصحراء على المطر لذا نراهم يستبشرون بقدومه ، وكان من الطبيعي أن يلتفت العربي في شعره لهذه الظاهرة ·

اما ما يعنينا في هذا البحث فهو متابعة هذه اللفظة ـ المطر ـ وغيرها من الألفاظ المتصلة بها في لغة العرب ، وبيان دلالاتها ووجوه استخدامها في الشعر العربي ·

وقد عمدنا الى استخدام لفظة (الغيث) بدلا من المطر وجعلناها عنوان هذا البحث لانها اكثر فصاحة وبيانا ، ولعذوبة نطقها ولين حروفها مما لا يتوافر في غيرها من الألفاظ في هذا المعنى ، وكما أشار الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين ١ : ٢٠) (وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، الا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم الجوع الا في موضع العقاب أو موضع الفقر المدقع ، والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب والجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ، لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث) ، وكذلك ما رواه الاصمعي عن ذي الرمة يدور حول هذه اللفظة ويميل الى استخدامها بدلا من لفظة (المطر) لفصاحتها · حيث قال :ـ (قاتل الله أمة بني فلان ما

أفصحها قلت لها : كيف كان المطر عندكم ؟ غثنا ما شئنا) • (لسان العرب : مادة غيث) •

وحتى لا يأخذنا الجاحظ بطبعه ونسترسل كاسترساله في كتبه ورسائله ، علينا أن نقف أولا عند المعنى اللغوي لهذه اللفظة ، فاشارة الجاحظ تؤكدها الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها لفظة (المطر) وهي جميعها تعني العذاب والانتقام ومنها قوله تعالى : (وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) (٨٤ ك الاعراف ٧) ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) (٤٠ ك الفرقان ٢٥) ، وكذلك قوله تعالى : (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) (١٠٢ م سورة النساء ٤) وقوله تعالى : (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) (الاية ٧٤ ك الحجر ١٥) ، فلفظة المطر لم ترد في القرآن الكريم الا بهذا المعنى •

أما لفظة (الغيث) فقد وردت في القرآن الكريم وهي تعني المطر ، ومن معانيها الاغاثة : أي الاعانة — كما اشرنا سابقا — وذلك كقوله تعالى : (وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته) (الآية ٢٨ ك الشورى ٤٢) فقد اتصل معناها بالرحمة أيضا في هذه الآية • أما عن ورود لفظة (المطر) في الحديث الشريف ، فقد جاءت وهي تعني المعنيين فقد ترد وهي تعني الاغاثة والخير ، وجاءت أيضا وهي تعني العذاب والغضب ، ففي معنى الخير قوله صلى الله عليه وسلم : (فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت) ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي) ، وقد تعني المطر الغزير الذي يحدث بسببه الدمار كما في قوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (وانه يمطر المطر ولا ينبت الشجر) وقوله أيضا صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (وان كشفه الله عز وجل

ولم يمطر حمد الله على ذلك) ، وقوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (وهاجت السماء فمطرنا) (انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ج ٦ ص ٢٣٩) .

أما لفظة (الغيث) فلا خلاف في معناها فهي تعني – دائما – الاغاثة والخير ، وقد جاءت بهذا المعنى في الحديث النبوي الشريف ، وذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث (يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء) وقوله أيضا صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (اذا رأى الغيث قال اللهم طيبا هنيئا) ، وقوله صلى الله عليه وسلم الذي شبه فيه العلم بالغيث الكثير الذي يصيب الارض (والعلم كمثل غيث ، الغيث الكثير الذي اصاب الارض فكان منها نقية) (انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ج ٥ ص ٣١) (صحيح البخاري ج ١ ص ٣) .

أما بالنسبة لكتب المعاجم غير (لسان العرب) ففي اشارة صاحب كتاب (الافصاح في فقه اللغة) (وقيل : مطرت السماء وامطرت في الرحمة، وامطرت بالألف لا غير العذاب) (ج ٢ ص ٩٥٠) .

وأما ما جاء في كتاب (النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير) فهو (خير نسائكم العطرة المطرة ، وهي التي تتنظف بالماء اخذ من لفظ المطر ، كأنها مطرت فهي مطـرة : أي صارت ممطرة مغسولة) (ج ٣٤ ص ٢٣٩) .

أما بالنسبة لوردها في الشعر العربي القديم فهي تأتي بلفظة (المطر (وهي تعني (الغيث) والخير ، وهي كثيرة في الشعر ، وفي مقدمة الشعراء الذين اهتموا بالمطر بصفته ظاهرة امرؤ القيس ، فقد أطال الحديث عن المطر وما اتصل به من الفاظ كالبرق والسحب والسيل ، ولنتأمل قوله : الديوان ٢٤ – ٢٦ :

أحار ترى برقا كأن وميضه
كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب
أهان السليط بالذبال المفتـل

قعدت له وصحبتي بين حامر
وبين اكـــام بعـــدما متأمل

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة
يكب على الاذقان دوح الكنهبل

كان ابانا في افانين ودقــه
كبير اناس في بجـاد مزمل

والقى بصحراء الغبيط بعاعه
نزول اليماني ذي العياب المحمل

كأن سباعا فيه غرقى غدية
بارجائه القصوى انابيش عنصل

والقى ببسيان مع الليل بركه
فانزل منه العصم من كل منزل

والملاحظة العامة ان امرأ القيس متأثر في وصف الطبيعة بالشاعر ابي دؤاد ، وخاصة حين يرى امرؤ القيس ان جبل (ثبير) أو (أبان) حين اكتسى بالنبت بعد المطر ، يشبه شيخا كبيرا يكتسى كساء مخططا معلما ٠

ونحن نقف أمام هـذا المقطع لا لنسجل وضوح اللفظة (المطـر)

واستخداماتها عند امرىء القيس وذلك ليس بسبب عدم ورودها لفظا في هذا المقطع وانما وقفنا عند الجانب الفني وموقف الشاعر من الطبيعة ، لكي يتهيأ لنا التوغل في ذهنية الشاعر لتعرف هذه الجوانب الفنية المتميزة عنده والتي من خلالها نتوصل الى غايته في استخدام هذه اللفظة ٠

فقد وصف في هذا المقطع البرق والغيث والسحب ونجده وان لم يرد ذكر لفظتي (الغيث والمطر) نصا الا اننا نجد رؤية بعيدة تجمع بين مختلفات ومتباعدات في ظاهر معناها تعمق الصورة لهذه الظاهرة الكونية وكيف انها تجمع بين الدمار والنماء في آن واحد وهي تظهر في البيت الذي يقول فيه :

وألقى ببسيان مع الليل بركة

فانزل منه العصم من كل منزل

ففي هذا البيت يصور المطر ــ دون ان يذكر لفظه ــ الذي يقتلع النباتات من اصولها ، ويهدم المنازل ويقتلع الشجر ، ويدفع الحيوان الى الفرار من موقعه هذا لموقع آمن يطلب فيه النجاة ٠ فالشاعر هنا لم تدفعه نفس تتلذذ بمشاهدة الدمار الذي قد يؤدي الى العذاب وانما هو يصور مظهرا حقيقيا لهذه الظاهرة في بعض جوانبها ، وهي في بعض حالاتها تؤدي الى الدمار ، اما النماء فيظهر في الابيات التالية (الديوان ٢٤ ــ ٢٦) :

أحار ترى برقا كأن وميضه

كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب

أهان السليط بالذبال المفتل

واضحى يسح الماء عن كل فيقة

يكب على الاذقان دوح الكنهبل

كأن سباعا فيه غرقى غدية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

الشاعر في هذه الأبيات أراد ان يصف هذه الظواهر الكونية بفنية خاصة به أولا ، ومن ثم يحدد معاني النماء والرخاء والاغاثة لهذه الظاهرة أو لعله أراد ان يحدد هذه المعاني من خلال هذا الوصف المتميز ٠

يخاطب صاحبا له ويقول ان هذا البرق الذي يلمع بين السحب المتراكمة كلمع اليدين تتحركان بسرعة أو كمصباح راهب آمال الزيت على فتيلة ، فهناك ربط خفي بين تقليب اليدين ومصباح الراهب ، حيث ادتا هاتان الحركتان الى ولادة المطر ، وقد تتضح صور الخير والنماء الذي يبعثه الغيث في الأبيات الاخرى ، فلم يعد هذا المطر قوة مدمرة فقط افزعت الحيوان واقتلعت أشجار الكنهبل ولم يترك في تيماء جذع نخلة ، وانما سالت هذه الامطار على الجبل فغطته بالماء والغثاء حتى أصبح كشيخ ملتف برداء مخطط هو بهيئة سيد القوم ، فالتفت الى الصحراء المجاورة فوجدها بعد سكون المطر كأنها لبست حلة مزدهرة حتى أصبحت كبضاعة التاجر اليماني التي عرضها بألوانها الزاهية ، وان كان هذا تأثير الغيث على الارض فله تأثير آخر على الطير ، فقد بعث فيها حياة حتى اخذت تشدو بانتشاء وكأنها شربت من أجود الخمور واعتقها ، فالغيث أو المطر الذي وصفه امرؤ القيس (كما ذكر مصطفى ناصف بعيد عن صورة الدمار ، بل كان في الوقت نفسه اشبه ببحث وجداني صعب قاس يحتاج الى تضحيات وفداء وعذاب ، ولكنه يستاهل كل ما يبذل فيه من خوف وولاء معا) (قراءة ثانية ١٢٩) ويقول عنه الدكتور سيد نوفل : (وفي هذا الوصف تبدو فتنة الشاعر بالغيث ، فقد تتبع رحلته من بدايتها الى نهايتها ، وأحاط بجميع أحواله ، وصور كلا منها ، والغيث عنده عظيم كريم قوي ، ينصر الضعفاء ، ويداعب الأقوياء ، ويبطش بالفاتكين ، كأنه

قوة العالم المدبرة ، اضعف من شأن الجبال ، وكر على الوحوش السباع فاغرقها وجعلها تافهة ، فاذا بلغ الصحراء الفقيرة الواطئة اغناها وجادها وجعلها في طرب وحبور) (شعر الطبيعة ص ٤٨) ٠

وهو ـ أي الغيث ـ كما ذكر الدكتور العشماوي (من الشدة والعنف بحيث استطاع ان يكتسح لتدفقه وقوته كل ما في طريقه ، وان يقتلع أشجار الكنهبل اقتلاعا ٠٠ ثم انظر بعد ذلك الى صفحة الصحراء بعد سكوت المطر عنها كيف لبست ثيابا أخرى جديدة ، فازدهرت وربت وعلا فيها النبات من كل لون) ثم يعود ثانية ليؤكد قائلا (ولكن للغيث الى جانب هذه الاثار الجميلة التي تركها اثارا أخرى أليمة فقد غرقت السباع في سيول هذا المطر وتلطخت بالطين والكدر فبدت وهي على هذه الحال اشبه باصول البصل البري حيث تنتزعه من الارض ملطخا بالطين والماء الكدر) (قضايا النقد ص ١٩٨ ـ ١٩٩) ٠

ونجد امرأ القيس يذكر لفظة (المطر) في أحد أشعاره ويريد بها معنى الحياة والخلود فقد جعل من لحظات الحب السعيدة التي امضاها مع محبوبته تنهال عليه كالمطر المنهمر فأعطته الخلود ، فنراه في هذه الحالة استخدم لفظة المطر ـ كما ذكرنا ـ واراد بها السعادة الغامرة التي عاشها ، وهو قوله (الديوان ص ٢٣١) :

فأبيت أنعم ناعم مطر الصبا
لو نال حيا نالني الخلد

وامرؤ القيس مع كثرة وقوفه عند هذه الظاهرة قد ورد لفظ (الغيث) في شعره على نحو ما نعرف من قوله (الديوان ص ٢٦٦) ٠

وغيث مرته الريح فاعتم نبته
بهي تناصيه الوحوش قد اثمرا

اذا رجفت فيه رحا مرجحنة

تبعج بالرعـــد الحبى مسبرا

كأن الولايا نشرت في تلاعه

واعلاق تجار اذا اليوم اظهرا

قصد بالغيث هنا العشب والكلاء الذي اعتلى الارض حتى غطى نواصي الوحوش ، وصاحب هذا الغيث صوت الرعد الذي شبهه بصوت الرحى الذي أخذ يشق السحاب المتداني · وفي البيت الاخير نجد تشبيه الارض الزاهية بألوان الازهار والعشب التي شبهها باعلاق التجار ذات الالوان الزاهية ، وهذا التشبيه يلح على امرىء القيس فقد ورد أيضا في الأبيات السابقة · وعلى نحو ما نعرف من قوله (الديوان ص ٨٧) :

وغيث من الوسمى ، حو تلاعه

تبطنته بشـــيظم الصـــلتان

وقوله (الديوان ص ٩١) :

وغيث كالوان الفنا قد هبطته

تعاور فيه كل اوطف حنّان

وقوله (الديوان ص ٣٦) :

وقد اغتدى والطـير في وكناتهـا

لغيث من الوســمي رائده خـال

وقوله (الديوان ص ١٧٤) :

وادركهن ثانيا مـــن عنـانه

كغيث العشيّ الاقهب المتودق

ونجد تتابعا لذكر الغيث في كل العصور ، ذلك لان الشعراء فضلوا

هذه (اللفظة) على غيرها لانهم تفاءلوا بها اولا ولانها مما يسهل ورودها في العديد من التفاعيل المعروفة في العروض · واذا انتقلنا مع هذه اللفظة (المطر) أو مرادفتها (الغيث) عنـد باقي الشعراء فاننـا سنجدهما في دلالاتهما المختلفة ، فالمهلهل يصف السحاب والغيث والبرق وصفا جميلاً رائعا تظهر فيه مقدرة الشاعر في حسن التشبيه وجمال الصورة ، وهو ما نجده في قوله :

كأن كواكب الجوزاء عودٌ
معطفـة على رُبع كسـير
كأن الجدى في مثناة ريق
اسـير أو بمنزلة الاسـير
كأن النجم اذ ولى سحيرا
فصال جلن في يوم مطـير
كواكبهـا زواحف لاغبـاتٌ
كـأن سماءها بيدى مدير
كواكب ليلة طـالت وغمت
فهذا الصبح راغمة فغوري

فالصـورة التي رسمها الشـاعر في هذه الابيات لوصف الحيـوان والطبيعة تنقل مشاعر حزينة وقد اكمل هذا الوصف للناقة التي تبكي طفلها الكسير ، انها كانت تسير في ليل مطير واستخدم لفظة (المطـر) لتكتمل الصورة الحزينة التي اراد رسمها الشاعر ، فالمطـر هنـا ليس بمعنى الخير أو ان ينقل مشاعر البهجة والسرور وانما جاء في جانب من جوانب المعنى المباشر لهذه اللفظة وهو الألم والحزن قول لبيد (الديوان ص ١١) :

وغيث بدكداك يزين وهاده
نبات كَوَشي العبقري المخلب

وتبقى هذه اللفظة (المطر) يتناولها الشعراء بمترادفاتها المختلفة تارة تعني الخير والنماء لتعكس مشاعر البهجة والسرور ، وتارة تعني البلاء والغضب والعقاب وقد يوظفها الشاعر لتعبر عما يجيش في نفسه من الألم واحزان واحباطات تعترض حياته فتطغي على النفس حتى تعبر عنها هذه اللفظة أو غيرها ، وقد يستخدمها الشاعر بأي معنى من المعنيين ، وقد تكون الضرورة الشعرية (الوزن والقافية والسياق) قد الزمته باستخدامها في غير معانيها الحقيقية ، والشواهد على ذلك عديدة ومتناثرة في دواوين الشعراء الجاهليين ، ويحضرنا في هذا الموقف بيت الشاعر امية بن أبي الصلت الذي يمدح به (ابا يزيد) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي خطيب قريش وأحد ساداتها في الجاهلية وهو الذي تولى صلح الحديبية (الديوان : ٣٩٣) :

يا أبا يزيد رأيت سيبك واسعا
وسماء جودك تستهل وتمطر

وعندما نتقدم قليلا فأول من يستوقفنا عند هذه اللفظة (ذو الرمة) شاعر الحب والصحراء كما وصفه د. يوسف خليف فقد عشق الصحراء وتعلق بها فأبدع في وصفها ووصف كل ما يتعلق بها من حيوان ونبات وطبيعة متحركة وساكنة والمطر هو احد مظاهر هذه الطبيعة التي خلبت لبه كما خلبت لبه مية ، فربط بين التشبيب بها فوصف مية الاولى وبين وصف الصحراء والغزل بالثانية ربطا شديدا ، لكن الذي يعنينا بالدرجة الاولى هو وضوح الخلاف بين معنيي (المطر ، والغيث) ، ويتضح هذا الامر في بعض الحالات وخاصة في قوله (الديوان ص ٢٩٩ ـ ٣٠٢) ـ (خليف ص ١٧٩) :

يلوح اذا افضى ويخفى بريقه
اذا ما اجنته غيوب المشاعر

فلما كسى الليل الشخوص تحلبت

على ظهره احـدى الليالي المواطر

ولعل هذه الابيات تذكرنا بمعلقة لبيد عن البقرة التي افترس السبع وليدها في تلك الليلة الممطرة فأخذت تسعى لتعثر على شجرة تسترها ، فهنا يصور لنا معاناة الثور الوحشي عندما كان منفردا في صحراء الدهناء التي تعتليها الكثبان ، وهو يفتش عن ربوة لعله يجد فيها ما يقتات به من النبات في ذلك النهار القائظ ، وما ان اقبل الليل حتى انعكس عليـه ببرودة شديدة ومطر خفيف زاد من برودة الليل وظلمته ، فالمطر هنـا زاد في معاناة الحيوان وشارك مع باقي مظاهر الطبيعة في قسوته عليها ، أما لفظة (الغيث) فتكررت كثيرا في شعره وخاصة في قصائد المدح كقوله في مدح ابان بن الوليد (الديوان ١٥٠ ــ ١٥٤) :

رأيت الناس ينتجعون غيثـا

بسائغة البياض الى الوحيـد

وقد استخدم هذا اللفظ وهذا المعنى بصياغة مشابهة في لاميته التي مدح بها بلالا (الديوان ص ٤٤٢) :

سمعت الناس ينتجعون غيثا

فقلت لصيدح انتجعي بلالا

ونجد ذا الرمة يستخدم لفظـة (الغيث) في معنى الغضب الذي تصوره الطبيعة في بعض أحوالها والعادة هو ان يستخدم لفظة (المطر) في غير معناها الخاص ، ولا نستطيع القول بأن ذا الرمة هـو الوحيد الذي استخدم لفظة الغيث في معنى الدمار اذ اننا لم نقم بالاستقراء المطلوب لهذا الجانب الا انه خلال الشواهد التي عرضناها كانت ولا تأتي بمعنى النماء والاغاثة ونصادف عنـد ذي الرمة غير ذلك كما سنرصده في قوله هـذا

(الديوان ص ٣٢ ــ ٣٣) :

حتى اذا الهيق امسى شام افرخه
وهن لا مؤيس نأيا ولا كثب

يرقد في ظل عراص ويطرده
خفيف نافجة عثنونها حصب

تبدى له صعلة خرجاء خاضعة
فالخرق دون بنات البيض منتهب

كأنها دلو بئر حد ما يحها
حتى اذا ما رآها خانها الكرب

ويلمها روحة والريح معصفة
والغيث مرتجز والليل مقترب

فالشاعر هنا ينقل لنا صور الحنو والعواطف التي عند الحيوان لصغاره ، واختار في هذه الأبيات النعامة والظليم وحنوهما على صغارهما ، فعند اقتراب الليل واشتداد البرد ببوادر عاصفة شديدة محملة بالمطر اخـذا ينهبان الأرض عـدوا للوصول الى صغارهما لحمايتهما من غضب الطبيعة وثورتها في تلك الليلة الموحشة ، ونجده استخدم (الغيث) وأراد به المطر الذي يزرع الخوف والرعب ، وليس الغيث بمعنى النماء والخير والاغـائة ٠

ونجد أيضا الشاعر الاخطل التغلبي يستخدم لفظة الغيث والمطر في خلال القصـيدة التي مدح بها يزيد ابن معـاوية (الجمهرة ص ٣٢٦ ، ٣٢٧) :

أو مقفر خاضب الاظلاف جاد له
غيث تظاهر في ميثاء مبكاري

قد بات في ظل ارطاة تكفئه
ريح شآمية ، هبت بامطار
يجول ليلته والعين تضربه
منها بغيث اجش الرعد تيار

ففي البيت الاول كان لفظ (الغيث) في معنى المطر الذي غذى الأرض فألانها ، اما البيت الثالث فقد جاء لفظ (الغيث) وقد عنى به المطر الغاضب وليؤكد غضبه صاحبه رعد اجش الصوت • ووردت لفظة (المطر) في البيت الثاني وهي تعنى المعنى الخاص بها • وهذا البيت يذكرنا ببيت للاعشى (جمهرة ص ١٢٧) :

فاذا نحن بالوحوش تراعى
صوب غيث مجلجل هجال

فهو غيث أيضا صاحبه رعد مجلجل الصوت •

وعندما نتقدم قليلا في عصور متأخرة يقابلنا الشاعر ابو تمام الذي كان مولعا بوصف الطبيعة ، فلا تكاد تخلو قصائده من الوقوف أمامها ليصور العديد من مظاهرها ويلونها بألوانه اللفظية والمعنوية التي تميز بها ، والتي لم تقف معه عند هذا الحد وانما مدها بالحركة والحياة لتكتمل الصورة في أشعاره ، ولما كان الغيث يهب الارض ربيعا زاهرا فقد صور هذا الربيع بمظاهره الزاهية في شعره ومنها قوله : (الديوان ج ١ ص ٢٣) :

ومعرس للغيث تخفق فوقه
رايات كل دجنة وطفاء

نشرت حدائقه فصرن مآلفا
لطرائف الانواء والانداء

فسقاه مسك الطل كافور الندى
وانحل فيه خيط كل سماء

غنى الربيع بروضــه فكأنما
أهدى اليه الوشى من صنعاء

فالشاعر هنا استخدم لفظة (الغيث) في معناها الخاص والمباشر ، لكننا نجده في قصيدة أخرى ـ وان كانت تفوق هذه القصيدة في صياغاتها وحسن النظم فيها قــد خلط بين معنيي الغيث والمطر وذلك في القصيدة المشهورة التي وصف فيها بركة المتوكل (الديوان ج ٢ ص ١٩١ ـ ١٩٢) :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر
وغدا الثرى في حليه يتكسر

نزلت مقدمة المصيف حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر

مطر يذوب الصحو منه وبعده
صحو يكاد من النضارة مضمر

غيثان : فالانواء غيث ظاهر
لك وجهه ، والصحو غيث مضمر

وأبو تمام في هذا المقطع كان قد بلغ مداه في وصف الطبيعة الخلابة لكنه في الجانب الذي عنينا به في هذا البحث نجده قد مزج بين لفظتي (المطر ، والغيث) مزجا كاملا ، وذلك في سبيل تحقيق المعنى الذي قصده وجعل لفظة المطر كلفظة الغيث في دلالاتها وهي الخير والنماء ، ولم يأت هذا المزج لقصور فني فهمه للالفاظ ودلالاتها لكن الحاح هذه اللفظة على ذهنيته ، وانسجامها مع السياق اللفظي والعروضي جعله يستخدمها بمعنى النمــاء أيضا ، لكن مقدرة الشاعر الفائقة في استخدام أدواته ووسائله

الفنية التي تجسم الصورة التي أراد رسمها جعلها تبدو متكاملة لتنقل لنا ابداعاته في هذه القصيدة المتميزة في وصف الطبيعة ٠

ولشدة تعلق ابي تمـام بالطبيعة والمطر والغيث نجده يرددهما في اشعاره هذه فجاء ذكرهما أيضا في احدى قصائده المدحية حيث جعل المطر وانهماره الشديد وان منعه من الوصول الى الممدوح فحرمه من عطائه ، لكنه كان خيرا شمل الارض جميعا وزانها في حلة قشيبة جميلة وذلك في قوله (الديوان ج ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠) :

منع الزيارة والوصال سحائب
قسم القوارب جابه الاكتاف
ظلمت بني الحاج المهم وانصفت
عرض البسيطة ايما انصاف
(فاتت بمنفعة الرياض وضرها
اهل المنازل السن الوصاف)
وعلمت ما يلقى المزور اذا همت
من ممطر ذفر وطين خفاف

وابو تمام يطلب من الغيث (ويعني به الخير الكثير) ان يحيى الاهل بمغداه وعند السرى ، وذلك حيث قال (الديوان ج ١ ص ٢٩٢) :

أيها الغيث حي أهلا بمغدا
ك وعند السرى وحين تؤوب

وابن الرومي وما عرف عنه من اغرامه بوصف الطبيعة كان مجيدا في وصفها وقد جاءت اجادته هذه نتيجة مقدرته الفائقة في الوصف عامة وذلك بما يمتلكه من أدوات فنية خاصة بهذا الفن ، وذلك لما تهيأ له من قـدرات في رصـد جوانب الصورة كاملـة حتى بدأت كاملة التشـخيص والتجسيم موفاة باللون والحركة والصوت ٠ لكن مع اغرام ابن الرومي

بالطبيعة فهو أيضا كغيره من الشعراء لا يقف عند ظاهرة (المطر) وقفة مباشرة فقد يستغل مدلولات هذه اللفظة لمعان أخرى والتي منها قوله (الديوان ج ١ ص ١١٢٤) :

اظلم ليلى وانت لي قمر
فنور الليل ، أيها القمر
اجدب سرحي وانت لي مطر
فزحزح الجدب ، ايها المطر

فمطر ابن الرومي هنا هو الخير والجود وليس الغضب والدمار الذي اراد من ممدوحه ان يجود به وان يزيل عن أرضه ـ أي نفسه ـ الجدب وان يكون له قمر يضيء ليل المظلم ، واستغل هذه اللفظة أيضا لتوضيح هذه المعاني وهي في الحقيقة على غير استخدامها الخاص وذلك في قوله (الديوان ج ٣ ص ١١١٣) :

متى استبطأ العافون رفدك ام متى
تقاضاك اثمان المحامد شاعر
ليهنىء رجالا لا تزال تجودهم
سحائب من كلتا يديك مواطر

ويصف الطبيعة ويذكر لفظة (المطر) بمعناها المباشر أحد مظاهر هذه الطبيعة ، لكنها ترد كما ترد عند العامة وذلك في قوله (الديوان ج ٣ ص ٩٨٣) :

وحلس من الكتان اخضر ناعم
توسنه داني الرباب مطير
اذا درجت فيه الشمال تتابعت
ذوائبه حتى تقول : غدير

أما لفظة (الغيث) فتأتي بمعناها الخاص في ارجوزة له يصف فيها الطبيعة وهي قوله (الديوان ج ٣ ص ١١٧٦) :

لهوت عن وصف الطلول الدارسه
بروضة غذراء غير عانسه

جادت لها كل سماء راجسه
رائحة بالغيث أو مغالسه

فاصبحت من كل وشي لابسه
خضراء ما فيها خلاة يابسه

والمتنبي يستخدم لفظة (المطر) ويعني بها الشر والعقاب وذلك حين قال في مدح علي بن ابراهيم التنوخي (الديوان ج ٢ ص ٢٥٦) :

غمام ربما مطر انتقاما
فاقحط ودقه البلد المريعا

فقد جعل الممدوح غماما يمطر انتقاما على الأعداء ، وفي الأبيات التي تلت جعله سيلا وخيرا على أهله وبني قومه ، وذلك واضح في قوله : (الديوان ج ٢ ص ٢٥٦) :

فصيّر سيله بلدي غديرا
وصيّر خيره سنتي ربيعا

واستخدم لفظة (المطر) في المعنى السابق نفسه أيضا لكن كلماتها جاءت ذات وقع شديد ، وهي قوله (الديوان ج ٣ ص ١٠١) :

سحائب يمطرن الحديد عليهم
فكل مكان بالسيوف غسيل

فخاضت نجيع الجمع خوضا كأنه

بكل نجيع لم تخضه كفيل

فقد استخدم هذه اللفظة في وصف المعركة فشبه الخيل بالسحب التي تمطر الحديد من (سيوف ورماح وقنا) التي تغسل موقع المعركة بدماء الأعداء حتى تصبح بركا دموية ٠

وقد يستخدم المتنبي لفظة (المطر) كاستخدام العامة ويعني بهـا الخير الذي يجلب السرور ، وذلك في قوله (الديوان ج ٣ ص ٣٤٧) :

والذي ينبت البلاد سرورٌ

والذي تمطر السحاب مدام

فهو يستخدم لفظة (تمطر) في هذا البيت لتنقل مشاعر السرور ، فالممدوح في أي مكان يحل فيه تحل السعادة والسرور ، كما ان السحاب تمطر المدام لشدة الفرح والسرور أيضا - وكذلك قوله (الديوان ج ٣ ص ٢٥٤) :

ممطورة طرقي اليها دونها

من جوده في كل فج وابل

يقول بان طرقي الى الممدوح ممطورة أي يملؤها الاحسان ، فالمتجه اليه يصل الى احسانه أو يقابله احسانه قبل الوصول اليه وقبل الوصول الى شخصه ٠

اما لفظـة (الغيث) فقد وردت كثيرا في شعر المتنبي كغـيره من الشعراء ، وهي الخير النماء في مثل قوله (ديوان ج ٣ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩) :

فكنت منبت روض الحزن باكره

غيث مغير سباخ الارض هطـال

غيث يبين للنظار موقعه
ان الغيوث بما تأتيه جهال

فقد اعتبر الغيث الحقيقي يهطل في أحيان كثيرة بجهالة على الارض السبخة والطيبة على السواء ، اما غيث الممدوح فانه يهطل لمن هو بحاجة اليه ومن يستحقه ، وكذلك يرد ذكر (الغيث) في قصيدة مدح بها سيف‌الدولة ، وكان يسير معه وقد اشتد ذلك الغيث ، فقال (الديوان ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧) :

تجف الارض من هذا الرباب
وتخلق ما كساها من ثياب
وما ينفك منك الدهر رطبا
ولا ينفك غيثك في انسكاب
تسايرك السواري والغوادي
مسايرة الاحباء الطراب
تفيد الجود منك فتحتذيه
وتعجز عن خلائقك العذاب

المتنبي في هذه الابيات يقابل بين غيث السماء وغيث سيف‌الدولة ، وان غيث السماء تجف الارض منه وتصير حلتها القشيبة بالية بعد فترة قصيرة ، وغيث سيف‌الدولة ــ أي عطاؤه ــ لا ينضب ، وذلك لان ماء الغيث ينقطع ، وعطاء سيف‌الدولة باق لا ينقطع ، ويجعل المتنبي السحب تساير سيف‌الدولة كما يساير الحبيب حبيبه لتتعلم السحب من جوده ، لكنها تعجز ان تأتي بمثل ما يأتي به من خير ٠

وما ان نتقدم قليلا حتى يلاقينا شاعر اثار الكثير حوله وحول نتاجه الفكري وهو كما قال عن نفسه (سقط الزند : ١٩٣) : ب

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم

باخفاء شمس ضؤوها متكامل

ان ابا العلاء المعري من الشعراء الذين اطلعوا على اللغة وشوازدها وفصيحها وكان كغيره أيضا من المبرزين يحفظ الكثير من شعر الجاهليين وغيرهم ، حتى احاط من مفردات اللغة وشواردها ونوادرها بما لم يحط به العرب الاقحاح واطلع على أساليب البلغاء واسرار البلاغة بما لم يطلع عليه غيره فكان اهتمامه باللغة كاهتمامه بالشعر ، حتى غدت لغته الشعرية تعبيرا عن حياته الفكرية والوجدانية ، وتصور مشاعره وأحاسيسه ، وتكشف عن ثقافته ، وترصد مراحل التطور الى مر بها منذ أول انتاج فني له وهو سقط الزند ، الهدف من هذه الاشارة السريعة الى لغة الشاعر ونبوغه في استخدام هذا اللغة في فنه هو الوقوف عند استخدامات الشاعر للفظتي (المطر ، والغيث) في شعره ، لكن ما يتوصل اليه قارىء شعره هو قلة وصفه للطبيعة كوقفة غيره من الشعراء السابقين سواء كانوا في العصر الجاهلي أو العصور القريبة من عصر ابي العلاء ، ولعل سيطرة الجوانب الفلسفية والفكرية على ذهنية الشاعر طغت على غيرها من الفنون الشعرية الاخرى ، وقد نلاحظ انه حتى في استخدامه لهاتين اللفظتين أو غيرهما من الفاظ في صفات الطبيعة ، فهو لا يستخدمها لابراز المعنى المباشر لها وانما ليدلل على معان أخرى أراد توضيحها أو الحديث عنها ، ومن استخداماته لهاتين اللفظتين قوله (سقط الزند : ٥٣) :

اذا ما الغيم لم يمطر بلادا

فان لـــه على يدك اتكالا

فهو يخاطب الممدوح بقوله هذا ويجعل نائله وعطاءه يكفي البلاد اذا ما مسك السحاب القطر لانه واثق بفيض يدي الممدوح . وقد استخدم الفعل (يمطر) وقصد به الجود والخير ، وكان ابو عبيدة يقول في الرحمة مطروا وامطروا في العذاب ، ويحتج بقوله تعالى : (أمطر علينا حجارة من

السماء) (٤٢ ك الانفال ٨) وحكى غيره انه يقال : امطر في الرحمة وهو الصحيح بدليل قوله تعالى : (هذا عارض ممطرنا) (٢٤ ك الاحقاف ٤٦). فان اجاز بعض اللغويين صحة استخدام هذه اللفظة في الجود واحتجوا بالآية الكريمة المذكورة نجد ان الشاعر يستخدم اللفظة نفسها (تمطر) في بيت آخر ويقصد بها العذاب وهو قوله (اللزوميات ص ١٣٨) :

اتت جامع يوم العروبة جامعا
تقص على الشهاد بالمصر أمرها
فلو لم يقوموا ناصرين لصوتها
لخلت سماء الله تمطر حجرها

فعند انتقالنا الى أمثلة أخرى من شعر ابي العلاء يتبين لنا ان الشاعر استخدم هذه اللفظة (المطر) استخدام العامة لها فنجد مثلا في قوله (سقط الزند ٦٢) :

والمرء ما لم تفد نفعا اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

قصد بالمطر هنا الغيث ، وكذلك في قوله (سقط الزند : ٥٦) :

وان بخلت عن الاحياء كلهم
فاسق المواطر حيا من بني مطر

وقوله أيضا (اللزوميات ص ٤٨) :

وان وصلت فشكري شكر بروقة
ترضى ببرق من الامطار خلاب

أما لفظة (الغيث) فترد في شعره ولا خلاف حولها كما هي الحال عند غيره من الشعراء ومن أمثلها قوله (سقط الزند : ٨٥) :

وقاسم الجـود في عال ومنخفض

كقسمة الغيث بين النجم والشجر

وهـو يخاطب ممدوحه بانه يقسم نائله بين الفقير والغني كقسمة الغيث بين النجم والشجر (النجم من الشجر ما لم يكن له ساق) .

واستخدم لفظة (الغيث) أيضا بمعناها المباشر واراد منها التدليل على ان الغيث امره من عند الله سبحانه وتعالى ولا علاقة للانواء بحدوثه وهو قوله (سقط الزند : ٢٧٢) :

ولست بالناسب غيثاً همى

الى السماكين ولا المـرزم

وكذلك قوله (سقط الزند : ٢٤٧) :

فهل فيك من ماء المعرة قطـرة

تغيث بهـا ظمآن ليس يسال

فهو يتشوق الى ماء المعرة الذي يتمناه ، ويتلهف عليه ، وهو عنده يغيث العطشان .

وكذلك قوله (سقط الزند : ٢١٥) :

بأرض لا يصوب الغيث فيهـا

ولا ترعى البـداة بهـا النقادا

يقول في هذا البيت كيف اجريت خيولك بقفار ليس فيها نبت ولا شارة ولا راع ، وكيف يكون فيها اولئك ولا يصل اليها سحاب .

فأبو العلاء في وصف المطر سواء استخدم هذه اللفظة أو لفظة الغيث لا يخرج بها عن طريقته في الوصف عامة ، فهو يصف الاشياء بما يتناسب مع رسمها في خياله ولا تظهر اجادته الا في وصف الاشياء المعنوية كاللذة

والالم والحـزن والفرح ، وكألوان القـول وفنون الكلام ، فهو في وصف الطبيعة وغيرها من المحسوسات كما قال عنه طه حسين (اما ان يكـون عيالا على غيره من الوصاف المبصرين ، فيأخذ عنهم ما قالوا ، وينفخ فيه من نظمه روحا خاصا ، وليس هو في هذه الحال واصفا ولا شاعرا ، وانما هو نظام ، واما ان يملكه الغرور ، ويأخذه العجب فيتناول الاشياء المبصـرة بالوصف والتفصيل من غير ان يأتم بغيره أو يترسم خطو شاعر آخر ، وهو في هذه الحال عرضة الخطأ والسخف الكثير) ، (تجديد ذكرى ابي العلاء ١٩٣٥) ٠

وبعد متابعة لعدد من الشعراء في العصور الادبية المتقدمة ومعرفتنا باستخداماتهم لهذه اللفظة في شعرهم نخلص الى اننا لا نجد شاعرا تميز عن غيره باستخدام هذه اللفظة (المطر (بمعناها الخاص بشكل واضح ومحدد ، وانمـا نجدهم جميعـا يستخدمونها سواء في معناها المباشر أو استغلالها لمعاني أخرى وهم يعنون الخير والنماء ويعنون الغضب والعذاب دون تمييز واضح ٠

★ ★ ★

ان ابداعات شعراء المغرب والأندلس ، ومظاهر تميزهم ، تتضح في وصف الطبيعة التي شغفوا بهـا ، فلم يخـل منهـا غرض من أغراضهم الشعرية ، فان مدحوا خصوصا بنصيب وافر من مدحهم وقد تكون سبيلا الى الممدوح ، وان تغزلوا متلهفين الى احبتهم كانت الوسيلة التي تصور لذة اللقاء ٠

فهذا العشق للطبيعة عند شعراء المغرب والاندلس منحهـم خيـالا بارعا ، وتشابيهه جميلة منتقاة ، فتميزت أشعارهم بسببها بالرقة واللطف اللذين كانا ظاهرة في أشعارهم ، فأول من يلقانا من شعرائهم ابن هاني

الاندلسي الذي يلقب بمتنبىء المغرب وان عد ابن هاني من شعراء الوصف الا انه مقل في وصف الطبيعة بخلاف غيره من شعراء الأندلس ، فقد شغلته السياسة ومدح الأمراء ، وغلوه في مذهبه عن النظر الى جمال الطبيعة ، ونقل صورها وألوانها الجميلة في قصائده لكن لم يمنعنا هذا من النظر في ديوانه واستقراء شعره لالتقاط الأبيات التي جاءت فيها لفظتا (المطر والغيث) وبعد الاستقراء خلصنا الى أن لفظة (المزن) جاء ورودها في شعره بكثرة غلبت ورود لفظتي (المطر والغيث) ٠

فمن اشعاره التي جاء فيها ذكر المطر قوله (الديوان ص ١٥٠) :

ورسوا رجحي حتى استخف متالع
وهموا ندى فاستحيت الامطار

وقصد بهذه القصيدة الممدوح يحيى بن علي الاندلسي وقصد بالامطار الخير والجود ٠

وكذلك في قوله (الديوان ص ١٦٨) :

شهد الغمام وان سقاك حيا
أن الغمام اليك مفتقر

كم من يد لك غير واحدة
لا الدمع يكفرها ولا المطر

يريد ان انصباب دموع الناس والمطر انما هو شكر لنعمك فجعل المطر علامة الشكر لهذا الممدوح الجواد الكريم فهي أتت أيضا بمعناها العام ٠

أما أشعاره التي جاءت فيها لفظة الغيث فمنها قوله (الديوان ص ١٠٣) :

ولو طلبت في الغيث منك سجية
لقد عز موجود وعز وجود

وهو المبالغة في وصف الممدوح بالكرم والجود فكأن الغيث يأخذ صفاته في هذا الجانب من الممدوح وكما نرى ان لفظة (الغيث) في كل اشعار الشعراء التي مرت لا تثير الجدل في دراستنا كلفظة المطر فهي تأتي بمعناها الخاص ٠

وكذلك الحال في قوله (الديوان ص ١١٢) :

لقد اغتدى والمجد فوق سريره
والغيث تحت رواقه الممدود

وفي قوله أيضا : (الديوان ١٥٨) :

كبدر الدجى كالشمس ، كالفجر كالضحى
كصرف الردى ، كالليث كالغيث كالبحر

فجاءت لفظة الغيث لتتناسب مع السياق الذي تكلفه الشاعر مراعاة لتحقيق جمال الصياغة في نظمه ٠

والسرى الرفاء الذي نشأ بالموصل واكتملت شاعريته وحياته الأدبية عامة بالشام ، عاش في بيئة هيأت له من جمالها وزينتها أن يصدر بشعر زاد فوق جمال الطبيعة وسحرها جمالا وسحرا بابداعاته اللفظية والمعنوية ومن خلال هذا الفن الذي هو منه وصف الطبيعة نلتقط من أشعاره بعض الأبيات التي ترد فيها لفظتا (المطر والغيث) وحتى لا نستطرد في الحديث عن الجانب الفني وابداعاته ونقف عند هاتين اللفظتين وطبيعة استخدامهما عند هذا الشاعر فقط فنرى ان لفظة (المطر) وردت في مثل قوله (اليتيمة ج ٢ ص ١٨٥) :

قسمت قلبي بين الهم والكمد

ومقلتي بين فيض الدمع والسهد

ورحت في الحسن أشكالا مقسمة

بين الهلال وبين الغصن والعقد

أريتني مطرا ينهل ساكنه

من الجفون وبرقا لاح من برد

ووجنة لا يروى ماؤها ظمئي

بخلا وقد لذعت نيرانها كبدي

فكيف أبقى على ماء الشئون وما

أبقى الغرام على صبري ولا جلدي

فقد جاءت لفظة (المطر) ضمن هذه المقطوعة الغزلية فاستعار عنصرين من عناصر الطبيعة وهما المطر والبرق ليصف حاله مع المحبوب حيث شبه دموعه وشدة انهمارها بالمطر ، فاللفظة هنا لم ترد والقصد منها أي من المعنيين العام أو الخاص أي معنى الخير والنماء أو معنى الدمار وانما أراد وصف حالة انسكاب الدمع من عينيه بالمطر المنهمر بشدة ٠

وقد جاءت لفظة المطر ضمن مقطوعة وصف بها غرفة لصديق له دعاه تطل شرفتها على روضة غناء (اليتيمة ج ٢ ص ٢٠٩) :

لنا غرفة حسنت منظرا

وطابت لساكنها مخبرا

ترى العين من تحتها روضة

ومن فوقها عرضا ممطرا

وينساب من قدامها جدول

كما ذعر الآيم أو نفرا

وراح كأن نسـيم الصبا
يحمل من نشرها العنبرا

لفظة المطر ترد في السياق لتكمل الصورة الجميلة التي انعكست على ذهنية الشاعر لينقل شعرا منظر الروضة الغناء والجدول المنساب من قدامها ، وكيف ان نسيم الصبا سقط على الازهار فأذكى ريحها الذي جاء كريح العنبر فهذه الصور الجميلة المتتالية نخلص بها الى ان الشاعر لم يستخدم لفظة المطر ويريد بها الدمار وانما اراد بها النماء والحياة ٠

أما لفظة الغيث وان كان ورودها عند جميع الشعراء لا خلاف حوله كالخلاف الذي حول لفظة) المطر (فعلينا ان نستشهد ببعض الأبيات عند كل شاعر لكي تكتمل الصورة وتتضح في موضوع هذه الدراسة ٠ فهي ترد في شعره في مثل قوله (اليتيمة ج ٢ ص ١٥٠) :

تبسم برق الغيم فاختال ضاحكا
وحل عقود الغيث فارفض هاملا

فقلت علي منك أعلى صنائعا
اذا ما رجوناه ارجى مخايلا

وقوله أيضا (اليتيمة ج ٢ ص ١٥٦) :

الغيث والليل والهلال اذا
أقمـر بأسا وبهجة وندى

ناس من الجود ما يجود به
وذاكر منه كل ما وعدا

ففي المقطوعتين قصد الشاعر من لفظة الغيث الخير والنماء ٠

★ ★ ★

ويأتي وصف الطبيعة عند ابن قلاقس ضمن فن الوصف عامة ، الذي برز فيه الشاعر وتفوق ، وقد عرض لهذا الفن في مقطوعات مستقلة حينا وفي مقدمات قصائده أحيانا أخرى ، مازجا بينه وبين الخمرة أو بينه وبين الغزل ، أو مستقلا بذاته ·

وأكثر ما يلفت الانتباه في وصفه للطبيعة انفعاله وهو يطالع الرياض وقد تخللتها الغدران ولاعب أشجارها الصبا ، وغردت الاطيار في أغصانها وتساقط الندى على الأوراد ففاح أريجها وانتشر ، ويأتي ضمن هذا كله ذكر لفظتي (المطر والغيث) اللتين وردتا في شعره بكثرة ، وذلك في مثل قوله (الديوان ق ١٠٧ ص ٢٢٧) :

ما امتطينا أخت السحائب الا

لتوافي بنا أخا الآمطار

فلفظة (الأمطار) جاءت في قصيدة المدح هذه وعني بها الجود والنوال حين وصف الممدوح وجعله بسببهما أخا للامطار وكذلك قوله (الديوان ق ٣٢٣ ص ٤٤١) :

لكنني كالروض من عاداته

ان تنتحيه ركائب الامطار

فأتيت نحوك للسؤال موفقا

فظفرت في الأوطان والأوطار

وترد هذه اللفظة في قصائد كثيرة للشاعر وفي المعنى نفسه والاستخدام نفسه كقوله أيضا (الديوان ق ٣١١ ص ٤٣٢) :

فما بال عارض احسانه

على روض شعرك لا يمطر

وكـذلك قوله في مدح القاضـي بن الحبـاب (الديوان ق ٣٠٩ ص ٤٣٠) :

قلت وزهو الزهر مستغرق

بعارض من صبحه ماطـر

وكـذلك من قصيدة في مدح القاضي السـلفي (الديوان ق ٣٠٠ ص ٤٢٤) :

للبشـر برق بين ارجـائه

وللنـدى الفائض امطـار

وقوله أيضا (الديوان ق ١٧٢ ص ٣١٢) :

أي يوم مضى لنا في رياض

عرّست في عراسها الامطار

جاءت لفظة (الأمطار) ضمن مقطع وصف الطبيعة لذاتها وقصـد بالأمطار هنا أمطار الخير والنماء وليست أمطار العذاب والغضب ·

أما لفظة الغيث فترد في شعره كثيرا وهي لا تعني الا الخير والنماء وقد ترد من خلال مدحه بعض الشخصيات التي اتصل بها ، كمثل قوله (الديوان ق ٧ ص ١١٦) :

الحيا من غيوثك البارقات

والجنى من اصولك الباسقات

ومن قصيدة مدح بها السلفي يقول (الديوان ق ١٥٣ ص ٢٧٩) :

كالغيث لكن حيا هذا لهي أبدا

فمن هنا هو حقا فارق المطرا

فقصد بها النبت الذي كان متلهفا الى المطر ·

وفي السلفي أيضا قال (الديوان ق ٢١٩ ص ٣٤٢) :

يمينك الغيث الا انه هطل
وخلقك الزهر الا انه خضل

★ ★ ★

وبعد ابن قلاقس ننتقل الى أحد الشعراء المتأخرين وهو ابن سناء الملك ، وان كان شعره لا يرقى الى مصاف الشعراء الذين مررنا بهم خلال هذا البحث ، اذ لا يعنينا المكانة الفنية للشاعر ، وليست هي محور البحث بقدر ما يعنينا تتبع لفظة (المطر) وطريقة استخدامها عند الشاعر ، وبعد المتابعة صادفتنا لفظة (الغيث) كثيرا في شعره حتى اعتقدنا معها ان الشاعر قد نحى المنحى الصحيح ، وانه لن يستخدم هـذه اللفظة الا في معناها الخاص ، لكن ما ان وصلنا الى قافية الراء حتى وجدنا الشعر تتداعى عليه هذه اللفظة في مثل قوله (الديوان ص ٢٨٠) :

يا مجدب الحال زر ناديه معتفيا
وأسأل نداه ولا تسأل عن المطر

فقافية الراء جعلته يستخدم لفظة (المطر) حيث قصد بها النوال والعطاء في وصف جود الملك العادل بهما .

ولا تزال هذه اللفظة تتواتر في قافيـة الراء ، فمن الواضح انـه يتلقطها بين الحين والآخر حتى تتلائم مع هذه القافية فنجده يقول في مدح الملك العزيز (الديوان ص ٣٢٠) :

أمطرتني بالجود فاسمع لما
أنشئه من خاطري الماطر

ونجده يستخدم لفظة (أمطرتني) بالجود وقـد وردت في القرآن

الكريم ـ كما مر بنا ـ وهي للعذاب والعقاب وقد استخدمها بصيغة أخرى (الماطر) عندما أراد ان يرد على جود الممدوح بجوده الخاص وهو انشاؤه قصائد المدح فيه ·

وكذلك ترد في المعنى نفسه وفي صياغة مشابهة (الديوان ص ٣٩٦) :

وأنا الولي وقد عطشـ
ـت الى سحائبك المواطر

فوصف نفسه بانه العطشان الى سحائب جود الممدوح التي هي دائما تجود والذي اثبت ديمومتها لفظة المواطر ·

وقد جاء ذكر المطر في قصيدة له جمع فيها بين الغزل والخمرة ، وصف يومه وهو يعب الخمرة مع صحبة له في يوم مطير ترفرف السعادة عليهم ، حتى تراءى له وكأن الرعد يترنم ، وبأن قطرات المطر أحسنت الرقص وأجادت حتى صفق لها الرعد (الديوان ص ٤٥٣) :

ويوم مطير قد ترنم رعده
وصفق لما أحسن القطر في الرقص

شربنا على هذا وذاك مدامة
بدت كالعقيق الرطب والذهب الرخص

فقد جاء ذكر المطر لذاته حتى وصفه مع عناصر الطبيعة المكملة لصورة ذلك اليوم ·

وقد وردت لفظة المطر بمعناها (الخاص) في بيت له عند مدحه الملك العزيز (الديوان ص ٢٨٦) :

وكان للغيث يد عنـدهم
لانه منك لهم قد أجار

لو لم يعق سيفك ماسح من

هام مطير سح هام مطار

فقد قصد الغيث لذاته حيث خدم الأعداء في معركته وكان عائقا للممدوح في مواصلة المعركة حيث انهمر أياما وهم مقيمون بمواقعهم ، وقد استخدم (مطير ومطار) بمعناهما الخاص وعنى بها بان هذا اليوم المطير لم يكن خيرا عليك اذ عطل سيفك ان يجتز رؤوس الأعداء ٠

وقد وردت لفظة الغيث في شعره كقوله (الديوان ص ٢٢٠) :

يد تسح فقال الغيث وا أسفا

والبحر واكمدا والسيل وا حسدا

فجود يد الممدوح جعل الغيث يأسف ، وجعل البحر والمد والسيل يحسدونه لكثرة ما تجود به ٠

وفي المعنى نفسه ترد لفظة الغيث في قصيدة مدح بها الأجل الفاضل (الديوان ص ٢٢٢) :

كالبحر حين طمى والغيث حين هما

والنجم حين سما والبدر حين بدا

فلفظة (الغيث) خلال هذه الأبيات لا ترد بمعناها المباشر عنصرا من عناصر الطبيعة وانما جاء بها الشاعر ليضفي معنى الجود والكرم على ممدوحه كقوله أيضا (الديوان ص ٢٧٤) :

كما أنه لم يعرف الجود قبله

وفي الحق ان لا يذكر الغيث بعده

★ ★ ★

وعندما ننتقل الى الشعر في العصر الحديث ونحن نعي ما أصاب

الشعر في هذا العصر من تغير في بنية القصيدة ، وفي ايقاعاتها وفي مدلولات ألفاظها فأننا سنقف عند تعامل الشاعر المعاصر مع عناصر الطبيعة ، لان المطر أو الغيث هما أحد عناصرها فنجد مثلا كما أشار الدكتور عزالدين اسماعيل (ان الشاعر المعاصر ارتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي كلفظة المطر من مدلولها المعروف الى مستوى الرمز في بعض استخدامات الشعراء المعاصرين) (الشعر العربي المعاصر ص ٢١٩) .

ونقف في هذا الجانب عند أحد رواد الحركة الشعرية الحديثة وهو بدر شاكر السياب لاكثر من سبب ومنها أن هذه اللفظة (المطر) ألحت على الشاعر حتى طغت على الكثير من ألفاظ قصائده ، ومن مظاهر الحاحها على ذهنيته انه عنون قصائده بهذه اللفظة مثل (انشودة المطر) و (مدينة بلا مطر) .

ولان تعامله مع هذه اللفظة تعامل مختلف فقد أشار عبدالرضا علي في كتابه (الاسطورة في شعر السياب ص ١٥٤) الى انه كان يرى فيه أي المطر الفكرة السائدة قديما من أنه أصل الحياة ، بينما نجده في قصائد أخرى يحمله معنى الثورة على القهر الاجتماعي والسياسي ، في حين نجده مرة ثالثة يعده صنوا للدم كذلك لا نعدم أن نجده في قصائد أخرى رمزا للبعث والحياة ، وقد يكون حاملا للنقيضين : الموت والحياة) .

ونستدل بما ذهب اليه عبدالرضا من ان المطر (أي الغيث) أصل الحياة على أن السياب متأثر بالفكرة عند القدماء حيث انهم عندما يصيبهم الجدب يقدمون الأضاحي لاستنزال الغيث أو ما يسمى بصلاة الاستسقاء ، حيث كانوا يجمعون لها بقرا معلقة في أذنابها النبات والشجر يصعدون بها الى جبل وعر ويشعلون فيها النار ويضجون بالدعاء والتضرع ، وكانوا يرونها من الأسباب المتوصل بها الى نزول الغيث ، وفي ذلك قال أمية بن أبي الصلت (نهاية الأرب ج ١ ص ١٠٩ ، ١١٠ . انظر الحيوان ج ٤ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧) :

ويسوقون باقر السهل للطو

د مازيل خشية أن تبورا

عاقدين النيران في بكر الاذ

ناب منهـــا لكي تهيج النحورا

سلع ما ومثله عشـــر ما

عـــائل ما وعالت البيقورا

أما قصيدة السياب التي يرمز بها الى النماء والحياة فهي :

كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم

وقطرة فقطرة تذوب في المطر ...

وكركر الأطفال ، عرائش الكروم ،

ودغدغت صمت العصافير على الشجر

أنشودة المطر ...

مطر ...

مطر ...

مطر ...

تثاءب المساء ، والغيوم ما تزال

تسح ما تسح من دموعها الثقال

وينشر الغناء حيث يأفل القمر

مطر ...

مطر ...

أتعلمين أي حزن يبعث المطر ؟

وكيف تنشج المزاريب اذا انهمر ؟

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع ؟

بلا انتهاء ــ كالدم المراق ، كالجياع ؟

كالحب ، كالاطفال ، كالموتى ــ هو المطر !

....

فنجد الشاعر في هذا المقطع من القصيدة ينقل حيرته بصيغة السؤال فهو بعد ان كان المطر هو الحياة وهو البعث في مقطعه السابق نجده الآن يبعث الحزن ، ولكي يكمل صورة الحزن المرتبطة بالمطر جعل المزاريب تنشج بالبكاء اذا انهمر وان الوحيد يشعر فيه بالضياع .

وقد قرنه بالدم في قوله (بلا انتهاء ــ كالدم المراق)

ثم يقول (كالحب ، كالأطفال ، كالموتى ــ هو المطر) !

فقد جمع النقيضين في آن واحد فهو كالحب وكالأطفال يصوره بالحياة والنماء وفي الوقت نفسه كالموتى هو المطر ، وتقابل (الموت والحياة) كان أكثر الأدوات التي تعامل بها بدر السياب .

ثم ينتقل بالمقاطع التالية الى تقديم الصلوات لاستنزال المطر ، فعواصف الخليج ، والرعد تنشد (تصلي) لاستنزال المطر .

ثم يعود ثانية للمعنى الأول وهو الحياة في قوله :

في كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد
أو حلمة توردت على فم الوليد
في عالم الغد الفتى ، واهب الحياة !
مطر ...

مطر ...

مطر ...

سيعشب العراق بالمطر .....)

(الديوان ص ٤٧٤ ـ ٤٨٤)

فكل دمعة من الجياع والعراة ، وكل قطرة دم تراق من العبيد هي قرابين تقدم لاستنزال المطر ليعم الخير العراق .

وفي قصيدته (مدينة بلا مطـر) تتوالى هذه المعاني التي يوردها الشاعر من خلال استخداماته للفظة (المطر) فيقول (الديوان ص ٤٨٦ ـ ٤٩١) :

سحائب مرعدات مبرقات دون أمطار

قضينا العام ، بعد العام ، بعد العام نرعاها ،

وريح تشبه الاعصار ، لامرت كاعصار

ولا هدأت ـ ننام ونستفيق ونحن نخشاها

فيا أربابنا المتطلعين بغير ما رحمة ،

عيونكم الحجار نحسها تنداح في العتمة

لترجمنا بلا نقمه ،

تدور كأنهن رحى بطيئات تلوك جفوننا ...

حتى ألفناهـا ،

فالشاعر هنا ينقل ما ألم به من احباط بعد ثورة تموز التي كان يحلم بأنها الأمل ، وانها الفرج للعراق بعد الظلم والطغيان ، فالمطر هو الفرج ، وهو النجاة من الظلم لكن اليأس وعدم التفاؤل بوصول الغيث لينهي فترة الضيم التي سادت العراق كانت تسيطر على نفسية الشاعر فيقولها بنفس عافهـا الأمل والاستبشار بقدوم هـذا الغيث ولكن مرت الأعوام ، كثيرا ما حسبناها ،

بلا مطر ..... ولو قطرة

ولا زهر ..... ولو زهرة

بلا ثمر - كان تخيلنا الجرداء انصاب اقمناها

لنذبل تحتها ونموت

سيدنا جفانا . آه ياقبره

وفي نهاية مطافنا حول هاتين القصيدتين وتحليلنا للمعاني التي أرادها الشاعر باستخدام لفظة المطر نجده قد استخدم هذه اللفظة بمعنى الحياة والنماء والبعث ولم يستخدم لفظة الغيث ، ونجده أيضا استخدمها في حالات قليلة وقرنها بالدم ، فالسياب لم يخرج عما سار عليه شعراء العربية الذين مررنا بهم ، في استغلالهم هذه اللفظة في معنى (الخصوبة والاغاثة والنماء) وفي معنى (الدمار والعقاب والعذاب) أيضا .

وشاعرنا في هذه الوقفة هو أحمد العدواني ، وقبل الاسترسال في الحديث عن القضية الأساسية في هذه الدراسة تستوقفنا أمور عديدة تجدر الاشارة اليها وهي ان الولوج الى ذهنية هذا الشاعر تحتاج الى طقوس خاصة وتحتاج أيضا الى معايشة مع الفاظه لاستشفاف معانيه العميقة ، وهذه خاصة من خصائص الشاعر ، اضافة الى انه شاعر معاصر وككل الشعراء المعاصرين صاحب شعرهم الكثير من الرمز والغموض وان كان بدرجات متفاوتة . وقد صادفنا هذه المعاناة - كما مر بنا - عند انتقالنا من الشعر القديم الى الحديث وكانت البداية مع السياب وبعد أحمد العدواني ، فلنرحل مع شعره وعبر بحاره وهدفنا الوقوف على اللفظتين اللتين عنينا الاهتمام بهما خلال هذا البحث وهما (المطر ، والغيث) .

وأول ما يصادفنا قول من قصيدة معزتنا العجفاء (الديوان ص ٧٤) :

روح الجراد في ضميرها المسعور

لا تبقى ولا تذر

تلتهم الزرع وتشرب المطر

حتى منازل السمر ....

فالمطر الذي تشربه هذه المعزة العجفاء يتضح من السياق انه مطر الخير والنماء والحياة وليس مطر العذاب كالذي جاء في قوله : من قصيدة (وقفة على طلل ص ٨١) :

... وذات ظهيرة والصيف

تمطر شمسه النيران

ترفقت بدرويش ....

يهرول .... يسأل الحيطان عن ظل

فجئت به الى اهلي

فثار الاهل والجيران

وقالوا لي ....

تجنيت على الاعراض والاحساب

اتؤوى عندنا الاغراب ؟

مكان رفيقك الدرويش ...

ـ لو تعقل ـ عند الباب ....

فالمطر هنا هو العذاب الذي امطرته نيران الشمس المحرقة في ظهيرة صيف قائظ فالشاعر استخدم الفعل من هذه اللفظة وأراد به المعنى الخاص الذي اهمله الكثير من الشعراء . لكن الشاعر بعد خطوات قصيرة من ديوانه نجده يستخدم فعل هذه اللفظة نفسه ويريد به المعنى العام وهو الخير أو الجمال الذي انعكس من الخمرة بانوار في قوله من قصيدة (شطحات في الطريق) ومطلعها (الديوان ص ٨٦ ، ٨٧) :

هات اسقنيها !! لست من سماري

ان لم تكن للكاس رب الدار

هي بنت من ؟؟ الشمس دارة اهلها
ابدا ونحـــن الاهـــل للاقمـــار

حتى قوله :

صليت لما امطرت انوارها
ما اروع الصلوات للانوار

وقد ترد لفظة (المطر) بمعناها المباشر عنصرا من عناصر الطبيعة كما يصف روضة غناء نزل بها الشاعر (الديوان ص ٩٢) :

واذا نزلت بروضة ممطورة
وألفت طيب الروضة المعطار

وترد لفظتا المطـر والغيث في الشطر الواحـد في قوله (الديوان ص ٢٢٢) :

قالت : كريم لا يبارى رفـــده
جـم المروءة والندى سمح القرى

فاجبتهـا : أيكـــون أندى نائلا
وأعم من غيث لصوب ممطرا

★ ★ ★

بعد استعراضنا خلال هذا البحث لعدد من الشعراء في عصورهم المختلفة وبيئاتهم المتباينة ، وبعد الوقوف عند تعاملهم مع لفظتي (الغيث والمطر) سواء جاء تعاملهم لهاتين اللفظتين على انهما عنصران من عناصر الطبيعة التي تغنى بها الشعراء كثيرا أو انهم استخدموهما لتشخيص معنى من المعاني التي عنوا بها في شعرهم ، فاننا بعد هذا كله نخلص الى ان لفظة

الغيث لم تثر الجدل ولم تستدع التحليل في الجانب الذي عنينا به في هذا البحث ، اذ كانت تأتي دائما بمعناها الخاص سواء استخدمت لذاته أي لوصف هذا العنصر الطبيعي ، أو جاءت لتشخيص معنى من المعاني ، فهي ترد والمراد بها دائما وأبدا الخير والنماء والاغاثة ٠

أما لفظة (المطر) فهي التي استغرقت الكثير في تحليلها وتوضيح أساليب الشعراء في استخدامها ٠

ونخلص أيضا الى أن هذه اللفظة لم تستخدم بمعناها الخاص وهو العذاب والعقاب الا عند عدد قليل من الشعراء هم : المهلهل ، وذو الرمة ، والاخطل التغلبي ، والمتنبي ، وبدر شاكر السياب ، وأحمد العدواني ، وفي أبيات قليلة من أشعارهم ، حين يجدها الشاعر متلائمة مع السياق فيسهل تناوله لها ، وانما في الغالب الاعم كانت تستخدم كاستخدام العامة ويعني بها الخير والنماء وغيرها من المعاني التي لم يستخدمها القرآن الكريم الا في لفظة الغيث ٠

وقد يحق لنا تأكيد هذا الأمر وان كنا لم نأخذ جميع شعراء العربية في جميع العصور وفي جميع البيئات ليس لصعوبة تحقيق هذا الامر – فحسب وانما لاننا انتخبنا المتميزين والمبرزين في عصورهم وفي بيئاتهم المختلفة ، فاختيار النخبة في كل عصر يعطي ملمحا واضحا في ابراز هذه الظاهرة التي أخذت بالدراسة خلال هذا البحث ٠

المراجـــع :

١ ـ الاسطورة في شعر السياب ـ عبدالرضا علي ـ وزارة الثقافة والفنون بغداد ـ ١٩٧٨ .

٢ ـ ادباء العرب ـ بطرس البستاني ـ دار الجيل ـ بيروت ـ د.ت .

٣ ـ بدر شاكر السياب ـ احسان عباس ـ د.ت .

٤ ـ بناء الاسلوب في شعر الحداثة د. محمد عبدالمطلب ـ ١٩٨٨ .

٥ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٧٥ .

٦ ـ ديوان أحمد العدواني ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ كويت ١٩٨٠ .

٧ ـ ديوان ابن الرومي تحقيق د. حسين نصار الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ .

٨ ـ ديوان ابن سناء الملك ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٥ .

٩ ـ ديوان ابن قلاقس ـ تحقيق د. سهام الفريح ـ مكتبة المعلا ـ الكويت ١٩٨٨ .

١٠ـ ديوان ابن هاني الأندلس دار صادر ـ دار بيروت ـ بيروت ١٩٦٤ .

١١ـ ديوان ابي تمام ـ دار المعارف ١٩٥٧ .

١٢ـ ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف مصر ١٩٦٤ .

١٣ـ ديوان بدر شاكر السياب ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧١ .

١٤ـ ديوان ذي الرمة ـ مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧٢ .

١٥ـ ديوان لبيد ـ الكويت وزارة الارشاد والانباء ١٩٦٢ .

١٦ـ ديوان المتنبي العكبري دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٧٨ .
تحقيق البرقوقي دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٩٨٠ .

١٧ـ ذو الرمة شاعر الحب والصحراء د. يوسف خليف ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٧٠ .

١٨ـ سقط الزند لأبي العلاء المعري دار بيروت ١٩٦٣ .

١٩ـ شعر الطبيعة في الأدب العربي د. سيد نوفل ـ دار المعارف ـ مصر ط ٢ ـ د.ت .

٢٠ـ الشعر العربي المعاصر د. عزالدين اسماعيل ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٨١ .

٢١ـ صحيح البخاري ـ دار احياء التراث العربي د.ت .

٢٢ـ الصورة في الشعر العربي ـ د. علي البطل ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ ١٩٨٠ .

٢٣ـ قراءة ثانية لشعرنا القديم ـ مصطفى ناصف ـ دار الاندلس ـ ١٩٨١ .

٢٤ـ لزوم ما لا يلزم وزارة الثقافة والارشاد بالقاهرة دار المعارف ـ ١٩٥٧ .

٢٥ـ لسان العرب ـ لابن منظور ـ دار لسان العرب ـ د.ت .

٢٦ـ يتيمة الدهر ـ الثعالبي ـ تحقيق د. مفيد محمد قمحية ... دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ .

المرأة والعمل في المجتمع العراقي

د. فوزية العطية

استاذة قسم الاجتماع

كلية الآداب / جامعة بغداد

المقـدمة :

يمر المجتمع العربي بمرحلية انتقالية ، ومن الواضح ان هذه المرحلة الانتقالية هي بحد ذاتها مرحلة مشوهة . وهذه المرحلة قد يطول أمدها لأسباب كثيرة ، منها خاصة بالظروف الموضوعية للوطن العربي ، ومنها ترتبط بعوامل ومؤثرات خارجية تؤثر في المدى الزمني للمرحلة الانتقالية وفي طبيعتها . والمجتمع العراقي جزء من المجتمع العربي . وبديهي أن ملامحه ، ووضع المرأة فيه هي ملامح المجتمع العربي . وقد أفرزت هذه المرحلة قيما واعرافا اجتماعية جديدة ، وأحدثت خلخلة ، ربما كانت سلبياتها أكثر من ايجابياتها بالنسبة لوضع المرأة . فالأعمال التي اتيحت للمرأة يغلب عليها الطابع الروتيني ، واقتصرت على مستويات ادارية وفي قطاعات ومجالات محدودة ، بسبب الايديولوجية الذكورية القائمة على تفوق الذكر على الانثى .

ويظهر عادة في المرحلة الانتقالية صراع بين التقليد والتحديث . وقد يكون الاتجاه التقليدي أشد وأقوى في حقب معينة ، وان كانت نتائج الصراع بين التقليدي والحديث لا تتجدد عند جولة واحدة ، أو مرحلة

معينة ، ولكنها بعد حقبة معينة تفرض ضرورة المسار الذي سينتهي اليه التغيير · وهذا المسار في الغالب يمزج بين التقليد والتحديث ·

ولعل النظرة التي لازمت المرأة لم تتغير كثيرا عبر التاريخ العربي ، بالرغم مما أحدثه الاسلام من ثورة ، أدت الى تغيير المجتمع وعملت على تغيير النظرة للمرأة ·

وتجدر الاشارة الى أن المرأة العربية عموما تواجه ثلاث حالات ، المجتمع بقيمه وتقاليده التي تقاوم التغيير برغم التغيرات الاجتماعية والحضارية في المجتمع العربي · والرجل بموقفه في فكره ومسلكه سواء كان متعلما مثقفا أم لم يكن · والمرأة العربية بذاتيتها التي أطرتها القيم والتقاليد والأعراف الاجتماعية · وهي حالات يجب الوقوف عندها والتأمل في دراستها وتحديد أساليب معالجتها ، لتخرج المرأة من هذا الواقع وتسهم في البناء والتقدم وفق ما وهبها الله من مقدرة وأعزها به من كرامة ·

المبحث الأول

الاطار المنهجي للبحث

١ ـ مشكلة البحث وأهميته :

تقدر نسبة الأناث الى الذكور في الوطن العربي ٣ر٤٩٪(١) · ويقدر عددهن في عام ١٩٨٥ بحدود ١٠٠ مليون انثى ، ومن المتوقع أن يصل في عام ٢٠٠٠ الى حوالي ١٤٢ مليون انثى(٢) ·

ويعد معدل السكان النشط اقتصاديا في الوطن العربي منخفضا

---

(١) اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، الأمانة العامة ، تنمية مساهمة المرأة العربية في النشاط المجتمعي ، ١٩٨٤ ، ص ٨٥ ·

(٢) د· سعاد برنوطي ، دور المرأة العربية في النشاطات المجتمعة وواقع الدراسات حولها ، اتحاد مجالس البحث العلمي ، ص ٩١ ·

جدا ، بسبب زيادة نسبة الأطفال غير الفعالين في المجتمع العربي ، اضافة الى انخفاض نسبة النساء في النشاط الاقتصادي · فهو لا يتجاوز ١ر٢٧٪ من مجموع السكان ، وهذه النسبة أقل مما هي عليه في بقية الأقطار النامية الأخرى(٣) ·

ويتركز النشاط الاقتصادي للمرأة العربية في القطاعات التقليدية والانتاج المنزلي والعمل بدون أجر · أي ان انتاجها غير مرئي ·
فالمرأة أكثر نشاطا في القطاع الزراعي مما عليه في قطاع الصناعة · وهي منفذة وليست مقررة ، وبعيدة عن المواقع القيادية المؤثرة والمرتبطة بالجانب الاقتصادي ومواقع اتخاذ القرار بشأن السياسات الاستثمارية · وهي غائبة في مواقع السلطة ·

ان هـذه الأوضاع توجب دراسة واقـع المرأة ضمن اطار مشكلات المجتمع ، باعتبارها جزء من القضايا المجتمعة ·
فالنساء ، بحكم عددهن يشكلن عنصرا أساسيا من عناصر التنمية الاجتماعيـة · ولابد من دراسة أوضاعهن ، والعمل على اعـادة النظر في توزيع الأنشطة والوظائف بين أفراد المجتمع تحقيقا للعدالة الاجتماعية · ولا يمكن اعتبارهن قـوة عمـل احتياطية تتأثر بفرص العمـل وظروف المجتمـع ·

وبمـا ان المرأة تشكل نصف المجتمع ، فلابد أن يكـون وضعهـا الاجتماعي مقياسا لوضع المجتمع ودرجة تطوره الحضاري ·

ويقاس وضع المرأة من خلال مؤشرات توزع على خمسنة قطـاعات أساسية هي : العمل والتعليم والصحة والزواج والمساواة الاجتماعية ·

---

(٣) د· يونس حمادي ، سكان المجتمع العربي ، مجلة العلوم الاجتماعية العدد ٢ ، ١٩٨٧ ، ص ١٠١ ·

أي قياس الفجوة بين وضع المرأة ووضع الرجل في هذه الجوانب ·

وأهمية هذا البحث تكمن في كونه يحاول التعرف على آراء عينة من النساء العاملات في المجالات الاقتصادية المختلفة نحو عمل المرأة ، ومعرفة وجهة نظر عينة من الرجال وموقفهم من مشاركة المرأة في العمل الانتاجي ، من أجل تحديد العوامل المساعدة على زيادة حجم العمالة النسائية في الأنشطة والميادين المختلفة ·

٢ ـ أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى التعرف على :

١ ـ حجم مساهمة المرأة العراقية في العمل الانتاجي ومجالات تشغيلها ·

٢ ـ نظرة المجتمع الى المرأة العاملة ونظرة الرجل ونظرة المرأة ذاتها للعمل ·

٣ ـ الآثار المترتبة على عمل المرأة المتزوجة في العلاقات الزوجية والأسرية ·

٤ ـ دوافع عمل المرأة ·

٣ ـ اجراءات البحث ومنهجيته :

استعنا في بحثنا بطلبة الدراسات العليا (الماجستير) في قسم الاجتماع ، لاجراء المقابلات الميدانية وجمع البيانات المطلوبة ·

أ ـ نوع البحث ومنهجيته وأدواته :

يعد بحثنا هذا من البحوث الاستطلاعية الوصفية ، وهو من الدراسات التجريبية ، التي تهدف الى جمع البيانات العلمية الخاصة بموضوع البحث· أما المنهج الذي اعتمدناه لاستقصاء المعلومات المطلوبة ، فهو منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة · واستعملنا المقابلة والاستبيان وسيلة لجمع البيانات · وصممنا استبيانا مخصصا للنساء العاملات من المتزوجات ،

وآخر لمجموعة من الرجال المتزوجين العاملين · وقد تم سحب العينة بالطريقة العمدية الحصصية ·

ب ـ عينة البحث ومجالاته :

تكونت عينة النساء العاملات من ١٦٠ امرأة عاملة في مهن عمالية وفلاحية ومهن تعليمية وموظفات في الدوائر الرسمية ومهن حرة ·

أما عينة الرجال ، فقد تكونت من ٤٠ رجلا عاملا في نفس المجالات الانتاجية ، هذا بالنسبة الى المجال البشري ·

اما المجال المكاني ، فقد اقتصر البحث على مدينة بغداد ، بسبب الامكانات المادية والبشرية والزمانية المتوفرة ·

أما المجال الزمني ، فقد تم جمع البيانات المطلوبة في شهر نيسان (أبريل) ١٩٨٩ ·

وبعد الانتهاء من المقابلات وملء الاستمارات الاستبيانية ، تمت عملية تفريغ وتبويب وتصنيف البيانات بطريقة التبويب اليدوي ، وتمت عملية تحويل الاجابات المدونة على استمارة الاستبيان الى أرقام للتعرف على قيم التكرارات وتكوين الجداول الاحصائية · ثم قمنا بتحليل المعلومات تحليلا علميا احصائيا معتمدين النسب المئوية لكي نتوصل من خلالها الى النتائج النهائية المطلوبة في البحث ·

المبحث الثاني

الملامح العامة للمرأة العراقية والتشريعات القانونية بصدد عمل المرأة

١ ـ الملامح العامة للمرأة العراقية ودورها الانتاجي :

يقدر نفوس العراق في عام ١٩٨٥ بحوالي ١٦ر٧ مليون نسمة ،

ومن المتوقع ان يصل مجموع السكان الى ١٨ مليون نسمة في عام ١٩٩٠ وحوالي ٢٣ مليون نسمة في عام ٢٠٠٠(٤) ٠

ان المرأة التي تشكل نصف المجتمع تعد موردا بشريا مهما يمكن الافادة منه في زيادة قدرة المجتمع الانتاجية ٠ وتبرز أهمية دورها في العراق الذي يتميز بقلة عدد سكانه بالنسبة لثرائه وكثرة خيراته ٠

لقد ارتبط وضع المرأة العراقية بالوضع الاجتماعي الحضاري العام ، وما طرحته من تشريعات قانونية وقيم وعادات وتقاليد ، تحدد في ضوئها الدور الاجمالي للمرأة بشكل عام ودورها الانتاجي بخاصة ٠

لقد عاشت المرأة العراقية أوضاعا سيئة قبل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ ، بحكم طبيعة النظام الاقتصادي الاجتماعي القائم في المجتمع حينذاك ٠

وعانت المرأة من سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ٠ وفي عام ١٩٥٧ كان عدد العاملات من النساء لا يزيد عن ٦٤ ألف امرأة ٠ ولم تكن مساهمتها في النشاط الاقتصادي حينذاك تزيد عن ٤٪(٥) ٠ والسبب في ذلك يعود الى عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية ٠

ان تعرض المجتمع العراقي للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية بحكم قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، التي أطاحت بالنظام الملكي ، وثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ، وبتأثير الحرب العراقية ـ الايرانية أدى الى احداث تغيرات جوهرية في مكانة المرأة وفي دورها ومساهمتها في العمل الانتاجي ٠

---

(٤) د٠ سعاد برنوطي ، المصدر السابق ، ص ٨٦ ٠

(٥) أحلام شيت ، أثر ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ في التغيرات الاجتماعية والحضارية للمرأة العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٨٣، ص ٠

لقد أولت الثورة أهمية خاصة للمرأة واشراكها في العمـل المنتج لتحقيق هدفين :

١ ـ تحرير المرأة اقتصاديا واعتبارها عاملا فعالا في المجتمع ٠

٢ ـ تلبية المتطلبات المتزايدة على القوى العاملة بحكم عملية التنمية الاقتصادية ، الاجتماعية ، خاصة منذ بداية عقد المرأة للأمم المتحدة ٠

لقد أسهم القرار السياسي ، الذي شرعته قيادة الثورة في العراق ، في توزيع الأدوار وفق أسس جديدة للحد من الظواهر والممارسات السلبية اتجاه المرأة ٠ وقد أكد التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع على توفير الفرص المتكافئة بين المرأة والرجل في مجالات العمل والتعليم والتشريع والنشاط السياسي والمهني والنقـابي ٠ واعتبر اشراك المرأة في العمـل الانتاجي مسؤولية وطنية عامة(٦) ٠

خصائص عمل المرأة ودورها الانتاجي :

ان الدور التنموي للمرأة ودمجها في العمل الانتاجي لا يزال دون المستوى المطلوب ، بسبب تأثير العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية ، وبسبب ما يسود المجتمع من أحكام مسبقة وأفكار غير ناضجة تعمل على توسيع الفجوة بين المرأة والرجل ٠ كما أن العوامل الشخصية كان لها تأثيرها المباشر في تحديد المواقف من كل عمل تقوم به أو أمر تحاول ان تقـدمه ٠

فالانسان حصيلة عوامل موروثة وأخـرى بيئية ، أي أن الوضـع

---

(٦) التقـرير المركزي للمؤتمر القطـري التاسع ، بغـداد ١٩٨٣ ، ص ١٦٤ ٠

الراهن للمرأة ودورها الانتاجي تحدد في ضوء العوامل المتراكمة في مراحل تطور المجتمع المختلفة ٠

وبما أن العمل المدفوع الأجر يعتبر بمثابة مؤشر للتنمية ، فان الدراسات والاحصاءات تشير الى أن مستوى نشاط المرأة العراقية لا يزال دون مستوى الطموح ٠ حيث بلغت ١٨٪ من مجموع العاملين في القطر عام ١٩٨١(٧) ٠ وان ارتفعت هذه النسبة في فترة الحرب العراقية الايرانية ، بسبب مشاركة الرجل في الدفاع عن الارض وتوجهه الى جبهات القتال لصد العدوان والدفاع عن حدود الوطن وسيادته(٨) ، اذ بلغت ٢١٪ ٠

يتركز الجزء الأكبر من عمل المرأة في مجال الزراعة ، حيث تصل نسبة النساء العاملات في القطاع الزراعي الى ٦٦٪ أما قطاع الخدمات فيأتي في المرتبة الثانية ، حيث تصل نسبتهن الى حوالي ٤٥٪ ٠ اما في قطاع التصنيع والبناء والكهرباء والغاز فهي تصل الى ٣ر١٠٪(٩) ٠

وهكذا فان نسبة النساء العاملات تزداد في القطاع الزراعي وقطاع الخدمات ، لتقل في القطاعات الاقتصادية المنتجة ٠ وبهذا يبقى عمل المرأة عملا غير منظور ، وان كانت تعمل ساعات أكثر من الرجل وتتمتع ساعات فراغ وراحة أقل منه ، الا انه لا توجد لحد الآن وسائل لاحتساب أو تقويم حجم عملها هذا ، بسبب قلة نسبة النساء في مواقع التأثير واتخاذ القرار ، وبسبب منهجية جمع البيانات ، خاصة في احصاءات العمل ، الذي اقتبس من الدول المتقدمة صناعيا ، والتي لم يعد فيها قطاع اقتصادي تقليدي ٠

---

(٧) نفس المصدر ، ص ١٦٥ ٠

(٨) لم تتوفر لدينا احصاءات دقيقة لسنوات الحرب ٠

(٩) د٠ فوزية العطية ، المرأة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٧١ ٠

لقد اختلف الموقف من المرأة في العراق تبعا لاختلاف المراحل التاريخية التي مر بها القطر ، فقد كانت المرأة في عهد التبعية الاستعمارية وحتى ثورة ١٩٥٨ محرومة من الكثير من حقوقها القانونية • فقد عملت التشريعات السائدة حينذاك على تكريس ذلك الواقع واضفاء الشرعية على التمييز ضد المرأة ، وتعميق النظرة السلبية في المجتمع نحو المرأة •

فالقانون يرتبط بالنظام السياسي القائم في المجتمع ، كما يرتبط بدرجة التطور الاجتماعي والحضاري • وهو يعبر عن رغبة الفئة المسيطرة في المجتمع في تنظيم العلاقات الاجتماعية •

وعندما تصبح القوانين غير منسجمة مع رغبات وطموحات المجتمع ، وغير معبرة عن ارادته ، وغير ملائمة للنظام الاجتماعي العام ، أو معرقلة لتطوره وتنميته ، وجب تعديلها أو تغييرها لكي تصبح أكثر انسجاما مع الظروف الموضوعية القائمة في المجتمع ، وملائمة مع احتياجات الجماعات الاجتماعية نفسها •

لذلك عملت لجنة المرأة العاملة ، التابعة الى منظمة العمل العربية ، والتي تشكلت في عام ١٩٧٣ على حث الحكومات العربية على مراجعة تشريعاتها وتطبيقاتها بشأن المرأة العاملة • كما أعدت اللجنة مشروع الاتفاقية العربية لشؤون المرأة العاملة ، رقم ٥ في عام ١٩٧٦ ، والتي عرضت على مؤتمر العمل العربي المنعقد في الاسكندرية ، نفس العام • وقد أقر المؤتمر تلك الاتفاقية واعتبرت أساسا مشتركا للاحكام الخاصة بالمرأة العاملة في تشريعات العمل في الأقطار العربية • وقد تضمنت هذه الاتفاقية الاحتفاظ لها بحق العودة الى عملها بعد انتهاء فترة الاجازة مع توفير التسهيلات اللازمة لاعادة تدريبها وتأهيلها للعمل • كما تضمنت الاتفاقية

ضرورة شمول قانون التأمينات الاجتماعية تأمينا خاصا بالأمومة .

الا أن هذه الاتفاقية رغم اقرارها منذ عام ١٩٧٦ لم يتم تصديقها حتى الآن الا من عضوين فقط من أعضاء المنظمة ، في حين أنها تتطلب تصديق ثلاثة أعضاء في الأقل لكي تصبح نافذة المفعول . وهذا يشير الى التباين والاختلاف في مركز المرأة العربية ودورها في عملية التغير الاجتماعي للاقطار العربية وطبيعة النظم الاجتماعية القائمة فيها .

لقد عملت وزارة العدل في العراق على وضع خطة لاعادة النظر في جميع التشريعات في ضوء التغيرات التي طرحتها ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ من جهة ، وفي ضوء الواقع الاجتماعي الحضاري في هذه المرحلة للقطر من جهة أخرى . وقد نص الدستور العراقي الموقت في مجال التشريعات السياسية على أن المواطنين متساوون أمام القانون بغض النظر عن الجنس ، كما أعطى قانون المجلس الوطني رقم (٥٥) لسنة ١٩٨٠ حق الانتخاب والترشيح للمرأة في عضوية المجلس ، وساوى قانون العمل بشكل مطلق بين المرأة والرجل في مجال العمل ، وضمن لها كافة ما ضمنه للرجل من حقوق(١٠) .

وبموجب قانون مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والامتيازات المالية رقم (١) لسنة ١٩٧٥ ، منحت المرأة امتيازا باعتبار دخلها مستقلا عن دخل زوجها وتمتعت بالاعفاءات القانونية الخاصة بضريبة الدخل .

وقد عالج قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠ المعدل وقرارات مجلس قيادة الثورة الخاصة بالخدمة المدنية ، بقدر تعلق الأمر بالمرأة في القطر ، أحوال المرأة الموظفة وساوى بينها وبين الرجل في الوظائف وفي

---

(١٠) د. فوزية العطية ، دراسة اجتماعية في القوانين الخاصة بالمرأة العراقية بعد ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ص ٣٥٥ ، بغداد ١٩٨٧ .

الرواتب وفي الحقوق التقاعدية ، ومنح اجازة للمرأة الحامل لمدة شهر واحد قبل الوضع ، وستة أسابيع بعده ·

كما نص قانون العمل رقم ٧١ لسنة ١٩٨٧ على تمتع الأم العاملة ، بموافقة صاحب العمل باجازة امومة خاصة بدون أجر لمدة لا تزيد على سنة واحدة تتصرف فيها لرعاية طفلها اذا لم يكمل سنة واحدة من عمره(١١) ·

لقد نظم القانون والأنظمة الصادرة بموجبه عمل المرأة في القطر وحدد المجالات التي تعمل فيها · فأطلق لها حرية العمل في الميادين كافة ، الا تلك التي لا تنسجم وطبيعة المرأة ، مثل الأعمال المرهقة والاعمال التي ينجم عنها الضرر والعمل الليلي · كما الزم أرباب العمل على تهيئة كافة الظروف الصحية للعمل وعالج أحوال المرأة الحامل والمرضع بشكل يتناسب ووضعها هذا ، كما جاء في اتفاقية العمل الدولية(١٢) ·

كما ضمنت التشريعات التعليمية المساواة في التعليم · حيث جعل قانون التعليم الالزامي رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ التعليم الزاميا للاطفال من الجنسين للمرحلة العمرية ٦ ــ ١٠ سنة ، وضمن المساواة في التعليم للجنسين حتى نهاية مرحلة الدراسة الابتدائية كما ساوى قانون الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية عام ١٩٧٩ بين المرأة والرجل ·

هذا وقد أكدت الأسباب الموجبة لتشريعات القوانين الخاصة بالمرأة ، ان الهدف الأساس للتشريع هو تهيئة الفرصة أمام المرأة باعتبارها تمثل نصف المجتمع للمساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة ·

الا أن القانون لا يكفي وحده للقضاء على التمييز ضد المرأة أو تغيير

---

(١١) قانون العمل ، وزارة العدل ، المادة ٨٦ ــ أولا ــ دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٣٣ ·

(١٢) قانون العمل ٢ نفس المصدر ، ص ٢١ ــ ٢٤ ·

مركزها ودورهـا الاجتماعي ، وانما يعـد وسيلة من وسائل تهيئـة جـو اجتماعي أكثر سماحة ، يؤدي الى تقبل الجماعات الاجتماعية بعضها للبعض الآخر · وتتركز قيمة القانون في تهيئة الجو والخبرة المباشرة لأسس جديدة يرتكز عليها التفاعل الاجتماعي ، ويفترض أن تكون هذه الخبرة مقبولة اجتماعيا وقادرة على تحقيق الهدف · فالقانون اداة لتهيئة الجو الاجتماعي للمواطنين لكي يدركوا الامور في اطار جديد تدعم الخبرات السابقة ·

المبحث الثالث

عرض النتائج ومناقشتها

ان دراسة بعض المتغيرات الأساسية لمفردات العينة ، والتي تعتبر مؤشرات لتوضيح الفروق الفردية لمفردات العينة ، تتيح لنا الوقوف على دور هذه المتغيرات في تحـديد استجابات مفردات العينة ، فيمـا يخص مجالات هذا البحث ، وما لذلك من أثر في تحديد مساهمة المرأة في العمل الانتاجي · وتشمل هذه المتغيرات المحاور التالية :

أولا ـ الحالة الاجتماعية : وتتضمن

١ ـ الحالة الزوجية :

تعتبر الحـالة الزوجية للمـرأة العاملة من الفروقات الفردية التي تؤثر في مساهمة المرأة في العمل الانتاجي · فالمرأة العاملة المتزوجة تعاني من مشكلات تتعلق بالعناية بالزوج ورعاية الأطفال والامور المنزلية · ولابد أن تؤثر هذه المؤثرات على مدى مساهمة المرأة في العمل والاستمرار فيه ·

وقد ركزنا في بحثنا هذا على المرأة المتزوجة ، سواء كانت مستمرة في علاقتها بزوجها أو منفصلة عنه أو مطلقة أو أرملة ، واستبعدنا المرأة غير المتزوجة لأن لها وضعها الخاص وظروفها المتميزة · والجدول رقم (١) يوضح الحالة الزوجية للمبحوثات ·

جـدول رقم (١)

يوضح الحالة الزوجية للمبحوثات .

الحالة الزوجية	التكرارات	النسب المئوية
متزوجة	١٤٦	٩١
مطلقة أو منفصلة	٨	٥
أرملة	٦	٤
المجموع	١٦٠	١٠٠

من ملاحظـة بيانات الجدول أعـلاه يتبين أن ٩١٪ من المبحوثات متزوجات ، ٥٪ منهن مطلقات أو منفصلات عن أزواجهن ، و ٤٪ أرامل · وهذا يبين شدة التماسك الأسري في المجتمع العراقي ، وأن عمل المرأة لم يؤثر كثيرا على العلاقات الزوجية والأسرية ·

٢ ـ عدد الاطفال :

ان عدد الأطفال يعد من المتغيرات التي تحدد حجم المسؤوليات العائلية الملقاة على عاتق المرأة · فالعلاقة بين عدد الأطفال ومسؤولية تنشئتهم علاقة طردية ، أي كلما ازداد عدد الأطفال ازدادت مسؤولية المرأة ، وهذه العلاقة قد تؤدي الى صراع الأدوار بالنسبة للمرأة العاملة ، نتيجة قيامها بدورين أساسين ، الدور الأسري وتنشئة الأطفال وتأدية الشؤون المنزلية ، والعمل اليومي خارج المنزل ، وما يلازم ذلك من حالات الارهاق والقلق والتوتر التي تعرض لها المرأة العاملة ·

لذلك فان الاتجاه نحو تقديم الخدمات لهن من دور الحضانة ورياض الأطفال ، وتهيئة المستلزمات التقنية لانجـاز العمل المنزلي يمكنهن من التوفيق بين الدورين · والجدول رقم (٢) يوضح عدد أطفال المبحوثات ·

جـدول رقم (٢)

يوضح فدد أطفال المبحوثات

عدد الأطفال	التكرارات	النسبة المئوية
بدون أطفال	٢٣	١٤
١ ـ ٣	٩٩	٦٢
٤ ـ ٦	٢٩	١٨
٧ ـ ٩	٦	٤
١٠ فأكثر	٣	٢
المجموع	١٦٠	١٠٠

تشير بيانات الجدول أعلاه أن ١٤٪ من العاملات ليس لديهن أطفال و ٦٢٪ منهن يتراوح عدد أطفالهن من ١ ـ ٣ طفل و ١٨٪ من العاملات يتراوح عدد أطفالهن من ٤ ـ ٦ طفل و ٤٪ يتراوح عدد أطفالهن من ٧ ـ ٩ طفل و ٢٪ يزيد عدد أطفالهن عن ذلك ٠

أما بخصوص أعمار الأطفال ، فقد تم تقسيم العينة الى فئات عمرية تتراوح بين أقل من سنة الى ٢٩ سنة فما فوق ٠ والجدول رقم (٣) يوضح ذلك ٠

الجدول رقم (٣)

يوضح عدد أطفال المبحوثات حسب فئات العمر

الفئات العمرية للاطفال	التكرارات	النسب المئوية
أقل من سنة	٢٣	١٢ر٢٣
١ ـ ٣	٤٥	٢٣ر٩٣

٤ ـ ٦	٢٧	١٤ر٣٦
٧ ـ ٩	١٥	٧ر٩٧
١٠ ـ ١٢	٢٠	١٠ر٦٣
١٣ ـ ١٥	١٣	٦ر٩١
١٦ ـ ١٨	٣٠	١٥ر٩٥
١٩ ـ ٢١	١٠	٥ر٣١
٢٩ فأكثر	٥	٢ر٦٥
المجموع	١٨٨	١٠٠

من ملاحظة بيانات الجدول أعلاه يتبين أن غالبية العاملات لديهن أطفال صغار ، أقل من سنة ـ ٦ سنوات ، وهذا يبين حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المرأة العاملة ، بسبب وجود أطفال دون سن المدرسة ٠

وقد قسمنا العينة الى فئتين الاولى (أقل من سنة ـ ٦ سنوات) والفئة الثانية من (٦ سنوات فأكثر) ، والجدول رقم (٤) يوضح ذلك ٠

جدول رقم (٤)

يوضح عدد أطفال المبحوثات حسب الفئتين العمرية

الفئات العمرية للاطفال	العاملات لديهن	٪	ليس لديهن	٪	المجموع	٪
أقل من سنة ـ ٦ سنوات	٩٥	٦٩ر٣٤	٤٢	٣٠ر٦٥	١٣٧	١٠٠
٦ سنوات فأكثر	٩٣	٦٧ر٨٨	٤٤	٣٢ر١١	١٣٧	١٠٠

نلاحظ من الجدول أعلاه أن ٦٩ر٣٤٪ من العاملات لديهن أطفال بعمر أقل من سنة وحتى ٦ سنوات ٠ و ٦٧ر٨٨٪ لديهن أطفال في عمر ٦ سنوات فما فوق ٠

٣ ـ العمـر :

يعد العمر من المتغيرات البالغة الأهميـة لبيان الفروق الفردية بين العاملات ، حيث أن نشاط العاملة يعتمد على بعض المؤشرات الفسيولوجية مثل العمر • لذلك من المهم ان نتعرف على نسبة العاملات الشابات ، اللواتي يتميزن بالنشــاط ويسهمن بشكل أكثر فاعليــة في العملية الانتاجية • وكذلك التعرف على نسبة العاملات المتقدمات في السن نسبيا • والجدول رقم (٥) يوضح ذلك •

جدول رقم (٥)

يوضح أعمار المبحوثات حسب الفئات العمرية

الفئات العمرية	التكرارات	النسب المئوية
١٨ ـ ٢٣	١٦	١٠
٢٤ ـ ٢٩	٤٢	٢٦
٣٠ ـ ٣٥	٤٩	٣١
٣٦ ـ ٤١	٢٨	١٧
٤٢ ـ ٤٧	١٦	١٠
٤٨ ـ ٥٣	٩	٦
المجموع	١٦٠	١٠٠

تم تقسيم أعمار المبحوثات الى ست فئات عمرية ، تمثل الفئة الأولى الحد الأدنى لأعمارهن وهي فئة ١٨ ـ ٢٣ سنة ، بينما تمثل الفئة الأخيرة ٤٨ ـ ٥٣ سنة الحد الاعلى لاعمار المبحوثات • ويظهر من الجدول أعلاه أن أعمار المبحوثات تقع ضمن الفئة العمرية النشطة اقتصاديا • حيث ان ١٠٪ منهن تتراوح أعمارهن بين ١٨ ـ ٢٣ سنة ، و ٢٦٪ ضمن الفئــة

العمرية ٢٤ ـ ٢٩ سنة و ٣١٪ ضمن الفئة العمرية ٣٠ ـ ٣٥ سنة و١٧٪ ضمن الفئة العمرية ٣٦ ـ ٤١ سنة و١٠٪ ضمن الفئة العمرية ٤٢ ـ ٤٧ سنة و٦٪ من العاملات فقط تقع أعمارهن ضمن الفئة العمرية ٤٨ ـ ٥٣ سنة ٠

وقد بلغ الوسط الحسابي لأعمار المبحوثات ٦٦ر٢٦ سنة ٠

٤ ـ الخلفية الاجتماعية :

نقصد بالخلفية الاجتماعية ، الانحدار الاقتصادي ـ الاجتماعي للعاملات وأنماط علاقاتهن الاجتماعية ٠ وتم اتخاذ مهنة الأب معيارا في تحديد الخلفية الاجتماعية للعاملة ٠ والجدول رقم (٦) يوضح ذلك ٠

جدول رقم (٦)

يوضح الخلفية الاجتماعية للمبحوثات

الخلفية الاجتماعية	التكرارات	النسب المئوية
فلاحة	٢٨	١٧
عمالية	٢٧	١٦
مهنة حرة	٤٣	٢٨
وظيفة رسمية	٦٢	٣٩
المجموع	١٦٠	١٠٠

توضح بيانات الجدول أعلاه أن ١٧٪ من المبحوثات من وسط اجتماعي فلاحي و١٦٪ من وسط عمالي و٢٨٪ من خلفية مهنية و٣٩٪ من المبحوثات من وسط وظيفي ٠

نجد أن النسبة العليا للمبحوثات هن من خلفية وظيفية ، أي آباؤهن يعملون في الوظائف الحكومية الرسمية تليها المهن الحرة ٠

٥ ـ خلفية الزوج :

أما بالنسبة للخلفية الاجتماعية لأزواج المبحوثات فهي موضحة في الجدول رقم (٧) ٠

جدول رقم (٧)

يوضح الخلفية الاجتماعية لأزواج المبحوثات

الخلفية الاجتماعية	التكرارات	النسبة المئوية
فلاحية	٢٠	١٢
عمالية	٣٠	١٩
مهنة حرة	٥٠	٣١
وظيفة رسمية	٦٠	٣٨
المجموع	١٦٠	١٠٠

توضح بيانات الجدول رقم (٧) ان ١٢٪ من أزواج المبحوثات من خلفية فلاحية ، و ١٩٪ منهن من خلفية عمالية و ١٣٪ منهم من مهنة حرة و ٣٨٪ من خلفية وظيفية ٠

ويتضح من الجدولين السابقين وجود نوع من التجانس بين الخلفية الاجتماعية للمبحوثات وأزواجهن ٠ أي أن الزواج يتم بين افراد ينتمون الى أوساط اجتماعية متقاربة ٠

ثانيا ـ الاحوال الثقافية : وتتضمن :

١ ـ الحالة التعليمية للمبحوثات :

يعد التعليم من المؤشرات الثقافية التي تؤثر في قدرات المرأة واسهامها في العمل الانتاجي ٠ كما أن الحالة التعليمية للمرأة والزوج تساعد على تنظيم العائلة وتنظيم أوقاتها ٠ والجدول رقم (٨) يبين الحالة

التعليمية للمبحوثات ٠

جدول رقم (٨)

يوضح الحالة التعليمية للمبحوثات

الحالة التعليمية	التكرارات	النسبة المئوية
تقرأ وتكتب	٢٣	١٣
خريجة المدرسة الشعبية	١٥	٩
خريجة ابتدائية	٢١	١٤
خريجة متوسطة	١٤	٩
خريجة اعدادية	٢٨	١٨
خريجة معهد أو كلية	٥٩	٣٧
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن ١٣٪ من العاملات يعرفن القراءة والكتابة فقط ، و٩٪ خريجات المدارس الشعبية ، و١٤٪ منهن لديهن شهادة المرحلة الابتدائية و٩٪ منهـن خريجات متوسطة و١٨٪ منهـن خريجات أعدادية و٣٧٪ من العاملات خريجات معهد أو كلية ٠

أما التحصيل الدراسي لأزواج المبحـوثات ، فيوضـحه الجـدول رقم (٩) ٠

جدول رقم (٩)

يوضح التحصيل الدراسي لأزواج المبحوثات

الحالة التعليمية	التكرارات	النسبة المئوية
يقرأ ويكتب	٣	٢
خريج المدارس الشعبية	٢	١

خريج ابتدائية	٢٠	١٣
خريج متوسطة	٢٦	١٦
خريج اعدادية	٣٧	٢٣
خريج معهد أو كلية	٧٢	٤٥
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتبين من الجدول أعلاه أن ٢٪ من أزواج المبحوثات يعرفون القراءة والكتابة ، و١٪ خريج مدرسة شعبية ، و١٣٪ منهم من خريجي المدرسة الابتدائية ، و١٦٪ من حملة شهادة متوسطة و٢٣٪ من حملة شهادة الاعدادية ، و٤٥٪ من ازواج المبحوثات من خريجي المعاهد والكليات ٠

ان ارتفاع المستوى التعليمي لأزواج المبحوثات يساعد على فهم أهمية مساهمة المرأة في العمل الانتاجي ، لتكوين دخل اضافي للاسرة ٠

ثالثا ـ الأحوال الاقتصادية : ويتضمن :

١ ـ مهنة العاملات :

ان التوسع في البناء والتنمية في القطر العراقي ، اضافة الى تعرض المجتمع الى حرب استمرت لمدة ثمان سنوات ، انسحب خلالها الرجل من مواقع العمل الانتاجي الى جبهات القتال لصد العدوان الغاشم ، وقد أدى الى أن تضطلع المرأة بدور فعال في مختلف مجالات العمل ٠ والجدول رقم (١٠) يوضح مهن المبحوثات ٠

جدول رقم (١٠)

يوضح مهن المبحوثات

المهنــة	التكرارات	النسبة المئوية
فلاحية	٥	٣

عمالية	٥٢	٣٥
مهنة حرة	١٨	١١
تعليم	٢٠	١٢
وظيفة رسمية	٦٥	٤٢
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن معظم العاملات يعملن في وظائف رسمية ، حيث بلغت نسبتهن ٤٢٪ ، وهذا يبين ارتفاع نسبة الموظفات ، خاصة بعد اصدار قرار مجلس قيادة الثورة في تحويل العمال الى موظفين في عام ١٩٨٧ · وتشعر المرأة في الوظيفة الرسمية بالاستقرار النفسي وتتمتع بامتيازات عديدة مثل الاجازات بأجر والضمانات التقاعدية · كما أن نشاط القطاع الخاص ، خاصة بعد العدوان الايراني ضد العراق اضافة الى زيادة وتوسع مشاريع التنمية ، أدى الى ارتفاع نسبة العاملات في المنشآت الاقتصادية حيث بلغت نسبة المشتغلات بمهن عمالية ٣٥٪ تليها مهنة التعليم بنسبة ١٢٪ ثم المهن الحرة بنسبة ١١٪ ثم المهن الزراعية بنسبة ٣٪ · فالمرأة ترغب في العمل في قطاع التعليم ، كما اقتحمت المرأة ميدان النشاط الحر من فتح محلات تجارية أو ممارسة مهنة الطب والهندسة والمحاماة ·

٢ ـ مهنة أزواج العاملات :

اما بالنسبة لمهنة أزواج العاملات فهو موضح في الجدول رقم (١١) ·

جدول رقم (١١)

يوضح مهنة أزواج المبحوثات

المهنة	التكرارات	النسب المئوية
فلاح	٥	٣

عامل	١٥	١٠
مهنة حرة	٢٦	١٦
عسكري	٦١	٣٨
موظف رسمي	٥٣	٣٣
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن ٣٨٪ من أزواج المبحوثات من العسكريين، وهذا يعود الى الظروف المرحلية التي يمر بها القطر وواجبه في الدفاع عن البوابة الشرقية للوطن العربي • تليها فئة الموظفين بنسبة ٣٣٪ ثم أصحاب المهن الحرة بنسبة ١٦٪ ثم العمال بنسبة ١٠٪ ثم الفلاحين بنسبة ٣٪ •

٣ ـ مدة الخدمة للمبحوثات :

يمكن أن تعد الحقبة الزمنية التي تفضلها العاملة في الانتاج مؤشرا عن استقرار المرأة في العمل وقدرتها على التكيف والتنسيق بين دورها المنزلي ودورها الانتاجي •

وقد تم تقسيم مدة الخدمة الى ست فئات اعتمادا على الحد الأدنى للخدمة وهي سنة ـ ٥ سنوات والحد الأعلى ٢٦ سنة فما فوق • انظر الجدول رقم (١٢) •

جدول رقم (١٢)

يوضح مدة خدمة المبحوثات بالسنوات

مدة الخدمة	التكرارات	النسب المئوية
١ ـ ٥	٧٤	٤٧
٦ ـ ١٠	٣٦	٢٣

١١ ـ ١٥	٣٣	٢٠
١٦ ـ ٢٠	٩	٥
٢١ ـ ٢٥	٦	٤
٢٦ ـ ٣٠	٢	١
المجموع	١٦٠	١٠٠

يبين الجدول أعلاه أن ٤٧٪ من المبحوثات تتراوح مدة خدمتهن بين ١ ـ ٥ سنوات • لكون غالبية المبحوثات من الشابات ، تليها الفئة التي مدة خدمتها من ٦ ـ ١٠ سنوات وهن بنسبة ٢٣٪ من المبحوثات ثم الفئة بين ١١ ـ ١٥ سنة بنسبة ٢٠٪ منهن ، ثم الفئة التي مدة خدمتها من ١٦ ـ ٢٠ سنة بنسبة ٥٪ ثم الفئة التي مدة خدمتها من ٢١ ـ ٢٥ سنة بنسبة ٤٪ ثم الفئة ٢٦ ـ ٣٠ سنة وهي بنسبة ١٪ فقط • أما الوسط الحسابي لمدة خدمة المبحوثات فهي ٦و٢٦ سنة •

٤ ـ الدخل الشهري للمبحوثات :

تبين من نتائج البحث ان دافع الحاجة المادية له أهمية في مشاركة المرأة في العمل الانتاجي • وهذا يفسر أهمية الدخل الشهري للعاملة والتي تحصل عليه لقاء عملها خارج المنزل • والجدول رقم (١٣) يوضح الدخل الشهري للمبحوثات بالدينار •

جدول رقم (١٣)

يوضح الدخل الشهري للمبحوثات بالدينار

فئات الدخل	التكرارات	النسب المئوية
٥٠ ـ ١٠٠	٧٥	٤٧
١٠١ ـ ١٥٠	٥١	٣٢

١٥١ ـ ٢٠٠	٢٦	١٧
٢٠١ ـ ٢٥٠	٢	١
٢٥١ ـ ٣٠٠	٢	١
٣٠١ ـ ٣٥٠	٢	١
٣٥٠ فأكثر	٢	١
المجموع	١٦٠	١٠٠

لقد تم تقسيم دخل المبحوثات الى سبع فئات استنادا الى الحد الأدنى ٥٠(١٣) دينار والحد الأعلى ٣٥١ دينار ٠ وتمثل الفئة الاولى ٥٠ ـ ١٠٠ دينار ٤٧٪ من العاملات والثانية ١٠١ ـ ١٥٠ دينار ٣٢٪ منهن والثالثة ١٥١ ـ ٢٠٠ دينار ١٧٪ منهن ٠ ثم تقل نسبة الفئات الاخرى لتشكل نسبة كل فئة منهن ١٪ فقط من المبحوثات ٠

٥ ـ الدخل الشهري لأزواج المبحوثات :

أما الدخل الشهري لأزواج المبحوثات ، فيوضحه الجدول رقم (١٤) ٠

جدول رقم (١٤)

يوضح الدخل الشهري لأزواج المبحوثات (بالدينار)

فئات الدخل	التكرارات	النسب المئوية
٥٠ ـ ١٠٠	٢٤	١٥
١٠١ ـ ١٥٠	٨٧	٥٤

(١٣) يعد الاجر الشهري الأدنى في العراق ٥٤ دينار ، وقد اضيف مبلغ ٢٥ دينار شهريا للموظفين كافة اعتبارا من ١٩٨٩/٧/١ ، لتحسين الوضع الاقتصادي للمواطن ٠

١٥١ ـ ٢٠٠	٢١	١٣
٢٠١ ـ ٢٥٠	١٥	٩
٢٥١ ـ ٣٠٠	٦	٤
٣٠١ ـ ٣٥٠	٢	١
٣٥٠ فأكثر	٥	٣
المجموع	١٦٠	١٠٠

تم تقسيم الدخل الشهري لأزواج المبحوثات الى سبع فئات أيضا ٠ وتمثل الفئة الاولى التي يتراوح دخلها بين ٥٠ ـ ١٠٠ دينار نسبة ١٥٪ ، اما الفئة الثانية ١٠١ ـ ١٥٠ دينار فهي بنسبة ٥٤٪ ، ثم الفئة الثالثة ١٥١ ـ ٢٠٠ دينار بنسبة ١٣٪ ثم الرابعة ٢٠١ ـ ٢٥٠ دينار فهي بنسبة ٩٪ ثم الفئة الخامسة التي يتراوح دخلها بين ٢٥١ ـ ٣٠٠ بنسبة ٤٪ ، ثم الفئة السادسة التي يتراوح دخلها بين ٣٠١ ـ ٣٥٠ دينار بنسبة ١٪ اما الفئة الأخيرة التي يزيد دخلها عن ٢٥٠ دينار فهي بنسبة ٣٪ ٠

ويشير الجدول رقم (١٤) الى أن المدخولات الشهرية لأزواج العاملات محدودة ، وهي قليلة نسبيا لا تكفي لاعالة الأسرة ، وهذا يعد من العوامل الرئيسية في مشاركة المرأة في العمل الانتاجي لتسهم في الانفاق على الأسرة ومتطلبات الأطفال ٠

٦ ـ كيفية انفاق العاملة لدخلها الشهري :

للتعرف على كيفية انفاق المبحوثات لمدخولاتهن الشهرية انظر الجدول رقم (١٥) ٠

جدول رقم (١٥)

يوضح كيفية انفاق العائلة لدخلها الشهري

مجالات الانفاق	التكرارات	النسب المئوية
الصرف على شؤون الاسرة	١٣٠	٨١
شراء المستلزمات الشخصية	٥٠	١٣
الادخـــار	١٠	٦
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن غالبية الزوجات ، أي بنسبة ٨١٪ ينفقن دخلهن الشهري على شؤون الأسرة ومتطلباتها • أي أن المرأة العاملة تسهم بشكل فعال في تكوين الدخل الشهري للأسرة ، وهذا يشير الى الوعي الذي تتميز به المرأة العاملة • تليها نسبة ١٣٪ من العاملات ينفقن مدخولاتهن الشهرية على مستلزماتهن الشخصية ، وهذا يخفف من أعباء الزوج • ثم ٦٪ من العاملات يتمكن من ادخار دخلهن الشهري ، لكونه يشكل ضمانة لها ولأسرتها مستقبلا •

رابعا ـ دوافع عمل المرأة ورغبتها في العمل : ويتضمن :

١ ـ دوافع عمل المرأة :

ان دوافع المرأة الى العمل الانتاجي متعددة ، فمنها ما هو اقتصادي ، أي بسبب الحاجة المـادية ، ومنها ما هـو اجتماعي ، أي لكسب المكانة الاجتماعية ، وفيها ما هو نفسي ، أي الحاجة الى تحقيق الذات في العمل أو التخلص من الملل والفراغ • والجدول رقـم (١٦) يوضح دوافع عمـل المبحوثات •

جدول رقم (١٦)

يوضح دوافع العمل لدى المبحوثات

دوافع العمل	التكرارات	النسب المئوية
اقتصادي	٨٣	٥٢
اجتماعي	٥٤	٣٤
تحقيق الذات	١٤	٩
الملل والفراغ	٦	٣
أخرى	٣	٢
المجموع	١٦٠	١٠٠

الجدول أعلاه يوضح ان ٥٢٪ من المبحوثات يعملن لأسباب اقتصادية أي لتحسين الوضع المادي لهن ولأسرتهن • و٣٤٪ منهن يعملن لأسباب اجتماعية أي لكسب منزلة اجتماعية أفضل • و٩٪ يجدن في العمل تحقيقا لذاتهن و٣٪ يعملن للتخلص من الملل والفراغ و٢٪ لديهن دوافع أخرى دفعتهن للمساهمة في العمل الانتاجي •

٢ ـ الجهة الراغبة في عمل المرأة :

ان مشاركة المرأة في العمل الانتاجي ، تمت اما بسبب الرغبة الشخصية للمرأة ذاتها ، أو بسبب رغبة زوجها أو رغبة اسرتها • والجدول رقم (١٧) يبين الجهة الراغبة في مساهمة المرأة في العمل الانتاجي •

جدول رقم (١٧)

يوضح الجهة التي دفعت المبحوثات للعمل

الجهة الراغبة في عمل المرأة	التكرارات	النسب المئوية
الرغبة الذاتية	٣٥	٢١

رغبة الزوج	٥٠	٣١
رغبة الأسرة	٧٠	٤٤
جهات أخرى	٥	٤
المجموع	١٦٠	١٠٠

الجدول أعلاه يوضح ان ٢١٪ من العاملات يعملن بسبب الرغبة الشخصية في العمل ، و٣١٪ منهن يعملن بسبب رغبة الزوج ، و٤٤٪ يعملن بسبب رغبة اسرتهن في عملهن و٤٪ يعملن لرغبة جهات أخرى ٠

وتشير بيانات الجدول الى ان اتخاذ قرار الزوجة بالعمل الانتاجي يتأثر أحيانا برغبتها وأخرى برغبة زوجها أو اسرتها ٠ حيث ان النتائج تشير الى ان ٢١٪ من العاملات يعملن بسبب الرغبة الشخصية ، و٣١٪ يعملن بسبب رغبة الزوج ، و٤٤٪ يعملن بسبب رغبة الأسرة ، و٤٪ من العاملات يعملن بسبب رغبة جهات أخرى ٠

٣ ـ الرغبة في الاستمرار بالعمل :

للتعـرف على مدى رغبـة المبحوثات بالاستمرار في عملهن ، انظـر الجدول رقم (١٨) ٠

جدول رقم (١٨)

يوضح رغبة أو عدم رغبة المبحوثات بالاستمرار في العمل

الرغبة في الاستمرار بالعمل	التكرارات	النسب المئوية
ارغب بالاستمرار	١٢٢	٧٦
لا أرغب في الاستمرار	٣٨	٢٤
المجموع	١٦٠	١٠٠

يبين الجدول أعلاه أن ٧٦٪ من العاملات يرغبن في الاستمرار بالعمل ، في حين ٢٤٪ منهن لا يرغبن بالاستمرار في العمل ٠

أما بالنسبة لأسباب عدم الرغبة فهي موضحة في الجدول رقم (١٩) ٠

جدول رقم (١٩)

يوضح أسباب عدم الرغبة في الاستمرار بالعمل

أسباب عدم الرغبة بالاستمرار بالعمل	التكرارات	النسب المئوية
التعارض بين عمل البيت والعمل	٤٢	٤١
صعوبة المواصلات	٢١	١٩
طول ساعات الدوام	٢٠	١٨
الارهاق والتعب	١٩	١٧
عدم كفاية الراتب	٧	٦
المجموع	١٠٩	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه ان ٤١٪ من المبحوثات من غير الراغبات في الاستمرار بالعمل ، يعود السبب في الرغبة الى التعارض بين دورهن ربات بيوت وواجباتهن المنزلية وبين متطلبات العمل الانتاجي ٠ و١٩٪ منهن يعود عدم الرغبة لديهن الى صعوبة المواصلات من والى العمل و١٨٪ منهن بسبب طول ساعات الدوام بالنسبة للمرأة و١٧٪ منهن يجدن ان الجمع بين الدورين يؤدي الى تعب وارهاق المرأة و٦٪ يجدن ان الراتب قليل ولا يستحق تحمل واجبات ومسؤوليات العمل خارج المنزل ٠ وقد وجدت بعض العاملات ان هنالك أكثر من سبب يؤدي الى عدم الرغبة في الاستمرار بالعمل ٠

٤ ـ مدى تعارض وصراع الأدوار :

للتعرف على وجهة نظر المبحوثات في وجود أو عدم وجود تعارض بين الدور المنزلي للمرأة ودورها الانتاجي ، انظر الجدول رقم (٢٠) ٠

جدول رقم (٢٠)

يبين رأي العاملة بمدى التعارض بين دوري المرأة

مدى التعارض	التكرارات	النسب المئوية
لا يوجد تعارض كبير	١١٥	٧٢
يوجد تعارض	١٥	٢٨
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٠) ان ٧٢٪ من العاملات لا يجدن تعارضا بين عملهن المنزلي وعملهن خارج المنزل ، وذلك لقدرة المرأة على تنظيم أوقاتها والتنسيق بين الدورين ٠ في حين تجد ٢٨٪ من المبحوثات انه يوجد تعارض بين دور المرأة المنزلي ودورها الانتاجي ، بسبب مسؤولية الأطفال وصعوبة تأدية الأعمال المنزلية المرهقة والشاقة ٠

خامسا ـ الأطفال والشؤون الاسرية : ويتضمن :

١ ـ محل ايداع الأطفال أثناء دوام المرأة :

نظرا لأن المرأة تشعر أن مسؤوليتها تجاه الأطفال تؤدي الى صعوبة مساهمة المرأة في العمل الانتاجي ، لذلك حاولنا معرفة مكان ايداع الأطفال أثناء ساعات العمل ٠ انظر الجدول رقم (٢١) ٠

جدول رقم (٢١)

يبين مكان ايداع الأطفال أثناء العمل

محل ايداع الأطفال	التكرارات	النسب المئوية
دور الحضانة	١١	٨
عند أهل الزوج	٤٣	٣٢
عند أهل الزوجة	٤١	٢٩
في البيت مع الأخوة الكبار	٣١	٢٣
عند الجيران أو الأصدقاء	١١	٨
المجموع	١٣٧	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢١) أن ٨٪ فقط من العاملات يودعن أطفالهن في دور الحضانة أثناء العمل ، وذلك بسبب ارتفاع أجورها وعدم اطمئنان الأم على طفلها ورعايته في دار الحضانة ٠ و ٣٢٪ من العاملات يودعن أطفالهن أثناء العمل لدى أهلهن ، و٢٩٪ منهن يودعن أطفالهن لدى أهل الزوج ، و٢٣٪ منهن يتركن أطفالهن في البيت لوجود أخوة أكبر سنا منهم ، و٨٪ يودعن أطفالهن لدى الجيران أو الأصدقاء ٠ وهذا يشير الى قوة الروابط العائلية والعلاقات الأولية بين الجيران ٠

٢ ـ مساعدة الزوج في الشؤون الأسرية :

لابد من التخفيف من مسؤولية المرأة العاملة عن طريق مشاركة الزوج أو الأبناء في بعض الأعمال والشؤون المنزلية ورعاية الأطفال ٠

والجدول رقم (٢٢) يوضح مساعدة أو عدم مساعدة الزوجة للزوجة العاملة ٠

جدول رقم (٢٢)

يوضح مساعدة الزوج للزوجة العاملة في الاسرة

مساعدة الزوج	التكرارات	النسب المئوية
الزوج يساعد	٩٥	٥٩
الزوج لا يساعده	٦٥	٤١
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٢) أن ٥٩٪ من ازواج المبحوثات يساعدون زوجاتهم في بعض الشؤون المنزلية ورعاية الأطفال ، و٤١٪ منهم لايساعدون زوجاتهم في ذلك . لأن بعض الرجال يجدون في المساهمة بالأعمال المنزلية انتقاصا من منزلتهم الاجتماعية . وتتركز مساعدة الأزواج في مراقبة الأطفال أو تدريسهم .

٣ ـ مشاركة العاملة في اتخاذ القرارات الأسرية :

لمعرفة مدى مشاركة المرأة العاملة في اتخاذ القرارات الخاصة بشؤون الأسرة انظر الجدول رقم (٢٣) .

جدول رقم (٢٣)

يوضح مشاركة المبحوثات في اتخاذ القرارات الأسرية

مدى المشاركة	التكرارات	النسب المئوية
اشارك	١٣٥	٨٤
لا أشارك	٢٥	١٦
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٣) أن ٨٤٪ من الزوجات العاملات يشاركن

أزواجهن في اتخاذ القرارات الخاصة بشؤون الاسرة ، و١٦٪ منهن لايشاركن بذلك ، بسبب رغبة الرجل في الانفراد بذلك وشعوره بعدم قدرة المرأة على اتخاذ القرارات الأسرية ٠

٤ ـ العمل والعلاقات الأسرية :

لمعرفة مدى تأثير عمل المرأة خارج الأسرة في العلاقات الأسرية ، انظر الجدول رقم (٢٤) ٠

جدول رقم (٢٤)

يوضح تأثير العمل في العلاقات الأسرية

العمل والعلاقات الاسرية	التكرارات	النسب المئوية
يؤثر العمل سلباً في العلاقات	٤٦	٢٩
لا يؤثر العمل في العلاقات	١١٤	٧١
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول (٢٤) أن ٢٩٪ من المبحوثات ترتبت على عملهن خارج المنزل مشكلات أسرية ، وذلك بسبب تعب وارهاق العاملة نتيجة للدور المزدوج الذي تقوم به ٠ الا ان الغالبية العظمى وهي بنسبة ٧١٪ لم تتأثر علاقاتهن الأسرية بعملهن خارج المنزل ، ولأن عمل المرأة يضيف دخلا اضافيا للأسرة ويخفف من مشكلاتها المادية ، ويحسن الوضع النفسي للزوجين ٠

سادسا ـ النظرة الاجتماعية لعمل المرأة : ويتضمن :

١ ـ نظرة المجتمع للمرأة العاملة :

للتعرف على نظرة المجتمع الى عمل المرأة والمرأة العاملة من وجهة نظر

المبحوثات انظر الجدول رقم (٢٥) ٠

جدول رقم (٢٥)

يوضح نظرة المجتمع للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات

نظرة المجتمع	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	٥٣	٣٣
اعتيادية	٨٩	٥٦
سلبية	١٨	١١
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٥) ان ٣٣٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة ايجابية أي يحترمها ويقدر جهدها الانتاجي و٥٦٪ منهن يعتقدن ان نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة اعتيادية ، و١١٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة المجتمع لا تزال نظرة سلبية الى المرأة العاملة ٠

٢ ـ نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات :

للتعرف على نظـرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات انظر الجدول رقم (٢٦) ٠

جدول رقم (٢٦)

يبين نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات

نظرة الرجل	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	٨٣	٥٢
اعتيادية	٥٣	٣٣

سلبية	٢٤	١٥
المجموع	١٦٠	١٠٠

يوضح الجدول رقم (٢٦) نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات • حيث ترى ٥٢٪ منهن ان نظرة الرجل ايجابية للمرأة العاملة و٣٣٪ منهن ترى ان النظرة اعتيادية و١٥ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة الرجل الى المرأة العاملة هي نظرة سلبية ، أي ان النظرة التقليدية لا تزال قائمة لدى بعض الرجال ويعتقدون بأن المرأة يجب ان تختص بالشؤون المنزلية فقط •

٣ ـ نظرة المرأة ذاتها الى المرأة العاملة :

للتعرف على نظرة المرأة ذاتها الى المرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات انظر الجدول رقم (٢٧) •

جدول رقم (٢٧)

يبين نظرة المرأة ذاتها الى عمل المرأة

نظرة المرأة	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	٧٦	٤٧ر٥
اعتيادية	٧٦	٤٧ر٥
سلبية	٨	٥٪
المجموع	١٦٠	١٠٠

تشير البيانات في الجدول أعلاه الى أن نظرة المرأة للعمل نظـــرة ايجابية ٤٧ر٥٪ من المبحوثات يعتقدن أن المرأة تنظـــر باحترام للمرأة العاملة وتقدر جهودها • و٤٧ر٥٪ يعتقدن ان النظرة اعتيادية و ٥٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة المرأة للمرأة العاملة لا تزال سلبية ، وذلك

بتأثير التنشئة الاجتماعية التي انشأت بموجبها ·

٤ ـ رأي المبحوثات في تفرغهن للعمل المنزلي :

للتعرف على رأي المرأة العاملة في التفرغ للعمل المنزلي أو مزاولة انشطة انتاجية انظر الجدول رقم (٢٨) ·

جدول رقم (٢٨)

الرغبة في التفرغ للعمل المنزلي	التكرارات	النسب المئوية
نعم أفضل التفرغ للمنزل	٨٦	٥٤
أفضل العمل في أي نشاط	٣٢	٢١
افضل الوظيفة الرسمية	٤٢	٢٥
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٨) أن ٥٤٪ من المبحوثات يفضلن ترك أعمالهن الانتاجية والتفرغ للشؤون المنزلية و٢١٪ يفضلن العمل في أي من مجالات الأنشطة الانتاجية على التفرغ للشؤون المنزلية و٢٥٪ يفضلن الوظيفة الرسمية ·

ويعود السبب في رغبة المرأة بترك نشاطها الانتاجي والتفرغ للاعمال المنزلية الى أسباب متعددة ، منها اجتماعية ومنها نفسية ، كما وضحته بيانات البحث ·

استطلاع رأي الأزواج بعمل المرأة :

استكمالا لتصور متكامل للمرأة والعمل ، اعددنا استمارة استبيان لرأي الازواج في عمل المرأة · وتضمنت الاستمارة البيانات التالية :

١ ـ رأي الزوج في عمل المرأة :

للتعرف على رأي الزوج بدور المرأة ، ورغبته في تفرغها للشؤون المنزلية أو المساهمة في العمل الانتاجي ، انظر الجدول رقم (٢٩) ·

جدول رقم (٢٩)

يوضح رأي المبحوثين من الازواج في عمل المرأة

رأي الزوج في دور المرأة	التكرارات	النسب المئوية
التفرغ للشؤون الاسرية	٢٩	٧٣
العمل خارج المنزل	١١	٢٧
المجموع	٤٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٩) أن ٧٣٪ من الازواج يفضلون تفرغ زوجاتهم للشؤون الأسرية ، و٢٧٪ منهم يفضلون مساهمة زوجاتهم في النشاط الاقتصادي · وهذا يعني ان الرجل لا يزال يتحفظ على عمل المرأة ويرى ضرورة تفرغها للشؤون المنزلية وتأدية دورها في انجاب الاطفال ورعايتهم والاهتمام بالزوج وشؤون المنزل ·

٢ ـ المجالات التي يفضلها الزوج لعمل زوجته :

للتعرف على وجهة نظر الزوج في العمل المناسب للمرأة انظر الجدول رقم (٣٠) ·

جدول رقم (٣٠)

يوضح المجالات المناسبة لعمل المرأة بنظر الزوج

المجالات	التكرارات	النسب المئوية
التعليم	٣٢	٨٠

الوظيفة الرسمية	٢	٥
العمل الحر	٢	٥
مختلف المجالات	٤	١٠
المجموع	٤٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه ان ٨٠٪ من الازواج يفضلون عمل الزوجة في مجال التعليم ، و٥٪ يفضلون عمل الزوجة في الوظيفة الرسمية ، و٥٪ من المبحوثين يفضلون عمل الزوجة في العمل الحر ، و١٠٪ من المبحوثين يجدون ان المرأة تصلح للعمل في مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية ·

٣ ـ مساعدة الزوج في الشؤون الأسرية :

للتعرف على مدى تقبل الزوج في مساعدة زوجته في بعض الاعمال المنزلية للتخفيف من أعبائها ، انظر الجدول رقم (٣١) ·

جدول رقم (٣١)

يوضح مدى مساعدة الزوج في الشؤون الاسرية

المساعدة	التكرارات	النسب المئوية
اساعد في العمل المنزلي	٢٦	٦٥
لا اساعد في العمل المنزلي	١٤	٣٥
المجموع	٤٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه ان ٦٥٪ من الازواج يمدون يد العون والمساعدة لزوجاتهم في بعض الاعمال الاسرية ورعاية الاطفال · في حين ٣٥٪ من المبحوين لا يساعدون زوجاتهم في الشؤون الاسرية ، ويعتبرون ذلك من اختصاص وواجبات المرأة ·

٤ ـ تأثير عمل المرأة في الاسرة من وجهة نظر الزوج :

للتعرف على وجهة نظر الزوج في الآثار المترتبة على عمل الزوجة في الأسرة وفي العلاقات الزوجية انظر الجدول رقم (٣٢) .

جدول رقم (٣٢)

يوضح تأثير عمل المرأة في الاسرة من وجهة نظر الزوج

تأثير عمل المرأة في الاسرة	التكرارات	النسب المئوية
يتعارض عمل المرأة كليا مع عملها المنزلي	٢٠	٥٠
يتعارض عمل المرأة احيانا	١٥	٣٨
لا يتعارض عمل المرأة مع عملها المنزلي	٥	١٢
المجموع	٤٠	١٠٠

٥ ـ نظرة المجتمع لعمل المرأة من وجهة نظر الرجل :

للتعرف على نظرة المجتمع الى عمل المرأة من وجهة نظر المبحوثين من عينة الرجال ، انظر الجدول رقم (٣٣) .

جدول رقم (٣٣)

يوضح نظرة المجتمع للمرأة العاملة من وجهة نظر الازواج

نظرة المجتمع	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	١٩	٤٨
اعتيادية (عطف)	١١	٢٧
سلبية	١٠	٢٥
المجموع	٤٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه ان ٤٨٪ من المبحوثين من عينة الرجال يعتقدون ان نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة تقدير واحترام ، و٢٧٪ من المبحوثين يعتقدون ان نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة اعتيادية و٢٥٪ من المبحوثين يعتقدون ان نظرة المجتمع هي نظرة سلبية ٠

٦ ـ نظرة الرجل للمرأة من وجهة نظر المبحوثين :

للتعرف على نظرة الرجل الى المرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثين من الرجال انظر الجدول رقم (٣٤) ٠

جدول رقم (٣٤)

يوضح نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثين

نظرة الرجل	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	٢١	٥٢
اعتيادية (عطف)	١١	٢٧
سلبية	٨	٢١
المجموع	٤٠	١٠٠

يوضح الجدول أعلاه أن نظرة ٥٢٪ من المبحوثين من الرجال يعتقدون أن نظرة الرجل للمرأة العاملة هي نظرة تقدير واحترام، و٢٧٪ يرونها اعتيادية يسودها العطف والشفقة ، و٢١٪ من عينة الرجال يعتقدون ان نظرة الرجل هي نظرة سلبية لعمل المرأة ٠

٧ ـ نظرة المرأة للعاملة من وجهة نظر المبحوثين :

للتعرف على نظرة المرأة ذاتها الى المرأة العاملة من وجهة نظر الرجال من عينة البحث ، انظر الجدول رقم (٣٥) ٠

جدول رقم (٣٥)

يوضح نظرة المرأة للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثين

نظرة المرأة	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	١٨	٤٥
اعتيادية (عطف)	١٢	٣٠
سلبية	١٠	٢٥

تشير البيانات في الجدول أعلاه الى أن نظرة المرأة ذاتها من وجهة نظر الرجل هي نظرة تقدير واحترام بالنسبة لـ ٤٥٪ من المبحوثين ونظرة اعتيادية يشوبها العطف والشفقة بنظر ٣٠٪ من المبحوثين ونظرة سلبية بالنسبة لـ ٢٥٪ من عينة المبحوثين ٠

أي ان النظـرة الى عمـل المرأة والمرأة العاملة لا تزال تتراوح بين الايجابية والسلبية ٠ بين الراديكالية والتقليدية ٠

٢ ـ استنتاجات البحث :

من أبرز النتائج التي توصـلنا اليها من خلال الدراسة الميدانيـة وتحليل البيانات الخاصة بعينة البحث من النساء العاملات ومن الرجال العاملين ما يلي :ـ

١ ـ ظهر ان وسيط اعمار مفردات مجتمع البحث ٢٦ر٦٦ سنة ٠

٢ ـ تميـل المـرأة الى العمـل في الوظائف الرسمية أكثر من المجـالات الاقتصادية الاخرى ، لكونها توفر استقرارا وضمانا للمرأة ٠

٣ ـ يوجـد تجانس بين عينـة النساء من العاملات وعينـة الازواج من المبحوثين في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠

٤ ـ تسهم غالبية المبحوثات بمدخولاتهن الشهرية للانفاق على الاسرة واحتياجاتها المادية ·

٥ ـ يمثل الدافع الاقتصادي أهم الدوافع لعمل المرأة ، حيث تعمل بدافع اقتصادي بالنسبة لـ ٥٢٪ من عينة المبحوثات والدافع الاجتماعي بالنسبة لـ ٣٤٪ من عينة المبحوثات والدافع النفسي بالنسبة لـ ٩٪ من العينة ·

٦ ـ غالبية النساء من المبحوثات يفضلن الاستمرار في العمل الانتاجي وذلك بالنسبة لـ ٧٦٪ من العينة ، وهذا يعني عدم وجود صعوبات بالنسبة للمرأة العاملة ·

٧ ـ ٧٢٪ من المبحوثات لا يجدن تعارض بين الدورين للمرأة الدور المنزلي والدور الانتاجي ، و٢٨٪ يعتقدن بوجود تعارض بين الدورين ·

٨ ـ يتقبل الزوج فكرة مساعدة الزوجة في الشؤون المنزلية بالنسبة لـ ٥٩٪ من مفردات العينة ·

٩ ـ يتقبل الزوج فكرة مشاركة المرأة باتخاذ القرارات الخاصة بشؤون الأسرة بنسبة ٨٤٪ من عبنة البحث ، و١٦٪ يرفض الزوج ذلك ·

١٠ـ لم يسبب عمل المرأة خلافات أسرية بالنسبة لـ ٧١٪ من عينة المبحوثات ، وبسبب خلافات اسرية بالنسبة لـ ٢٩٪ من عينة المبحوثات ·

١١ـ ٣٣٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة المجتمع ايجابية بالنسبة لعمل المرأة و٥٦٪ نظرة اعتيادية و١١٪ يعتقدن ان نظرة المجتمع لا تزال نظرة سلبية بالنسبة لعمل المرأة ·

١٢- ٥٢٪ من العينة يعتقدن ان نظرة الرجل ايجابية لعمل المرأة و٣٣٪ منهن يعتقدن انها اعتيادية ، و١٥٪ يعتقدن انها سلبية .

١٣- ٥ر٤٧٪ من العينة يعتقدن ان نظرة المرأة ايجابية بالنسبة لعمل المرأة و٥ر٤٧٪ من العينة يعتقدن انها اعتيادية و٥٪ يعتقدن انها سلبية .

١٤- ٨٠٪ من عينة الرجال يعتقدون ان مجال التعليم هو الافضل بالنسبة لعمل المرأة ، و١٠٪ يعتقدون ان المرأة يمكن ان تعمل في المجالات الاقتصادية كافة و١٠٪ يفضلون الاعمال الحرة أو الوظائف الرسمية .

١٥- ٥٠٪ من عينة الرجال يعتقدون بوجود تعارض بين عمل المرأة الانتاجي وعملها المنزلي ، و٣٨٪ يعتقدون ان هنالك تعارضا احيانا و١٢٪ لا يرى وجود تعارض .

التحليل الزماني ـ المكاني لامراض الطفل في العراق

دراسة في الجغرافية الطبية

الدكتور محسن عبدالصاحب المظفر
الاستاذ المساعد
كلية الآداب ـ جامعة القادسية

المقـــدمة :

مبررات الاختيار :

الأطفال يمثلون اعداداً كبيرة من السكان وهم قاعدة الهرم السكاني لكل مجتمع حيث ترتكز عليها اعداد الفئات العمرية الشابة • والاطفال بحاجة الى العناية بما يتناسب مع عـددهم الكبير الذي يؤلف نسبة من المجتمع تترك آثارها البالغة على تكوينه الاجتماعي والثقافي والفكري • ولذلك فهم يحتاجون الى الرعاية بما يتناسب مع حجمهم •

والأطفال يؤلفون عبئا على الفئة العائلة ، ولذلك فأن تعرضهم الى مشكلات صحية يزيد من اعباء تلك الفئة واعباء المجتمع ككل ، وعليه يتطلب الاهتمام الخاص بحل مشاكل الأطفال وتوفير الحد الادنى على الاقل من مقومات الحياة الطبيعية لهم •

ان احتساب الأطفال يمكن ان يؤخذ على أساس الافتراض بأنهـم يشملون كافة السكان بعمـر ١٤ سنة وأقل وهـو (التعريف القانوني والتربوي للطفل) •

مشكلة البحث :

يحدد الباحث مشكلة بحثـه على أساس مجمـوعة أسئلة تتطلب

الاجابة عنها : ما هي مشكلة الأطفال وممّ يعانون ؟! فأن هم يعانون من مشكلة الموت في الأشهر الاولى وادنى من ذلك او هم يعانون من أمراض خصة بهم تسمى بامراض الطفولة فما هي الاسس التي تتوجب تهياتهـا لمعالجة الموقف فيما يختص بالأم والطفل معاً ؟! هل هناك عوامل باثولوجية وجغرافية معينة تعمل على خلق بيئة لتوالد وانتشار أمراض الطفولة ؟!

كل هذه الاسئلة يجيب عنها هذا البحث في معالجة جغرافية (زمانية مكانية) ، (Spatial - Temporal Analysis) لأمراض الطفل في العراق ، ولذلك انتهج البحث خطواته بـ :

١ ـ التعريف بأمراض الطفل التي ركز عليها البحث مع الاشارة الى الأمراض الاخرى التي تصيب الاطفال •

٢ ـ اصالة العرب بطب الأطفال ومدى معرفتهم بأمراض الطفولة •

٣ ـ التركيب العمري للسكان المصاب بأمراض الطفولة •

٤ ـ التغير بأمراض الطفولة بحسب الفصول •

٥ ـ التوزيع المكاني لأمراض الطفولة في العراق •

٦ ـ العوامل الجغرافية البيئية المسببة والمؤثرة في نشأة امراض الطفولة •

٧ ـ المؤشرات الصحية المتعلقة بأمراض الطفولة •

وقـد اعتمـد الباحث في قياسه لحل مشكلة البحث على وحدات احصائية هي :

١ ـ اتخاذ عدد الاصابات لكل مائة الف من السكان في كل محافظـة للفترة ٧١ ـ ١٩٨٤ على اساس المعدل لكل سنة تخلصا من الارقام المطلقـة •

٢ ـ اعتماد الفئات العمرية في توزيع الاصابات وعلى أساس معدل كل

فئة عمرية للفترة ٧١–١٩٨٤ • واعتماد الاصابات لكل شهر ولذات الفترة •

٣ – اتخاذ الوسط الحسابي للقيم وانحراف القيم عن وسطها لكل مرض بغية التوزيع السكاني للكشف عن الاختلاف في هذا التوزيع •

٤ – اعتماد اختيار مربع كي f^2 لتحديد طبيعة العلاقة بين الاصابات والمؤشرات المختارة المختلفة ثم علاقتها بظهور أقاليم متشابهة أو ذات توافق مرضي وتوافق في مؤشراتها الصحية •

كل ذلك من أجل تحليل المعطيات الرقمية التي حصل عليها الباحث من مصادرها الأساسية ولتوثيق المعطيات ورفع مستوى الثقة قام الباحث بدراسة ميدانية واجراء مقابلات شخصية مع المعنيين في شؤون طب الأطفال ومراجعة مختلف المصادر القديمة والحديثة •• وقد اختار الباحث الفترة ٧١ – ١٩٨٤ حيث ان المعطيات الرقمية والمعلومات المتوفرة تمثل فترة غير قصيرة وهي أكثر نسقاً تجعل من البحث وحدة متكاملة أكثر موضوعية ، ومع هذا اعترضت الباحث مشكلة الاحصاءات بحسب المحافظات لسبب اختلاف التقسيم الادراري خلال هذه الفترة ، وقد ذلل الباحث هذه المشكلة بتجزأة الاحصاءات بحسب الأقضية وأحيانا النواحي ثم جمعها وتوزيعها على أساس التقسيم الاداري للمحافظات الأخير •

التعريف بأمراض الطفولة (Diseases of Childhood)

يصاب الأطفال بمختلف الأمراض السارية ، كما يصاب بالاسهالات الصيفية تلك الاسهالات المسؤولة عن موت نصف الأطفال خلال السنة الأولى من العمر كما يصاب بأمراض الجهاز التنفسي ، فالأطفال أكثر استعدادا للاصابة بمرض السل وبخاصة اولئك الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات ، وهنا ينصح بأعطاء اللقاح الواقي (BCG) في الاسبوع

الاول من الولادة ، ثم ترتفع المناعة ابتـداء من سن دخوله المدرسة .
ويصاب الاطفال بالحميات المختلفة والكلا ازار وبأمراض سوء التغذية ،
والنزلات المعوية ، وان مجموعة أمراض سوء التغذية والنزلات والالتهابات
الصدرية تؤلف بمجموعها وحدة متكاملة ذات علاقة متداخلة كل منها
قد يؤدي الى الآخر ، وهي منتشرة بين الاطفال تؤدي الى وفاتهم المبكرة .

وان كانت قـد اختفت تقريبا بعض الأمراض الوبائية عن جهات
كثيرة من العالم ، فأن اوبئة الامراض البسيطة (شديدة العدوى) هي
الاكثر شيوعا كالحصبة Measles ، والجديري ، والحمى القرمزية
(Scarlet F.) والسعال الديكي Whooping caugh ، والدفتريا
Chicken pox ، وشلل الاطفال Poliomyelitis والكـزاز
Tetonus . هكـذا اختـار الباحث سبعة أمراض عـرفت بأمراض
الطفـولة .

ان من السمات المميزة لأمراض الطفولة أنها لا تهاجم الشخص
مرتين لأن في أثنـاء فترة المرض تكـون أنسجة الجسم المـادة المضـادة
(Antibody)وان هذه المادة المضادة قاتلة للميكروبات المهاجمة ،
كما ان قليلا منها يبقى في الجسم طيلة العمر بحيث تبيد أية مكروبات
من نفس النوع تحاول التسلل الى نفس الشخص . وهذا من حسن حظ
الآباء لأنهـم يقـومون بتمريض أبنائهـم دون ان يخشـوا العـدوى ،
وان التطعيـم Vaccination يدفع أجهزة الجسم لتصنع مضادات الى
نفس المرض الذي طعم ضده ، ويصبح الطفل محصن (Immune)
من المرض .

وتجدر الاشارة المقتضبة الى طبيعة كل نوع من أنواع الأمراض
السبعة التي يتناولها البحث :

١ ـ الحصبة :

هي أكثر أمراض الطفولة انتشاراً يسببها فيروس شديد العدوى تبلغ فترة حضانته ١٠ ـ ١١ يوما واحيانا تطول الى ثلاثة أسابيع ، وتنتقل عدوى الحصبة عن طريق الرذاذ المتطاير ، وعن طريق الهواء والمجاري التنفسية .

٢ ـ الحمى القرمزية :

تسببه الجراثيم السبحية الأدمائية (Haemolytic) وهي تنتشر في الرذاذ في الهواء وفي الطعام والمناديل وبعض الأشياء الاخرى ، وعندما تدخل الجسم تستقر في الحلق وبعد حضانة ثلاثة أيام تسبب التهابا في الحلق واللوزتين ويعزى الطفح الى اسم (Toxin) الجراثيم الذي تفرزه في الجسم ويسبب توسع في اوعية الجلد فيكتسب الجلد لذلك اللون القرمزي وقد قل تأثير الحمى القرمزية في الوقت الحاضر بسبب المضادات .

٣ ـ جديري الاطفال :

يشبه الجدري الخطير الذي ينتشر على الوجه واليدين والجدري ينتشر بغزارة على الجسم . دور حضانة المكروب ١٤ ـ ١٦ يوما .

٤ ـ الدفتريا :

تتميز بظهور غشاء فوق الغشاء المخاطي المبطن للجزء العلوي من الجهاز التنفسي ، تسببه بكتريا الدفتريا . وهي معدية تنتشر عن طريق الاحتكاك بالمصابين أو عن طريق رذاذهم ، واعراضها حرارة مع صداع وارهاق والتهاب الحلق مع صعوبة في البلع .

٥ ـ السعال الديكي :

تسببه جرثومة بوردية جنجـو وذلك اشـارة الى العاملين الذين

اكتشفاها سنة ١٩٠٦م وهـو مرض مرعج ، وحضانته بين ٥ ، ١٥ يوم وهو يصيب الأطفال تحت سن الخامسة .

٦ - شلل الاطفال :

يظهر بتلوث أغذية الأطفال بالفيروسات وعن طريق الفم أو عن طريق حامل المرض أو بالذباب وعن طريق الجهاز التنفسي بقطرات الرذاذ . دور الحضانة ٧ - ١٤ يوم تسبق المرض حالات صداع وعدم شهية وقيء واسهال ويظهـر الشلل بالاطراف في الاغلب وتشمل حالات الشلل ، شلل العمود الفقري ، وشلل المثانة ، وشلل النخاع المستطيل .

٧ - الكزاز :

يتسبب عن دخـول جرثومة الكزاز الى الجروح وهنـاك الكزاز الولادي بتلوث السرة . ودورة حضانة المكروب (٥ - ١٤ يوما) .

معرفة العرب بأمراض الطفل وعلاجها :

ورد في طب الاطفال ببلاد ما بين النهرين ، بأنه نشر لابلات كتابا يحتوي على أربع متسلسلات مجموعها أربعين رقما لكل منها عنوان وهي تتحدث عن مختلف الأمراض ، خصص القسم الثالث منها عن الأطفال وأمراضهم وتطبيبهم ، وخصص القسم الخامس من الكتاب عن المرأة وعن أمراضها ويتألف من عشرة ألواح لم يعثر سوى على ثلاثة منها[1] .

وان الرازي أول من فصل بين طب الطفل والأمراض النسائية ، والف رسالة في طب الاطفال سنة ٩٠٠م وقـد تناول فيـه طب الأطفال بوجه عام .

وكذلك كتب أحمد بن محمد الطبري عن علل الاطفال ، ويبدو ان كتـاب ابن الجـزار القيرواني حوالي سنة ٩٨٤م (سـياسة الصبيان وتدبيرهم) هـو اكمل تأليف مطبوع في طب الاطفال بالنسبة للاطبـاء

العرب ، وكذلك كتاب أحمد بن محمد البلدي وهو بعنوان (تدبير الحبالى والمولودين)[١] وكذلك كتب عريب بن سعيد القرطبي وأبو القاسم الزهراوي وابن سينا عن الامومة والطفولة[٣] .

اما عن أمراض الاطفال فقد كتب الاطباء العرب الكثير ، اذ كتب الرازي عن امراض الامعاء والمعدة عند الاطفل وكتب عريب بن سعيد القرطبي وابن سينا عن الديدان عند الاطفل . اما أمراض الجهاز التنفسي عند الاطفال فقد تناولها أطباء عرب كثيرون ، منهم عريب والرازي والجزار وابن سينا والطبري ، اما الجهز العصبي والحركي وابولي والتناسلي ، فقد كتب عنها الجزار وابن سينا[٤] .

وكتب عن الأمراض المعدية التي تصيب الأطفال عدة اطباء عرب منهم الرازي الذي كتب عن الشلل ويقول في ذلك : « يحدث الشلل في الاطفال اما في طرف واحد أو في الجسم كله وتمنع الطفل من المشي أو أي نوع من الحركة ، ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب .. » ، ووصف الرازي في مواضع كثيرة من كتابه الحاوي عن حالات الشلل وأسباب وطرق تداويه[٥] .

وكتب الطبري عن الكزاز الذي يصيب الأطفال وقال : « يحدث في افمام الصبيان عله تعرف بالأصطكاك .... » وهو ان يصطك أسنانه ويبرز عيناه وفي سائر بدنه شبيه بالاختلاج ، ولم ارَ طفلاً حدثت به هذه العلة ونجا منها .. ذلك هو الكزاز لا يكاد يحدث هذا بالطفل الا اذا كانت به جراح خفيفة أو ظاهرة »[٦] .

واشتهر في عهد الخليفة الرشيد الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي والذي عالج الأطفال والمرضعات وتطرق للموضوع ذاته أبو زيد حنين العبادي زمن الخليفة المعتصم[٧] .

وتناول نفس الموضوع أطباء عرب آخرون كثيرون منهم علي بن

رضوان وابن الحسن علي بن هبل البغدادي ، وعلاءالدين ابن ابي الحزم المعروف بأبن انفيس وداود الأنطاكي وغيرهم •

التحليل الزماني لامراض الطفل في العراق

١ ـ الترتيب العمري للسكان المصاب بأمراض الطفولة :

يشير الجدول (١) الى النسب المئوية لمجاميع معدلات اصابات أمراض الطفولة للمدة ٧١ ـ ١٩٨٤ وبحسب الاعمار في العراق ، وقد كشفت النسب في الجدول المذكور عن ان الفئة العمرية من سنة الى ٤ سنوات هي الفئة التي تتعرض الى مخاطـر كبيرة ، حيث تتعرض الى الدفتريا بنسبة ٤٥ر٧٪ والحصبة الى نسبة ٦٩ر٣٪ وجدري الماء بنسبة ٦٣ر٣٪ والشلل ٦٣٪ والحمى القرمزية ٥١ر٨٪ والسعال الديكي ٦٢ر٣٪ بينما الفئتان العمريتان

جـــدول (١)

النسبة المئوية لمجاميع معدلات اصابات أمراض الطفولة

للمدة ١٩٧١ ـ ١٩٨٤ حسب الفئات العمرية (*)

الفئة العمرية	الدفتريا		الحصبة		جدري الماء	
	الاصابات معدل سنوي	النسبة ٪	الاصابات معدل سنوي	النسبة ٪	الاصابات معدل سنوي	النسبة ٪
اقل من سنة	٥٧	٦	٣١١٧	٦	٥٠٩	٥ر٨
١ ـ ٤	٤٢٧	٤٥ر٧	٣٥٧٨٣	٦٩ر٣	٥٥٣٤	٦٣ر٣
٥ ـ ٩	٢٣٨	٢٥ر٥	٩٥٨٠	١٨ر٦	٢٢٥٠	٢٥ر٧
١٠ ـ ١٤	٧٥	٨	٢٧٤٠	٥ر٣	٣٣٣	٣ر٨
١٥ ـ ١٩	٣٧	٤	١٦٠	٠ر٣	٤٨	٠ر٥

٢٠ – ٢٤	١١	١ر٢	٩٨	٠ر٢	٢٩	٠ر٣
٢٥ – ٤٤	٧٧	٨ر٢	١٠٧	٠ر٢٤	٤٢	٠ر٥
٤٥ – ٦٤	١٠	١	١٠	٠ر٠٥	٥	٠و٠٥
٦٥ – ٧٤	٢	٠ر٣	١	٠ر٠٠٥	١	٠ر٠٢٥
٧٥ فأكثر	١	٠ر١	١	٠ر٠٠٥	١	٠ر٠٢٥
المجموع	٩٣٥	١٠٠٪	٥١٥٩٧	١٠٠٪	٨٧٥٢	١٠٠٪

* – أعد الباحث هذا الجدول بالاعتماد على مجموعة جداول لعدة سنوات انظر :

٨ – الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، مديرية الاحصاء ، البوصلة الاحصائية للاعوام ٧١–١٩٧٥ مطبعة دائرة الطباعة ، بغداد .

٩ – Republic of Iraq Ministry of Health, Medicine Statistics, for, 1970-1980.

١٠– جداول غير مطبوعة للاعوام ١٩٨١–١٩٨٤ ، اضافة الى الدراسة الميدانية .

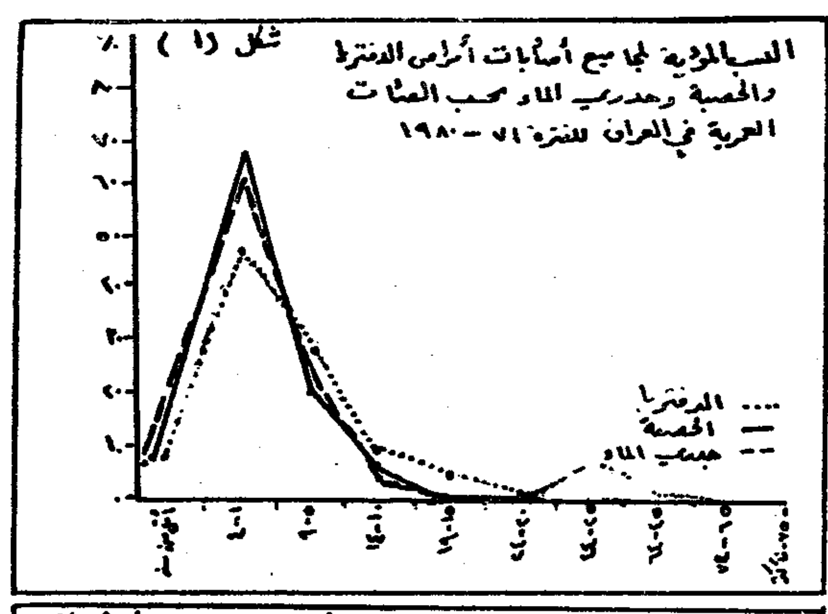
يتبع / جدول (١)

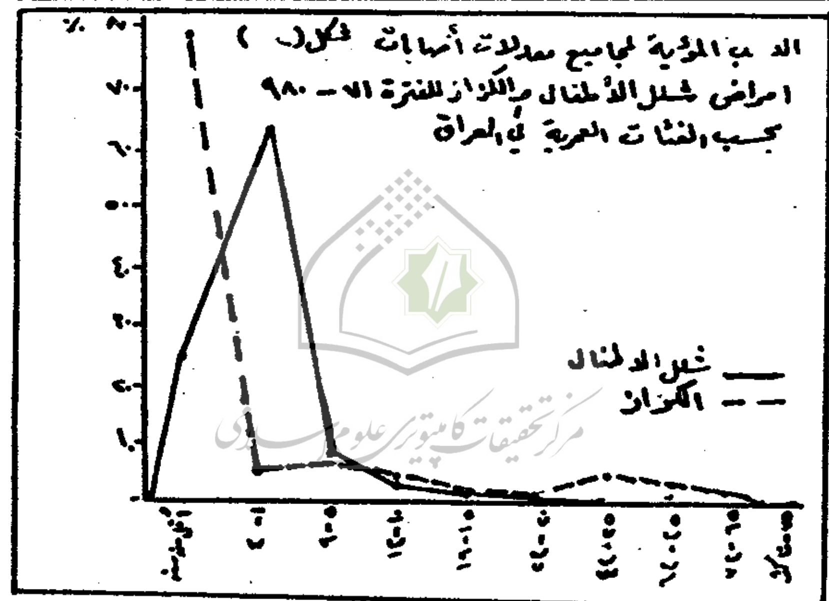
شلل الاطفال		الكزاز		الحمى القرمزية		السعال الديكي	
الاصابات	النسبة	الاصابات	النسبة	الاصابات	النسبة	الاصابات	النسبة
معدل سنوي	٪	معدل سنوي	٪	معدل سنوي	٪	معدل سنوي	٪
١٨٥	٢٤ر٤	٧٢٥	٧٩ر٣	١١	٥	٧٢٦	٧ر٧
٤٧٧	٦٣	٣٨	٤ر٢	١١٥	٥١ر٨	٥٨٧٨	٦٢ر٣
٦٠	٧ر٩	٤٧	٥ر٢	٧٥	٣٣ر٨	٢٤١٥	٢٥ر٦
١٦	٢ر٢	٢٧	٣	١٤	٦ر٣	٣١٣	٣ر٣
٨	١ر١	١١	١ر٢	٢	٠ر٩	٤٢	٠ر٤٤

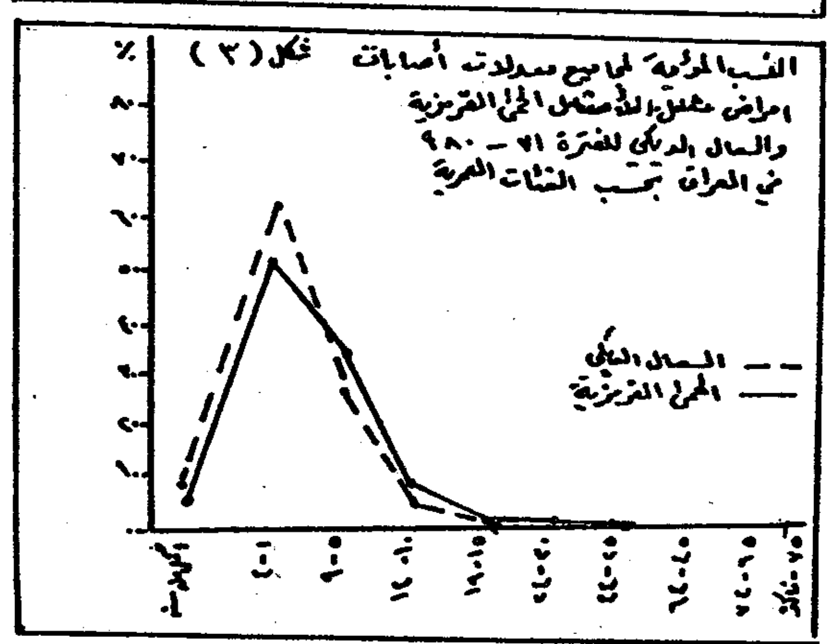
٥	٧ر٠	١٠	١	٢	٩ر٠	١٩	٢ر٠
٣	٤ر٠	٣ر٣	٣ر٧	٢	٩ر٠	٣٤	٣٦ر٠
٢	٢ر٠	١٩	٢	١	٤ر٠	٨	١ر٠
١	١ر٠	٣	٣ر٠	—	—	—	—
—	—	١	١ر٠	—	—	—	—
٧٥٧	١٠٠٪	٩١٤	١٠٠٪	٢٢٢	١٠٠٪	٩٤٣٥	١٠٠٪

أقل من سنة و ٥ ـ ٩ سنة تتعرض هي الاخرى الى هذه الأمراض بدرجة اقل، ولكن الفئة العمرية أقل من سنة تصاب بالكزاز بنسبة عالية تصل الى ٣ر٧٩٪ بينما تصاب به الفئتان ١ ـ ٤ سنة ، و ٥ ـ ٩ سنة بنسبة قليلة تصل الى ٢ر١٤٪ و ٢ر٥٪ على التوالي • اما الفئة العمرية الرابعة ١٠ ـ ١٤ سنة والتي تهم البحث كونها تصاب بأمراض الطفولة أيضاً ولأنها تمثل المرحلة الانتقالية الى مرحلة ما بعد الطفولة ، فتصاب بالامراض التي أشار اليها الجدول (١) بنسبة قليلة ، بالدفتريا ٨٪ وبالحصبة ٣ر٥٪ وبالجدري ٨ر٣٪ وبالشلل ٢ر٢٪ وبالكزاز ٣٪ وبالحمى القرمزية ٣ر٦٪ وبالسعال الديكي بنسبة ٣ر٣٪ • ثم تهبط هذه النسب الى درجة كبيرة في الفئات العمرية الاخرى أو فئات ما بعد الطفولة •

ان تفحصا بسيطا للجدول (١) والأشكال (١ ـ ٣) يغني عن أي تعليق لانها تعطي فكرة متكاملة عن تركزات الأمراض المنصوص عليها في الفئة العمرية ١ ـ ٤ سنة وبدرجة أقل في الفئة العمرية أقل من سنة ويتأكد هنا أيضا ان الأمراض السبعة المبحوثة هي أمراض الطفولة حقاً لا تصيب الكبار الا قليلا عندما لم يسعفهم الحظ للتوقي منها باللقاح • ويتأكد ان الاهتمام يجب ان يكرس في الفئة العمرية أقل من سنة بغية التوقي والابتعاد عن الاصابة بالامراض عند نموهم ووصولهم الى الفئة العمرية ١ ـ ٤ سنة • ولحماية الأطفال أقل من سنة وبخاصة فيما يتصل بالكزاز يتوجب وجود


شكل (١)
النسب المئوية لمجاميع أصابات أمراض الدفتريا والحصبة وجدري الماء حسب الفئات العمرية في العراق للفترة ٧١ – ١٩٨٠
%
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠
المرفتريا
الحصبة
جدري الماء


شكل (٢)
النسب المئوية لمجاميع معدلات أصابات امراض شلل الأطفال والكزاز للفترة ٧١ – ٩٨٠ حسب الفئات العمرية في العراق
%
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠
شلل الأطفال
الكزاز


شكل (٣)
النسب المئوية لمجاميع معدلات أصابات امراض شلل الأطفال الحمى القرمزية والسعال الديكي للفترة ٧١ – ٩٨٠ في العراق حسب الفئات العمرية
%
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠
السعال الديكي
الحمى القرمزية

عناية مركزة للأم والتوليد والطفل الوليد ٠

٢ ـ التغير الفصلي للاصابة بأمراض الطفولة :

الجدول (٢) والاشكال (٤ ـ ٧) تظهر ان أمراض الطفولة حادثة في جميع أشهر السنة ولكن عدد الاصابات بها يتفاوت بأختلاف فصول السنة ، فالدفتريا تظهر لها قمة من الزيادة في فصل الشتاء ابتداء من اشهر الخريف بينما تنخفض نسبيا حوادث الاصابات في أشهر الصيف هذا اشارة الى ان مسبب المرض يجد له الظرف المناسب المنشط علاوة على الظرف الشتوي المساعد على سريانه من المصابين الى الأصحاء ٠

بينما الحصبة وجدري الماء تظهر لكل منهما قمة من الزيادة في الربيع واوائل الصيف في أشهر مارت ونيسان ومايس وحزيران ، مما يؤكد تأثير التحول في ظروف المناخ في الانتقال الفصلي من الشتاء الى الصيف فالمسبب يجد له ظرف منشطا ، وضحيته أقل قدرة على المقاومة وان الرياح والانتشار يمكننان من سرعة سريان المرض ٠

وتظهر لشلل الأطفال قمة في أشهر مارت ونيسان ومايس وحزيران ابتداءً من الربيع حتى أوائل الصيف وتقل الاصابات بالشلل في أشهر الشتاء شكل (٦) ٠ بينما الكزاز تزداد الاصابات به في أواخر الشتاء وأوائل الربيع وتقل الاصابات بالكزاز في أشهر الصيف ٠

جـــدول (٢)

النسب المئوية لمجاميع معدلات اصابات أمراض الطفولة
للمدة ٧١ ـ ١٩٨٤ بحسب الأشهر في العراق(١٤)

الأشهر	الدفتريا		الحصبة		جدري الماء	
	المعدل	النسبة %	المعدل	النسبة %	المعدل	النسبة %
كانون ٢	١٠٤	١١	٣٧٧٦	٧ر٦	٣٧٩	٧ر٤

شباط	٧٦	٨	٤١٣٩	٨ر٤	٤٨٠	٩ر٤
مارت	٨٠	٨ر٤	٥٩٣٢	١٢	٦٤١	١٢ر٥
نيسان	٥٥	٥ر٨	٦٩٤٩	١٤	١٠٠٦	١٩ر٦
مايس	٤٨	٥	٧٥٤٢	١٥ر٢	١٠٢٦	٢٠
حزيران	٥١	٥ر٤٤	٥٩٧٩	١٢	٥٢١	١٠ر١
تموز	٥٣	٥ر٦	٣٩٠٥	٧ر٩	٢٤٦	٤ر٨
آب	٥٩	٦ر٢	٢٣٥١	٤ر٨	١٤٤	٢ر٨
ايلول	٧٨	٨ر٢	١٦٠٠	٣ر٣	٦٩	١ر٤
تشرين اول	١٠٩	١١ر٤	١٧٤٥	٣ر٥	٨٨	١ر٧
تشرين ٢	١٢٢	١٢ر٨	٢٥١٨	٥	١٩٧	٣ر٨
كانون اول	١١٦	١٢ر٢	٣١٧٥	٦ر٣	٣٣١	٦ر٥
المجموع	٩٥١	١٠٠٪	٤٩٦١١	١٠٠٪	٥١٢٦	١٠٠٪
		الشتاء	الربيع واوائل الصيف		الربيع واوائل الصيف	

المصدر : اعد الباحث هـذا الجدول بالاعتماد على مجموعة من الجداول لعدة سنوات •

١١ـ أ ـ الجمهورية العراقيـة ، وزارة الصحـة ، مديرية الاحصاء ، المصدر السابق •

ب ـ

B. Repu. of Iraq, Directorate General prcvcntrve Medicine Statistics, op. cit. p. 84.

جـ ـ جداول غير مطبوعة ، مصدر سابق

يتبع / جدول (٢)

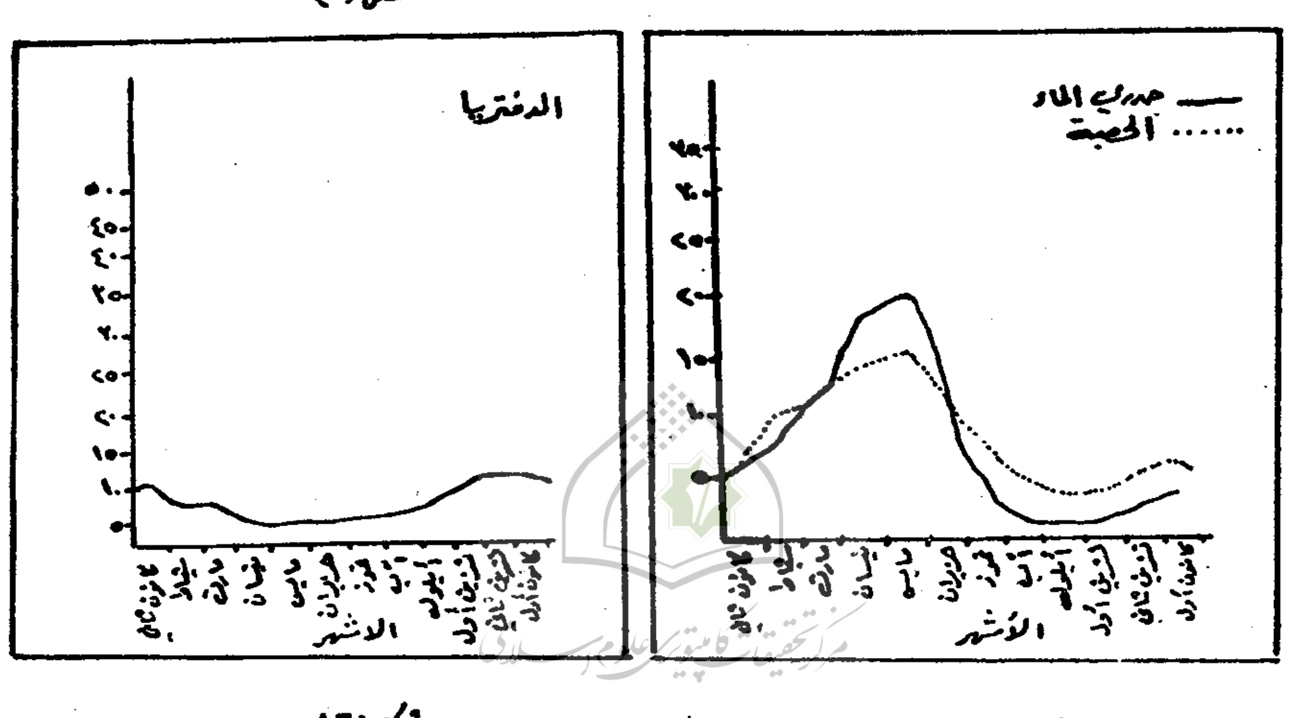
شلل الاطفال		الكزاز		الحمى القرمزية		السعال الديكي	
المعدل	النسبة ٪	المعدل	النسبة ٪	المعدل	النسبة ٪	المعدل	النسبة ٪
٤٥	٦ر١	١١٢	١٢ر٤	١٦	٧ر٧	٥٠٧	٥ر٣
٥٩	٨	٩٧	١٠ر٩	١٣	٦ر٢	٨٦٣	٩
٦٢	٨ر٥	٩٢	١٠ر٣	١٢	٥ر٧	١٢١٧	١٣ر٣
٨٣	١١ر٤	٨٢	٩ر٢	١٥	٧ر١	١٤٢٩	١٥
١٠٤	١٤ر٢	٦٧	٧ر٥	٢٣	١١	١٣٥٠	١٤ر٢
٨٨	١٢	٥١	٥ر٧	٢١	١٠	١١٩٣	١٢ر٤
٦٢	٨ر٥	٥٠	٥ر٦	٢٢	١٠	٩٦٧	١٠
٥٠	٦ر٨	٥٣	٥ر٩	١٨	٨ر٦	٦٧٢	٧
٣٨	٥ر٢	٦٠	٦ر٧	٢٢	١٠ر٦	٤١٩	٤ر٤
٤٨	٦ر٦	٦٦	٧ر٤	٢٠	٩ر٧	٣٣٢	٣ر٤
٥٤	٧ر٣	٦٢	٧	١٣	٦ر٢	٢٩٢	٣
٣٩	٥ر٤	١٠٣	١١ر٤	١٤	٦ر٦	٣٠٨	٣ر٣
٧٣٢	٪١٠٠	٨٩٥	١٠٠	٢٠٩	٪١٠٠	٩٥٤٩	٪١٠٠
الربيع واوائل الصيف		اواخر الشتاء واوائل الربيع		الصيف		الربيع واوائل الصيف	

وتظهر قمة الحمى القرمزية في أشهر الربيع وأوائل الصيف وتنخفض الاصابات الى حد كبير في أشهر الشتاء • بينما تظهر للسعال الديكي قمة عريضة تبدأ من نيسان لتشمل أشهر الصيف وأوائل الخريف •

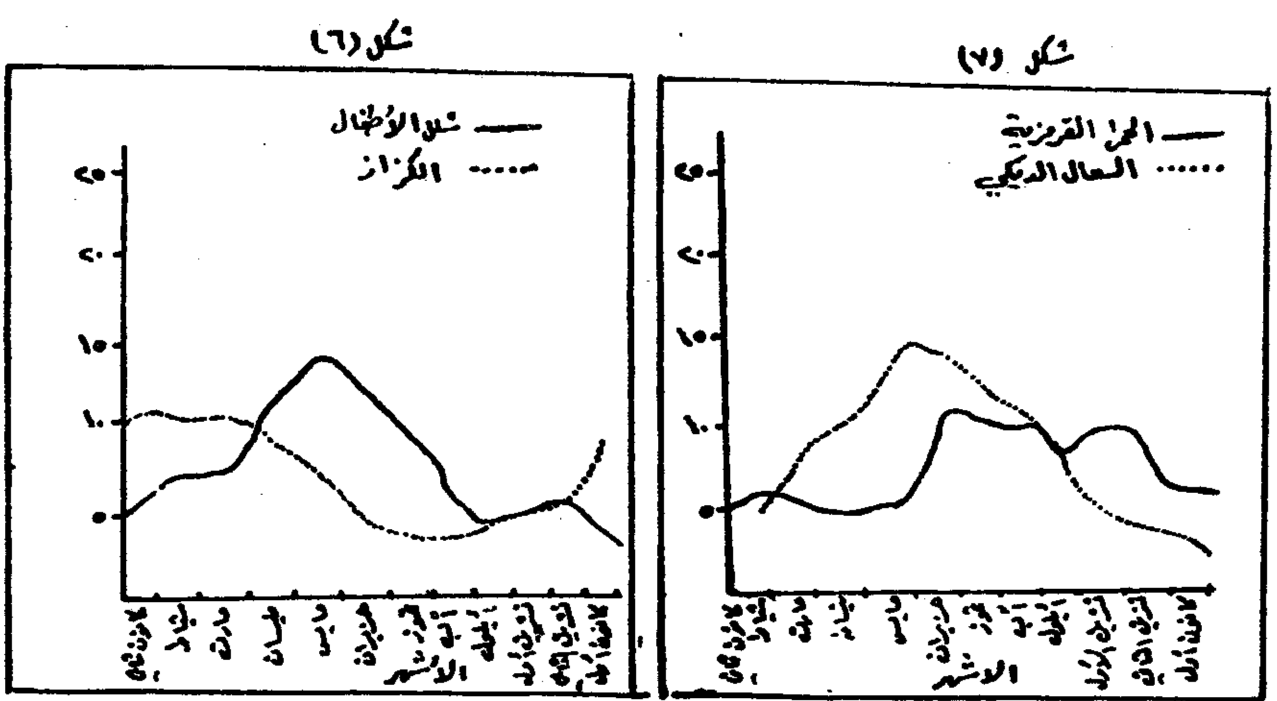
١٠

النسب المئوية لمجاميع معدلات أصابات أمراض الطفولة للمدة ٧١ - ١٩٨٤
حسب الأشهر في العراق

شكل (٤) شكل (٥)



شكل (٦) شكل (٧)



اختلاف القمم الممثلة للمعدلات العالية في الاصابات يكشف عن اختلاف نشاط المسببات المرضية بعضها ينشط عند التحول المناخي وأخر ينشط في الصيف وثالث ينشط في أشهر الشتاء ، مما يؤكد ان الطفل يتعرض لأمراض الطفولة في كل أشهر السنة ولكن بدرجات متفاوتة من حيث شدة الانتشار وقلته •

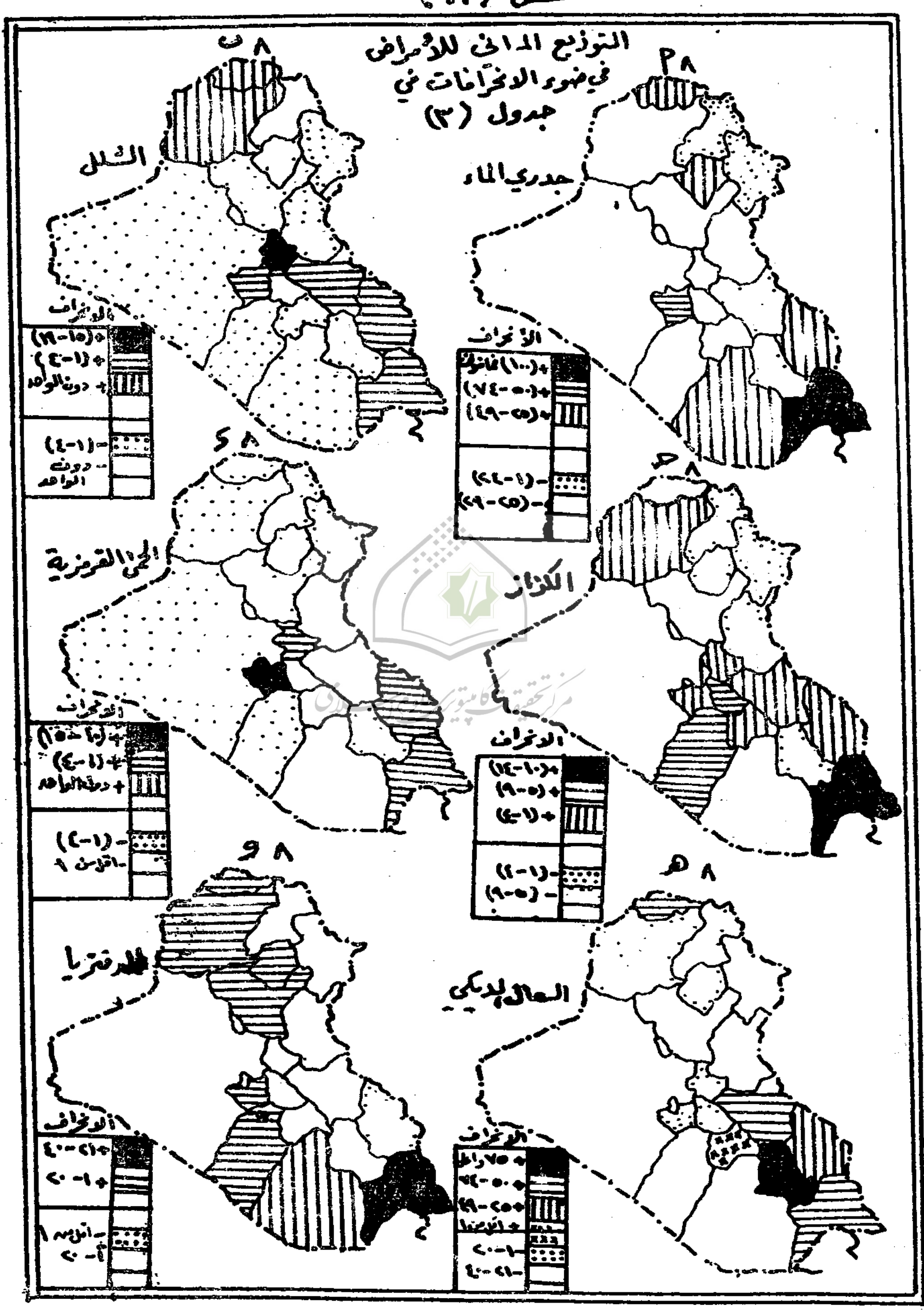
التوزيع المكاني لامراض الطفولة في العراق :

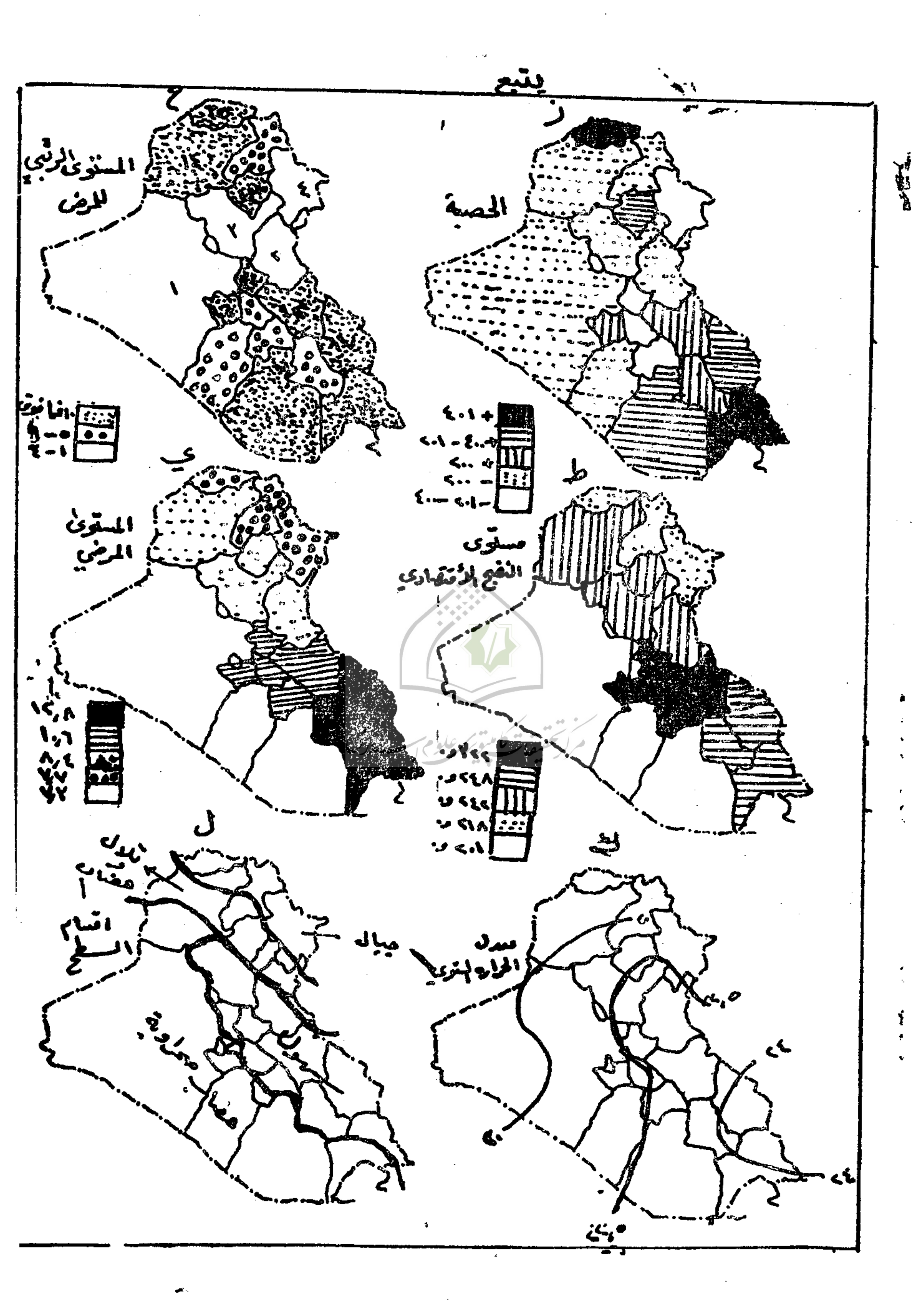
تم التوزيع المكاني لأمراض الطفولة على أساس عدد الاصابات لكل مائة الف من السكان ثم المعدل العام لاصابات كل مرض والانحراف الموجب والسالب عن هذا المعدل بحسب المحافظات وللفترة (٧١ – ١٩٨٤) •

وعليه يظهر الجدول (٣) والشكل (٨أ) وبقياس الانحراف عن المعدل العام حالة التركزات لمرضى جدري الماء • فالبصرة تؤلف بؤرة رئيسية لهذا المرض فهي تنحرف انحرافا موجبا بمقدار (١٦٨ر٢) تليها كربلاء بالمرتبة الثانية أو تنحرف اصاباتها انحرافا موجبا مقداره (٥٥ر٦) ثم تأتي محافظات التأميم وميسان والمثنى ودهوك بالدرجة الثالثة • بينما تنحرف اصابات المرض في محافظات السليمانية وذي قار وواسط وبابل وأربيل ونينوى وبغداد انحرافا سالبا بمقدار (١ – ٢٤) وتنحرف اصابات محافظات صلاح الدين والنجف والانبار وديالى والقادسية انحرافا سالبا يتراوح (ما بين ٢٥ – ٢٩) •

كما يظهر الجدول (٣) والشكل (٨ب) التوزيع الجغرافي لاصابات الشلل في العراق وعلى أساس المحافظات وبدت بغداد تسجل المحافظة الاعلى في درجة الانحراف الموجب عن المعدل العام وهي (+ ٢٠) تليها محافظات البصرة وميسان وواسط وكربلاء بينما تؤلف محافظتا نينوى ودهوك المرتبة الثالثة بالانحراف الموجب عن المعدل العام • بينما سجلت

شكل (٨)


التوزيع الداخلي للأمراض
في ضوء الانحرافات في
جدول (٣)
٨ أ
جدري الماء
٨ ب
السل
٨ ج
الكزاز
٨ د
الحمى القرمزية
٨ هـ
السعال الديكي
٨ و
الدفتريا
الانحراف


ز
الحصبة
ح
المستوى الرتبي للمرض
ط
مستوى النضج الاقتصادي
ي
المستوى المرضي
ك
معدل الحرارة السنوي
ل
أقسام السطح
جبال
صحراوية

جــــدول (٣)

عدد الاصابات لكل مائة الف من السكان في كل محافظة مع الانحرافات عن المعدل العام لاصابات كل مرض للمدة ١٩٧١ – ١٩٨٤

المحافظات	جدري الماء (أ)		الشلل (ب)		الكزاز (ج)	
	الاصابات	الانحراف	الاصابات	الانحراف	الاصابات	الانحراف
بغداد	٣٧ر٥	– ١٣ر٩	٢٠	+ ١٦ر٣	٨ر٧	+ ١ر٩
البصرة	١٦٨ر٢	+ ١١٦ر٨	٧ر٩	+ ٤ر٢	١٩ر٤	+ ١٢ر٦
نينوى	٣٧ر٣	– ١٤ر١	٤ر٣	+ ٠ر٦	١١ر٢	+ ٤ر٤
دهوك	٨٥	+ ٣٣ر٦	٤ر٣	+ ٠ر٦	١ر٥	– ٥ر٣
ميسان	٨٢	+ ٣٠ر٦	٧ر٢	+ ٣ر٥	٨ر٢	+ ١ر٤
اربيل	٥٥ر٩	– ٤ر٥	٢ر٩	– ٠ر٨	٥ر٣	– ١ر٥
القادسية	١٦ر٧	– ٣٤ر٧	٠ر٧	– ٣	٨ر٣	+ ١ر٥
المثنى	٧٧	+ ٢٥ر٦	٠ر٩	– ٢ر٨	١ر٨	– ٥
ديالى	٩ر٩	– ٤١ر٥	٠ر٣	– ٣ر٤	٢	– ٤ر٨
الانبار	١٢ر٤	– ٣٩	٠ر٢	– ٣ر٥	١ر٥	– ٥ر٣
بابل	٣٢ر٣	– ١٩ر١	٠ر٦	– ٣ر١	١٣ر٨	+ ٧
كربلاء	١٠٧	+ ٥٥ر٦	٥ر٢	+ ١ر٥	١٠	+ ٣ر٢
التأميم	٨١ر١	+ ٢٩ر٧	١ر٢	– ٢ر٥	٥	– ١ر٨
واسط	٣٤ر٩	– ١٦ر٥	٧ر٥	+ ٣ر٨	٨ر١	+ ١ر٣
ذي قار	٣٧ر٤	– ١٤	٠ر٤	– ٣ر٣	٤ر٨	– ٢
السليمانية	٢٩	– ٢٢ر٤	١ر٣	– ٢ر٤	٢ر٢	– ٤ر٦
النجف	٨ر٩	– ٤٢ر٥	١ر٢	– ٢ر٥	١٢	+ ٥ر٢
صلاح الدين	١٣ر١	– ٣٨ر٣	١	– ٢ر٧	صفر	صفر
المجموع	٩٢٥ر٦		٦٧ر١		١٢١ر٦	
المعدل العام	٥١ر٤		٣ر٧		٦ر٨	

يتبع / جدول (٣)

الحمى القرمزية (د)		السعال الديكي (هـ)		الدفتريا (و)		الحصبة (ز)	
الاصابات	الانحراف	الاصابات	الانحراف	الاصابات	الانحراف	الاصابات	الانحراف
١ر٨	− ٠ر١	٣٠	− ٣٠ر٨	٧ر٥	− ٤ر٣	٢٧٦	− ٢٣١ر١
٣ر١	+ ١ر٢	١٢١ر٤	+ ٦٠ر٦	٤٢ر٧	+ ٣٠ر٩	١٩٠ر٤	+ ٤٠٣ر٣
٠ر٥	− ١ر٤	٥٩ر٤	− ١ر٣	٢٢ر٨	+ ١١	٤١٦ر٩	− ٩٠ر٢
٠ر٤	− ١ر٥	١١١ر٣	+ ٥٠ر٥	١٨ر٧	+ ٦ر٩	٩٣١	+ ٤٢٣ر٩
٤ر٦	+ ٢ر٧	٩٤	+ ٣٣ر٢	١١ر٣	− ٠ر٥	٨٤٠	+ ٣٣٢ر٩
٠ر٢	− ١ر٧	٥٦ر٧	− ٣ر٩	٥ر٥	− ٦ر٣	٣١٥	− ١٩٢ر١
٢ر٣	+ ٠ر٤	٦١ر٧	+ ٠ر٩	٥ر١	− ٦ر٧	٢٨٠	− ٢٢٧ر١
١ر٤	− ٠ر٥	٣٤ر٩	− ٣٥ر٨	١١ر٥	+ ٠ر٣	٧٣٦	+ ٢٢٨ر٩
—	—	٢٢ر٩	٣٧ر٩	٠ر٤	− ١١ر٤	٣٨٠	− ١٢٧ر١
٠ر٢	− ١ر٧	١٦ر٧	− ٤٤ر١	٢ر٤	− ٩ر٤	٣١٠	− ١٩٧ر١
١ر٥	− ٠ر٤	٤٣	− ١٧ر٨	٣	− ٨ر٨	٤٥٠	− ٥٢ر١
١٥ر٢	+ ١٣ر٣	٥٢ر٦	− ٨ر٢	١٣ر٣	١ر	٥٧٣	+ ٦٥ر٩
٠ر٨	− ١ر١	٤١ر١	− ١٩ر٧	٢٦ر٦	+ ١٤ر٨	٧١٨	+ [illegible]٠ر٩
٠ر١	− ٠ر٩	١٢٣ر٨	+ ٦٣	٨ر٩	− ٢ر٩	٦٢٣	+ ١١٥ر٩
٠ر٥	− ١ر٤	١٤٦	+ ٨٥ر٢	٦ر٧	− ٥ر١	٥٢٠	+ ١٢ر٩
٠ر٤	− ١ر٥	٢٦ر٦	− ٣٤ر٢	١ر٣	− ١٠ر٥	١٨٩	− ٣١٨ر١
٠ر٨	− ١ر١	٢٣ر٨	− ٣٧	١٨ر٢	+ ٦ر٤	٤٤٣	− ٦٤ر١
٠ر٣	− ١ر٦	٢٨ر٣	− ٣٢ر٥	٦	+ ٥ر٨	٢١٧	− ١٩٠ر١
٣٥		١٠٩٤ر٣		٢١١ر٩		٩١٢٨ر٣	
١ر٩		٦٠ر٨		١١ر٨		٥٠٧ر١	

سجلت المحافظات الاخرى انحرافا سالبا عن المعدل العام مما يؤيد قلة الاصابات فيها •

اما الكزاز فيتباين انتشاره بين محافظة واخرى وذلك في ضوء التوزيع الجغرافي للمرضى فيظهر الجدول (٣) و (الشكل ٣حـ) ان محافظة البصرة تؤلف بؤرة لاصابات الكزاز وان درجة انحراف الاصابات الموجب عن المعدل العام هي (١٢ر٦) تليها محافظتا القادسية والنجف حيث تراوح الانحراف الموجب للاصابات فيهما (ما بين ٥ ــ ٩) •

وجاء محافظات ميسان وواسط والقادسية وكربلاء وبغداد ونينوى بالدرجة الثالثة من حيث الانحراف الموجب للاصابات فيها عن المعدل العام • بينما المحافظات الأخرى تنحرف عن المعدل العام انحرافا سلبيا مما يدل على قلة الاصابات فيها •

اما الحمى القرمزية فهي واسعة الانتشار في محافظات القطر ولكن لها تركزات في محافظات محددة مثالها كربلاء التي مثلت البؤرة الأساس لانتشار المرض حيث الانحراف الموجب سجل (١٣ر٣) ثم تلتها محافظات ميسان وبغداد والبصرة بالدرجة الثانية بأنحرافها الموجب وكذلك القادسية بينما ظهر انحراف معدل الاصابات سلبيا عن المعدل العام في المحافظات الاخرى • وهذا يدلل ان اوسع انتشار للمرض يتحقق في الجهات السهلية من جنوب ووسط العراق •

بينما تظهر تركزات اصابات السعال الديكي في محافظة ذي قار بؤرة كبيرة للمرض حيث بلغ الانحراف الموجب لمعدل الاصابات فيها عن المعدل العام (٨٥ر٢) تلتها محافظات البصرة وواسط ودهوك بالدرجة الثانية حيث تراوح انحراف معدلاتها الموجبة ما بين (٥٠ ــ ٧٤) ، وميسان (٢٥ ــ ٤٩) وانحرفت اصابات محافظات القادسية انحرافا موجبا عن المعدل العام بأقل من واحد •

بينما سجلت محافظات المثنى والنجف وكربلاء والانبار وبابل وبغداد وديالى وصلاح الدين والسليمانية واربيل ونينوى ودهوك ، معدلات للاصابات بمستوى سلبي عن المعدل العام مما يدلل على قلة الاصابات فيها •

اما الدفتريا فتبدو بؤرتها الرئيسية في محافظة البصرة حيث بلغ معدل انحراف الاصابات الموجب عن المعدل العام (٩ر٣٠) بينما جاءت محافظات دهوك ونينوى والتأميم ، وصلاح الدين وكربلاء والنجف والمثنى بالدرجة الثانية • اما محافظات شمال شرق وشرق العراق ووسطه فقد سجلت معدلاتها انحرافا سالبا عن المعدل العام •

والحصبة تنتشر في جنوب العراق ووسطه بدرجة رئيسية ، وان كانت لها بؤر واضحة في دهوك ، فهي اقل في الجهات الجبلية وشبه الجبلية والهضبة • وقد ظهرت محافظة البصرة تؤلف البؤرة الرئيسية للمرض اذ بلغ الانحراف الموجب (٣ر٤٠٣) عن المعدل العام ثم تلتها محافظات المثنى وميسان والتأميم اذ تراوح انحرافها الموجب ما بين + ٤٠٠ و + ٢٠١ ثم الانحراف الموجب دون الـ ٢٠٠ مثلته محافظات ذي قار وواسط وكربلاء بينما بقية المحافظات سجلت انحرافا سالبا دون الـ ٢٠٠ هي محافظات النجف والانبار وصلاح الدين وديالى ونينوى واربيل وتقل الأصابات كثيرا في بغداد والقادسية والسليمانية •

مستوى الانتشار :

يبدو ان الأمراض السبعة التي دعاها الباحث بأمراض الطفولة منتشرة في جميع محافظات العراق ولكن تختلف تركزات كل مرض عن الآخر • فجدري الماء ينتشر بنطاق أكبر في الجهات السهلية والجنوبية والوسطى وينتشر بنطاق أضيق في الجهات الجبلية بينما تقل الأصابات فيه الى درجة كبيرة في الجهات الهضبية •

وانتشار الشلل يبدو أكثر وضوحا في النطاق السهلي الممتد حول دجلة من البصرة حتى بغداد و كربلاء وهذا النطاق مزدحم بالسكان بينما يبدو المرض اقل انتشارا في الجهات الجبلية والهضبية الصحراوية •

وكذلك الكزاز يبدو أوسع انتشارا في جنوب ووسط العراق وأقل انتشارا في النطاق الجبلي والهضبي ، ومرض الكزاز يرتبط اكثر بالعوامل الاجتماعية وان التوزيع المكاني لهذا المرض يبدو مشوشا حيث ان قلة اصابات المرض في بعض المحافظات عائد الى :

١ ـ قلة مراجعة المؤسسات الصحية ثم عدم تسجيل الحالات •
٢ ـ اتمام التوليد في البيوت دون المؤسسات الصحية •
٣ ـ عدم اهتمام المعنيين بالاحصاء الصحي في تلك المؤسسات لقلة ادراك أهمية التسجيل الدقيق لهذه الحالات •

ويبدو تأثير الظروف الطبيعية في انتشار مرض الحمى القرمزية ضعيفاً ، وليس بالضرورة ان تكون المحافظات ذات الاصابات الكبيرة تعاني مشكلة المرض ذاته لأن ذلك قد يكون عائد الى الوعي الصحي في المراجعة وتسجيل الحالات ومع هذا فالتوزيع الجغرافي للمرض يؤكد قلة الاصابات في المناطق الجبلية والهضبية وشبه الجبلية اما الدفتريا فتقل في جهات شمال شرق ووسط العراق • والحصبة كذلك تقل في الجهات الجبلية والوسطى والهضبة •

وبشكل عام تظهر التركزات المرضية مكانيا في المناطق السهلية وبخاصة الجنوبية ثم الوسطى وتقل تلك التركزات في الجهات الجبلية ولكن الحال تختلف من مرض لآخر كما يظهر ذلك في شكل (٨ أ ـ ز) •

المستوى الرتبي لمجموعة الامراض وللمحافظات :

عند اعتماد مرتبة كل محافظة على اساس مستوى اصاباتها لكل مرض

محسوب على اساس (لكل مائة الف من السكان) وللمدة من ١٩٧١ ـ ١٩٨٤م ، واعطاء رتبة (١٨) لاعلى درجة في الاصابات المرضية و (١) لأدنى محافظة بالاصابات ، توصل الباحث الى اعداد جدول (٤) الذي اعطى رتبة كل محافظة بالنسبة لكل مرض ثم المستوى المرضي الرتبي للمحافظة • فجاءت محافظة البصرة بمستوى معاناة مرضي (١٧ر١) وهو أعلى مستوى رتبي للمرض تلتها محافظة ميسان حيث سجلت مستوى رتبي من المعاناة المرضية (١٤ر٧) ، ٥ ثم دهوك ونينوى ثم التأميم وواسط والمثنى وهكذا •

وقد اكد التوزيع الرتبي للمرض حقيقة تأكيد ضعف تأثير العامل الجغرافي الطبيعي • اذ أن المحافظات ذات المستوى العالي من المعاناة المرضية لأمراض الطفولة يقع منها في الجنوب كالبصرة وميسان وفي الوسط كواسط وفي الشمال مثل دهوك ونينوى وهذه محافظات متباينة في موقعها وبيئاتها الجغرافية الطبيعية ، ومع هذا يبقى مدى الاثر الجغرافي الطبيعي في حدوده الدنيا ، وتظهر هذه الحدود عند تقسيم العراق الى نطاقات جغرافية متباينة بيئيا كما في جدول (٤) وشكل (٨ح) •

جدول (٤)

رتب المحافظات لكل مرض ومتوسط الرتب لكل محافظة ومتوسطها لكل منطقة في العراق

المناطق	المحافظات	جدري الماء	الشلل	الكزاز	الحمى القرمزية	السعال الديكي	الدفتريا	الحصبة	متوسط الرتب	رتبة المنطقة
أ	١ ـ السليمانية	٦	١٠	٦	٧	٤	٢	١	٥ر١	
المحافظات	٢ ـ دهوك	١٦	١٢	٣	٦	١٥	١٥	١٨	١٢ر١	٨ر٤
الجبلية	٣ ـ اربيل	٣	١١	٩	٣	١١	٦	٦	٧	
ب	٤ ـ التأميم	١٤	٨	٨	١١	٨	١٧	١٤	١١ر١	
شبه الجبلي										
(الصفة الغالبة	٥ ـ صلاح الدين	٤	٧	١	٥	٥	٧	٢	٤ر٤	٩ر١
التموج)	٦ ـ نينوى	٩	١٣	١٥	٩	١٢	١٦	٨	١١ر٧	

المنطقة	المحافظة								المعدل	معدل النطاق
ح	٧ ـ المثنى	١٣	٦	٤	١٢	٧	١٢	١٥	١٠	
المنطقة الهضبية	٨ ـ النجف	١	٩	١٦	١٠	٣	١٤	٩	٩	٧ر٣
ذات السمة	٩ ـ الانبار	٤	١	٢	٤	١	٣	٥	٣	
الصحراوية										
د	١٠ واسط	٨	١٦	١٠	٢	١٧	١٠	١٣	١٠ر٨	
سهل وسط	١١ـ القادسية	٦	٥	١٢	١٥	١٣	٥	٤	٨ر٦	
العراق	١٢ـ بابل	٧	٤	١٧	١٣	٩	٤	١١	٩ر٢	٩ر٤
	١٣ـ كربلاء	١٧	١٤	١٤	١٨	١٠	١٣	١٢	١٤	
	١٤ـ بغداد	١١	١٨	١٣	١٤	٦	٩	٣	١٠ر٣	
	١٥ـ ديالى	٢	٢	٥	١	٢	١	٧	٣	
هـ	١٦ـ البصرة	١٨	١٧	١٨	١٦	١٦	١٨	١٧	١٧ر١	
النطاق الجنوبي	١٧ـ ميسان	١٥	١٥	١١	١٧	١٤	١١	١٦	١٤ر٧	١٢ر٨
(اهوارومياه)	١٨ـ ذي قار	١٠	٣	٧	٨	١٨	٨	١٠	٩ر١	

بالاعتماد على الجداول السابقة • ورتبت المحافظات بحسب درجة المرض فيها •

المؤشرات الصحية في قياس التباين المكاني :

على أساس تحليل التباين للأقاليم والمؤشرات الجغرافية والمؤشرات الصحية تؤخذ المؤشرات الآتية :

مؤشر (١) :

مراجعات النساء الى المؤسسات الخاصة بأمراضها وبالتولد هي احد المؤشرات الرئيسية التي تؤكد الوعي الصحي[١٤] • وان قلة المراجعات قد تعود الى قلة المؤسسات المؤهلة لخدمة الأمهات وقد تتوفر هذه المؤسسات وتكون قلة المراجعات عائدة الى احجام الأمهات عن المراجعات ، وقد تتراوح نسبة المراجعات للامهات الحوامل الى المؤسسات في القطر الى المجموع الكلي للمراجعات ٤ – ٦٪ وان هذه النسبة ضئيلة تؤلف مؤشرا سلبيا يتوجب عنده الارتفاع بالتوعية وتوفير المؤسسات او اقسام ضمن مستشفيات عامة لاستقبال الأمهات الحوامل بيسر •

ان النسبة المؤية لمراجعات النساء المرضى والحوامل كانت تعادل سنة ١٩٧١ ٣ر٣٪ من مجموع المراجعات في القطر ثم اصبحت عام ١٩٧٣م ٤ر٤٪ وأصبحت تعادل عام ١٩٨٤م ٩ر٤٪ والمعدل العام للمراجعات بقي يتصاعد ببطىء وأصبح معدل المراجعات العام للمدة ١٩٧١ – ١٩٨٤م يعادل ٣ر٤٪ وتتفاوت المحافظات ، فبغداد برغم العدد الكبير من المؤسسات الصحية الخاصة بالنساء والتوليد تعادل نسبة المراجعات ٨و٠٪ وذلك عائد الى ضخامة حجم المراجعات الكلي في المحافظة الى احجام النسوة من المراجعات بينما محافظات كميسان والمثنى وواسط تصل نسبة مراجعات النسوة الى المراجعات الكلية في كل محافظة ١٠٪ تقريبا جدول (٥) برغم قلة مراكز واقسام الأمومة والطفولة دلالة على توجه السكان للاستفادة من المؤسسات الصحية • وهذا يولد ضغطاً كبيراً على المؤسسات الصحية

جدول (٥)

مستويات المؤشرات الصحية بحسب المحافظات والمناطق

المناطق	المحافظات	(١) مراجعات النساء والتوليد		(٢) المراجعون من الأطفال	
أ	١ ـ السليمانية	٥ر١		١٠ر٨	
المحافظات الجبلية	٢ ـ دهوك	١ر٤	٣ر٢	١٣ر١	١٤ر٢
	٣ ـ أربيل	٣ر١		١٨ر٦	
ب	٤ ـ التأميم	٢ر٦		١٣	
المحافظات شبه الجبلية	٥ ـ صلاح الدين	٢ر٠	١	١ر٢	١ر٣
الغالبة التموج	٦ ـ نينوى	٢ر٠		١ر٣	
حـ	٧ ـ المثنى	٩ر٨		١٢ر٢	
المحافظات الهضبية ذات	٨ ـ النجف	١٠ر٢	٧ر٥	١٣ر٥	١٢ر٢
السمة الصحراوية	٩ ـ الأنبار	٢ر٥		١٠ر٩	

د	١٠ـ واسط	١٠ر٧		١١ر٤	
سهل وسط العراق	١١ـ القادسية	١ر٩		١٣ر٢	
	١٢ـ بابل	١٥ر٣		٧ر٧	
	١٣ـ كربلاء	٨ر٨	٦ر٣	١٥ر٩	١٢
	١٤ـ بغداد	٠ر٨		١٩ر٢	
	١٥ـ ديالى	٠ر٧		١٠ر٥	
هـ	١٦ـ البصرة	٠ر٦		١١ر٢	
المحافظات الجنوبية	١٧ـ ميسان	١٠ر٧	٤ر٩	١٨	١٤
(مياه وأهوار)	١٨ـ ذي قار	٣ر٠		١٢ر٩	
المعدل العام			٤ر٣	١١ر٩	

مؤشر (١) : معدل النسبة المئوية لمراجعات النساء الى المؤسسات الصحية لمجموع المراجعات في كل محافظة .

مؤشر (٢) : معدل النسبة المئوية لمراجعات الأطفال المرضى الى المؤسسات الصحية لمجموع المراجعات في كل محافظة للمدة ٧١ ـ ١٩٨٤ الاطفال في عمر ١٢ فما دون .

مؤشر (٣) : النسبة المئوية لمجموع مراكز الأمومة والطفولة الى مجموع مراكز الصحة العامة في كل محافظة لسنة ١٩٨٤ .

	مراكز صحة الأمومة والطفولة (٣)		نسبة اطباء أمراض النساء (٤)		نسبة اطباء الأطفال (٥)	المستوى
أ ـ	١ر١		١ر٦		١ر٣	
	٥ر٤	٢ر٦	٣ر٥	٢ر٥	٢ر٤	١ر٧
	١ر٣		٢ر٥		١ر٥	
ب ـ	٢ر٨		١ر٨		٠ر٩	
	١ر٣	٣ر٥	٢	٢ر٣	٠ر٩	٥ر٢
	٦ر٣		٢ر٧		١٣ر٧	
حـ ـ	صفر		٣ر٢		١	
	صفر	١	٣	٣ر٢	١ر٩	١ر٥
	٣		٣ر٥		١٠ر٥	
د ـ	١ر٧		٢ر٧		١ر٣	
	١		٤	٢ر٧	١ر٦	
	٥ر٣	٣ر٤	١		٠ر٩	١ر٤
	٥ر٣		٢ر٩		٠ر٩	
	٦ر٣		٢ر٧		١ر٩	
	١ر٢		٣ر١		١ر٨	
هـ ـ	٢ر٧		٢ر٣		٧ر٧	
	٢ر٢	٢ر٩	٣ر٥	٢ر٣	١ر٩	٤
	٣ر٧		١ر٢		٢ر٥	
	٣ر٦		٢ر٦			

مؤشر (٤) نسبة اطباء امراض النسائية والتوليد الاختصاص الى مجموع الأطباء في كل محافظة للمدة ٧١ ـ ١٩٨٤ ٠

مؤشر (٥) معدل النسبة المئوية لتلقيح الأطفال الثلاثي وتلقيحات شلل الأطفال الى مجموع التلقيحات في كل محافظة للمدة ٧١ ـ ١٩٨٤ ٠

	نسبة تلقيحات الأطفال (٦)		نسبة مستشفيات الأطفال (٧)		نسبة أسرة الاطفال (٨)	
أ ــ	١٤		٩ر٩		٦ر٨	
	٢٤	١٧	١٤ر٣	١٠ر٣	١	٤
	١٣		٥ر٩		٤ر٣	
ب ــ	١٣		١٢ر٥		٨ر٧	
	٣٢	٢٣ر٣	صفر	٧ر٢	١	٧ر٢
	٢٥		٩ر٢		١٢	
جـ ــ	٣٠		٢٠		١٤	
	٣٠	٣٠ر٦	صفر	٩ر٦	٣	٧
	٣٢		صفر		٣	
د ــ	٢٤		١٠		٩	
	٢٤		٩ر٩		٥ر٦	٧ر٧
	١٦	٣٢	١٤ر٣	١٣ر٨	٥ر٧	
	٤٢		٢٥		٢	
	٢٢		١٣ر٥		١٠	
	١٠		١٠		٢٤	
هـ ــ	٢٢		٧ر١		٣	
	٧٤	٣٨	١٠	٥ر٧	٦ر٦	٦ر٥
	١٨		صفر		١٠	
				٢٠		

مؤشر (٦) : النسبة المئوية لمعدل عدد اطباء الأطفال لمعدل عدد عموم الاطباء في كل محافظة للمدة ٧١ ــ ١٩٨٤ .

مؤشر (٧) : معدل النسبة المئوية لعدد مستشفيات الاطفال لمجموع المستشفيات في كل محافظة[١٥] .

مؤشر (٨) : معدل نسبة اسرة الاطفال لمجموع الأسرة في كل محافظة للفترة ٨٤ ــ ١٩٨٦[١٦] .

العامة لأنها تحمل عبء يقع على مؤسسات متخصصة بذلك وهي غير موجودة أو قليلة .

مؤشر (٢) :

ان عدد المرضى المراجعين من الاطفال الى المؤسسات الصحية المتخصصة الاخرى مؤشر آخر مهم يكشف غن واقع صحة الطفل[١٨] ان هذه النسبة من المراجعات تراوحت بوجه عام ما بين ٩ – ٢١٪ من مجموع المراجعات الكلية في الفطر للفترة ٧١ – ١٩٨٤ وأن هذه النسبة وصلت سنة ١٩٧١ الى ١٨٫٣٪ من مجموع المراجعات وفي ١٩٧٣ ١٧٫١٪ وفي سنة ١٩٧٩ الى ١٨٫٣٪ وسنة ١٩٨٤ ما يقرب ٢١٪ ومع هذا فأن المعدل العام للنسبة المئوية للفترة ٧١ – ١٩٨٤ على أساس النسب لكل محافظة وصل الى ١١٫٩٪ .

ان هذه النسبة من المراجعات تدلل على انها نسبة ضئيلة فيما اذا قارنا حجم السكان الكلي وان نسبة مراجعات المؤسسات الصحية لمعالجة الأطفال وتلقيحهم لا زالت تسير ببطيء وهذا يعتمد على النوعية وتوفير المؤسسات الخاصة بمعالجة الاطفال وهذه المراجعات متقاربة بين المحافظات عدا انها عالية في محافظة بغداد وواطئة جدا في محافظات نينوى وصلاح‌الدين وبابل جدول (٥) .

مؤشر (٣) :

تعتبر مراكز رعاية الأمومة والطفولة (عدا المستشفيات والعيادات الخارجية الخاصة بالأمومة والطفولة) مؤشر صحي مهم يعتمد عليه في قياس الموازنة الأقليمية لأن وجود هذه المراكز يعني اتاحة فرص كبيرة للنساء والاطفال في مراجعتها ، وقد كان عدد هذه المراكز سنة ١٩٧٣ (٩٠) مركزا[١٧] . اما عددها سنة ١٩٨٣ فقد بلغ حوالي (١١٠) مركزا وهذه زيادة كبيرة ، غير انه تدل هذه النسبة المئوية لوجود هذه المراكز

لعموم المؤسسات في كل محافظة على عدم الموازنه فما زالت محافظات في عدد من مراكز الأمومة والطفولة لا يتناسب مع حجم مؤسساتها الصحية ولا مع حجم سكانها مثـل محـافظات النجف والمثنى وبابل والسليمانية وصلاح الدين وأربيل وواسط وديالى •

مؤشرا (٤) ، (٥) :

اطباء الاطفال الاختصاص بلغوا سنة ١٩٧٣ نسبة ٤ر١٪ من المجموع الكلي للاطباء في العراق[١٨] واطباء النساء والتولد بلغوا نسبة ١٪ من المجموع الكلي للاطباء في القطر بينما بلغت نسبة اطباء النساء والتولد للفترة من ٧١ ــ ١٩٨٤ في اقطر ٦ر٢٪ وبلغت نسبة أطباء الاطفال للفترة ذاتها نسبة (٧ر٢) ، والجدول (٥) يوضح ان نسبة وجود اطباء الأطفال واطباء النساء والتوليد لمجموع الاطباء في كل محافظة متقاربة ولكن محافظات ذي قار وبابل والسليمانية والتأميم وكربلاء وصلاح الدين والمثنى تعاني من نقص وجود اطباء الاطفال واطباء النسائية والتوليد ، وهذا خلل لا يتناسب مع حجـم سكان تلك المحافظات ومستوى معاناة اطفالها وهي محافظات باتت تحتاج الى نهوض اجتماعي واقتصادي أكثر •

مؤشر (٦) :

اللقاحات مؤشر مهـم وهي تتصل باللقـاح الثلاثي ولقاحات شلل الاطفال وغيرها من اللقاحات التي تقي الاطفال غائلة المرض •

مؤشرا (٧ ، ٨) :

ان مستشفيات الاطفال مؤشر لـه تأثيره جدول (٥) ، وقـد اتخذت النسـبة المئوية لعـددها لمجموع المستشفيات في كـل المحافظات وللفترة ٨٤ ــ ١٩٨٦ فهي تأخذ نسبة جيدة في بغداد وبابل ودهوك والتأميم ولكنها لا تؤلف نسبة تذكر لعدم وجودها في محافظات ذي قار والأنبار والنجف

وصلاح الدين علماً ان هذه المحافظات يجري الان انشاء مستشفيات متخصصة للاطفال فيها ٠

اما نسبة أسرة الاطفال في المستشفيات فهي الاخرى متباينة من محافظة الى أخرى فنسبة أسرة الأطفال لمجموع الأسرة الكلي في ديالى عالية وكذلك في بغداد والمثنى ونينوى وذي قار ولكنها متقاربة في المحافظات الأخرى ٠

مؤشر (٩) :

ان القابلات المأذونات من المؤشرات المهمة وهن يؤلفن ملاكا ضروريا تتطلبه المصلحة المقتضية للتوليد والعناية بحديثي الولادة وقد زاد عدد القابلات فقد بلغ عددهن سنة ١٩٨٠ (٣٠٠) قابلة ، وقد كان عددهن سنة ١٩٧١ (١٣٧ قابلة)[١٩] ٠ وان اعداد هذه القابلات دون المستوى المطلوب وغير موزعة على المحافظات بشكل متوازن ، حيث ان بغداد استحوذت على ثلثي هذا العدد منهن ، بينما بقية المحافظات تتساوى في نسبة ما فيها من قابلات فهي تتراوح ما بين ٥ ـ ٩٪ من مجموع القابلات في العراق ، عدا محافظات دهوك والمثنى وذي قار والسليمانية ، وذلك لتراوح نسبة القابلات فيها ما بين صفر و٢٪ من مجموعها في القطر ٠

اختبار علاقة المؤشرات الصحية بوحدة قياس (مربع كاي) :

بعد وصف تباينات المؤشرات الصحية بحسب المحافظات التي اشار اليها جدول (٥) ، استطاع الباحث ان يضع جدول (٦) الذي تناولت بعض اعمدته اختلافات المؤشرات بحسب المناطق وكذلك التباينات بين المناطق في المستوى المرضي الرتبي ٠ وانهذه المناطق متباينة بالظواهر الجغرافية والتي اشتملت على متوسط الارتفاع التقريبي ومعدل حرارة الشتاء ومعدل حرارة الصيف ومعدل النضج الاقتصادي والاجتماعي[*] ٠ وقد وردت

الاختلافات البيئية بشكل ظاهر جدول (٦) وظهرت لهذه الاختلافات توزيعات باشكال (شكل ٨ ط ـ ل) • وبالتاكيد ان الاختلافات البيئية في العراق تساعد على بعض التباينات المرضية لأمراض الطفولة أي ان دور تباينات الحرارة والارتفاع والمستوى الاجتماعي والاقتصادي ليس بالدور الرئيس •

ولتحديد مسؤولية تباين المؤشرات الصحية بين المناطق اجرى الباحث اختبار f^2 (**) (مربع كاي)(١٠) لاختبار فرضية العدم القائلة بأنه ليس هنالك علاقة بين الظواهر الصحية والمناطق الجغرافية ذات التباينات في الظواهر الجغرافية وهي بالأساس متباينة برتبها المرضية ضد الفرضية القائلة بأن هنالك علاقة بين المؤشرات الصحية والمناطق الجغرافية ذات التباينات الطبية والاقتصادية والاجتماعية والتباينات في الرتب المرضية جدول (٧)(***) •

---

* انظر ملحق (٢)

** قد تم حساب قيمة f^2 (مربع كاي) كما يلي :

١ ـ تم ايجاد التكرارات المتوقعة وذلك بضرب

مجموع الصف الذي يقع في العنصر × مجموع العمود الذي يقع فيه العنصر

المجموع الكلي

٢ ـ استخدام قيمة مربع كاي بأستخدام القانون التالي :

$$\text{مربع كاي} = \text{مجـ} \frac{(\text{التكرار المشاهد} - \text{التكرار المتوقع})^2}{\text{التكرار المتوقع}}$$

*** يشكر الباحث السيد صبري مصطفى البياتي ، ماجستير احصاء المدرس في قسم الجغرافية لتحققه من صحة الاسلوب الذي تم استخدامه والنتائج التي تم التوصل اليها •

جدول (٦)

الظواهر والمؤشرات الصحية بحسب المناطق

المناطق	المستوى الرتبي	الارتفاع	معدل حرارة الشتاء	معدل حرارة الصيف	معدل النضج الاقتصادي
	الظواهر الجغرافية				
أ ـ المحافظات الجبلية	٨ر٤	٢٣٠٠م	٣	٢٥	٠ر٢١٨
ب ـ المحافظات شبه الجبلية ذات صفة التموج	٩ر١	٣٨٩ م	٩ر٢	٣٢ر٣	٠ر٢٤٢
حـ ـ المحافظات الهضبية ذات السمة الصحراوية	٧ر٣	٥٥٠ م	١١	٣٤	٠ر٢٠١
د ـ المحافظات ذات السهول الوسطية	٩ر٤	٣٠ م	١١ر٧	٣٣ر٢	٠ر٣١٢
هـ ـ المحافظات الجنوبية (أهوار ومياه)	١٢ر٨	١٣ر٥	١٣	٣٣ر٥	٠ر٢٤٨

بالاعتماد على جدول (٥)

يتبع جدول (٦)

المؤشرات الصحية

المناطق	آ	ب	حـ	د	هـ	و	ز	ح
	مراجعات النساء	المراجعون من الاطفال	مراكز الامومة والطفولة	نسبة اطباء النسائية والتوليد	نسبة تلقيحات الاطفال	نسبة اطباء الاطفال	نسبة مستشفيات الاطفال	نسبة اسرة الاطفال
أ ــ	٣ر٢	١٤ر٢	٢ر٦	٢ر٥	١٧	١ر٧	١٠ر٣	٤
ب ــ	١	١ر٣	٣ر٥	٢ر٣	٢٣ر٣	٥ر٢	٧ر٢	٧ر٢
حـ ــ	٤ر٩	١٤	٢ر٩	٢ر٣	٣٨	١ر٥	٦ر٩	٧
د ــ	٧ر٥	١٢ر٢	١	٣ر٢	٣٠ر٦	١ر٤	١٣ر٨	٧ر٧
هـ ــ	٦ر٣	١٢	٣ر٤	٢ر٧	٢٣	٤	٥ر٧	٦ر٥

جدول (٧)

اختيار مربع كاي للعلاقة بين مناطق التباينات الجغرافية والمؤشرات الصحية

المنطق بحسب ترتيبها بجدول (٦)	المؤشرات الصحية حسب ترتيبها بجدول (٦) أ	ب	حـ	د	هـ	و	ز	ح	المجموع
أ	٣ر٢	١٤ر٢	٢ر٦	٢ر٥	٧	١ر٧	١٠ر٣	٤	
	٣ر٩	٩ر١	٢ر٢	٢ر٢	٢٢ر٥	٢٢ر٥	٧ر٣	٥ر٥	٥٥ر٥
ب	١	١ر٣	٣ر٥	٢ر٣	٢٣ر٣	٥ر٢	٥ر٢	٧ر٢	٥١
	٣ر٥	٨ر٤	٢ر١	٢	٢٠ر٦	٢ر١٦	٦ر٨	٥	
حـ	٤ر٩	١٤	٢ر٩	٢ر٣	٣٨	١ر٥	١ر٥	٧	
	٥ر٤	١٢ر٨	٣ر١	٣ر١	١٣ر٩	٣ر٢	١٠ر٤	٧ر٧	٧٧ر٥
د	٧ر٥	١٢ر٢	١	٣ر٢	٣٠ر٧	١ر٤	١ر٤	٧ر٧	
	٥ر٤	١٢ر٧	٣ر١٩	٣	١٣ر٤	٣ر٢	٣ر٢	٧ر٧	٧٧ر٤
هـ	٦ر٣	١٢	٣ر٤	٢ر٧	٢٣	٤	٤	٦ر٥	
	٤ر٩	١٠ر٥	٢ر٦	٢ر٥	٢٥ر٨	٢ر٧	٨ر٥	٦ر٣	٦٣ر٦
المجموع	٢٢ر٩	٥٣ر٧	٥٣ر٧	١٣ر٤	١٣	١٣١ر٩	١٣ر٣	٤٣ر٩	٣٢٥

وبأستخدام المعادلة تكـون قيمـة f^2 أو مربع كاي المحســوبة ٣٨٫٩٢ وقد تم استخراج قيمة f^2 المجدولة بدرجة حرية :

(٥ – ١) (٨ – ١) = ٢٨

وبمستوى معنوية ٥٪

فتكون ١٥٫٤٠٧٩

ولما كانت f^2 المحسوبة أكبر من المجدولة فعليه ترفض فرضية العدم وتقبل الفرضية البديلة والتي تقول ان هنالك علاقة بين المناطق الطبيعية (أو المناطق المتباينـة بظواهرها وبمراتبها المرضية) والمؤشرات الصحية في العراق ●

وهذا يعني ان تباين مستويات المؤشرات الصحية بين محافظة واخرى ثم بين منطقة جغرافية واخرى يخلق مستويات مختلفة بمراتب أمراض الطفولة في العراق ●

وتم التوصـل الى ان أمراض الطفـولة من دون جميع الأمراض في العراق لا يتقيد انتشارها بظروف جغرافية محددة بل هذه الامراض تظهر لها تركزات وبؤر واضحة في مناطق دون أخرى ، تبعا لتباينات المؤشرات الصحية ●

وحتى تتضح صورة معاناة الأطفال من مصادر غير الأمراض السبعة التي تناولها البحث يعرج البحث لينوه عن مؤشر وفيات الأطفال ومسببات هذه الوفيات بشكل عام ●

وفيات الاطفال :

المعروف ان في البلدان النامية يولد مائة طفل في كل ثلاثين ثانية ومن هؤلاء يموتون عشرون في السنة الأولى ومن الثمانين الذين يسلمون يعانون

من سـوء التغـذية ولا تصلهم عناية صحية ، ونصف الذين يبلغون سن الدراسه فقط يتيسر لهم دخول المدارس ، ومن هؤلاء اربعة من كل عشرة فقط يكملون دراستهم الابتدائيه • هذا الامر لا ينطبق على العراق وان حصلت زيادة في عدد الوفيات فهي عائدة الى الاهتمام المتصاعد في تسجيل الوفيات بدقه • فالاطفال في العراق يواجهون ظروف صحية احسن من ذي قبل ومع هذا فالمشكله قائمه غير منتهية والدراسة هذه فرصه تحليل طموحه للوصول الى اشارات من وجهة نظر جغرافية تؤكد مواضع الخلل في التوزيعات المكانيه وحجم المشكلة الصحية التي يواجهها الاطفال •

ان وفيات الاطفال خلال السنة الاولى من العمر لكل الف ولادة حية لسنة ١٩٧٥ كانت في البحرين (١٣٨ وفاة) والامارات (١٣٨) والعـراق (٦٩) والسعودة (١٥٢) وعمان (١٢٨) والكويت (٤٤) والسعودية (١٣) وفلندا (١٤) والدنمارك (١٧) وبريطانيا (١٨)[٢١] وفاة •

ان حجـم معدلات وفيات الأطفال تشير الى محنة الأطفال ليس في مرحلة ما بعد الولادة وانما تعود المحنة الى مرحلة حياة الطفل الجنين وذلك يرتبط بالحالة الصحية للأم ونوع الخدمات الطبية المتوفرة اثناء الولادة وفي حالة النفاس وبالتأكيد ترتبط الحالة الثانية بأمراض الاطفال •

ان معدلات الوفيات مؤشر مهم يكشف عن انتشار الأمراض الخطرة بين الاطفال وان معدلات الوفيات العالية بين الاطفال في البلدان النامية تمثل حالة خطرة تتجاوز المعدلات للبلدان المتقدمة بحدود هائلة جـدا فالارقام بعدد الوفيات بين الأطفال للفئة (٠ - ٥) لكل مليون نسمة هي (٦٢٥ وفاة) في الدول المتقدمة مقابل (٤٨٫٠٠٠ وفاة) في الدول النامية[٢٢] ، وان كل نصف مليون وفاة سـنويا في البلدان المتقـدمة خلال السنوات الأولى من العمر يقابلها عشرون مليون وفاة سنويا في البلدان النامية للعمر نفسه •

ان الاطفال يموتون بأعداد كبيرة وهذه الوفيات كولادات ميتة بلغ

معدله السنوي (٢٢٠١ ولادة ميتة) منذ سنة ١٩٧٢ - ١٩٨٠ وهذه الولادات الميته الفت نسبة ٢٥٫٢٪ الى مجموع وفيات الاطفال ونسبة مئوية ٤٫٦٪ من المجموع الكلي للوفيات في العراق ، والبالغة بالمعدل السنوي ٤٦٫٨٦٣ وفاة للفترة ٩٧٢ - ١٩٨٠ ، وهذه النسبة عالية كونها تمثل حالة واحدة وهي الولادات الميته وكان يجب ولادة الاطفال احياء فيما اذا جرى الاعتناء بصحه الام • اما نسبة وفيات حديثي الولادة فتؤلف ٦٦٫٢٪ من مجموع وفيات الاطفال ، ومعدل نسبة مئوية ١٢٫٢٪ من الوفيات في العراق • ومعنى هذا ان معدل نسبة وفيات الأطفال حديثي الولادة والولادات الميتة تؤلف معدل نسبة مئوية ٩١٫٤٪ من مجموع وفيات الاطفال • وتبقى نسبة وفيات أمراض الطفولة التي تناولها البحث تؤلف معدل نسبة ٨٫٣٪ وانها تؤلف نسبة ١٫٥٪ من مجموع الوفيات الكلي في العراق •

واذا ما اردنا حساب وفيات الأطفال على أساس الولادات الميتة والوفيات الحديثة الولادة والوفيات أقل من سنة ووفيات فئة (١ - ١٤ سنة) بسبب امراض الطفولة وبسبب مختلف الأمراض الأخرى كالاسهالات مثلا تظهر ان نسبة وفيات الاطفال في العراق تتراوح ما بين ٣٥ - ٤٥٪ من مجموع الوفيات للمدة ٧٢ - ١٩٨٠ في العراق ، وان هذه النسبة بدأت تنخفض في السنوات الاخيرة ٨١ - ١٩٨٧ وذلك بالتقدم الصحي وانتشار العديد من المستشفيات المتخصصة بصحة الأم وصحة الطفل ، وكذلك بسبب التقدم الحضاري والوعي الصحي لدى النساء فالطفل في العراق اليوم في حالة افضل مقارنة بسنوات سبقت ، ولكن ما زالت المحنة •

والذي كشفه البحث ان ما نسميه بأمراض الطفولة لا تشكل محنة كبيرة للأطفال فهم يشفون منها حالة اصابتهم بالعلاج ولا يموت منهم الا القليل • واصبحت اليوم غالبية الأطفال تلقح باللقاحات الواقية ضد الشلل

والتدرن والحصبة والسعال الديكي وان الوفيات الحادثة بسبب امراض الطفولة تتوزع كالاتي : بسبب مرض اكزاز بلغ معدل الوفيات السنوي (٥٠٦) وفاة للفترة ٧١ ـ ٩٨٤ وبسبب الحصبة لنفس الفترة (٨٢ وفاة) والشلل (٥٦ وفاة) والسعال الديكي معدل (٥٥ وفاة) والدفتريا معدل (٢٠ وفاة) بينما لم تسجل وفيات بسبب أمراض جدري الماء والحمى القرمزية خلال المدة المذكورة .

وهنا يرد التساؤل : اذا كانت امراض الطفولة أقل فتكا بالأطفال كسبب للوفاة ، فما هي الحالات والأمراض المميتة ؟! وجوابا على هذا التساؤل نقول عدا الولادات الميتة هناك امراض تصيب الكبار وتصيب الصغار وتكون اكثر فتكا وقساوة هي :

١ ـ الاسهلات	٢٥٪ من وفيات الاطفال
٢ ـ الولادات الميتة	٢٥٪ من وفيات الاطفال
٣ ـ امراض وحوادث منوعة والكلا ازاء سوء التغذية وامراض التنفس	١٥٪ من وفيات الأطفال
٤ ـ حديثي الولادة	٢٠٪ من وفيات الأطفال
٥ ـ أمراض الطفولة السبعة	٨ ٪ من وفيات الأطفال

وبسبب تغطية العراق باللقاحات الثلاثية لاطفال دون السنة وبنسبة ٩١٪ سنة ١٩٨٧ باتت امراض الطفولة تسير في طريقها الى الانتهاء .

سوى انه لا تعني هذه التغطية رفع الخطر عن الاطفال فالمحنة تكمن على ما يبدو بحالات أخرى يجب ان توضع في الأولويات هي :

١ ـ العناية بالأم الحامل لتقليل الولادات الميتة .

٢ ـ توفير الغذاء الكافي للطفل •
٣ ـ مكافحة الاسهالات ومسبباتها لانها فتاكة في الاطفال •
٤ ـ العناية بالتوليد والاطفال حديثي الولادة •
٥ ـ الاهتمام بأمراض التنفس التي تصيب الأطفال وامراض اخرى كالكلا ازار •

النتائج والخلاصة :

تتضمن النتائج الاجابة على مجموعة الاسئلة التي اوردتها مشكلة البحث الرئيسة • ان الأطفال يعانون ويموتون بسبب الأسهالات فيجب مكافحتها والانتباه اليها وكذلك بالولادات الميتة فلابد من سبيل لتخفيف وطأة هذه الحالة وكذلك يعانون اذ هم يموتون في بدايات تولدهم • بينما أمراض الطفولة المدروسة غدت لا تؤلف مشكلة معاناة كبيرة تؤدي الى الموت ، وقد خفت آثارها في الآونة الأخيرة •

وان اصابات امراض الطفولة السبعة المدروسة تتغير بحسب فئات العمر وهي لا تصيب الكبار وتتغير حدتها بتغير الفصول وتتباين رتبها بحسب نوع المرض والبيئة ولكن مسؤولية البيئة الطبيعية بدت ضعيفة فأمراض الطفولة تنتشر في كل العراق وتتحرك تركزاتها وتتغير بؤرها لأن هـذا التغير المكاني يرتبط بشكل أكيد بمستوى المؤشرات الصحية المهيأة لصحة الطفـل •

ملحـــق (١)

تفصيلات عن الجدول (٦)

١ ـ أ ـ مثلث شمال العراق الجبلي الصرف والذي تتراوح الارتفاعات فيه ١٠٠٠ ـ ٣٦٠٠م ولهذا ضمن هذا النطاق تقع محافظات السليمانية ودهوك واربيل •

ب ـ مثلت شمال العراق شبه الجبلي والمتموج حيث تغلب الجبال الواطئة والهضاب المتموجة وهذه الصفات اصبحت الغالبة على محافظات (صلاح الدين والتأميم ونينوى) •

ح ـ مثلت النطاق السهلي وسط العراق المتميز بجداوله ومزارعه وهو نطاق متشابه نوعا ومع هذا فالصفة الغالبة هي السهلية وادخلت في هذا النطاق محافظات (واسط والقادسية وبابل وكربلاء وبغداد وديالى) •

د ـ مثلت النطاق السهلي الجنوبي الذي اغلب صفه فيه الانهار والاهوار والمستنقعات برغم وجود اطراف صحراوية هضبية ضمن النطاق وحسبت في هذا النطاق محافظات (البصرة وميسان وذي قار) •

هـ ـ مثلت المحافظات ذات السمة الهضبية الصحراوية الغالبة برغم وجود ارض سهلية زراعية وهذه المحافظات هي (الانبار والنجف والمثنى) •

٢ ـ المستوى المرضي اعتمد جداول الرتب التي استخرجها الباحث •

٣ ـ الارتفاع التقريبي بالأمتار ، انظر :

أ ـ مديرية المساحة العامة ، خارطة العراق الطبيعية بقياس ١/مليون •

ب ـ د• محمد حامد الطائي « التباين التضاريسي في العراق » مجلة الجمعية الجعرافية العراقية ، العدد ٦ ، مطبعة سعد ، بغداد ١٩٦٩ ، ص ٢١ ـ ٢٢ •

٤ ـ معدلات الحرارة :

أ ـ د. علي حسين الشلش « استخدام بعض المعايير الحسابية في تحديد اقاليم العراق المناخية » ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الرياض ، مجلد ٢ ، سنة ٢ ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٩ ـ ١٩٠ .

٥ ـ معامل النضج الاقتصادي والاجتماعي للمحافظات : انظر :

سرمد جورج لانس ، « استخدام الدالة المميزة لمقارنة المستوى الاقتصادي والاجتماعي لمحافظات العراق . » مجلة البحوث الاقتصادية والادارية ، عدد ٣ ، مجلد ٨ سنة ١٩٨٠ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٨٦ . وقد استخدم البحث المتغيرات التلية :

١ ـ عدد المشتغلين بالمنشاءات الصناعية الكبيرة .
٢ ـ الوحدات الكهربائية المستهلكة (مليون كيلوواط/ساعة) .
٣ ـ الكلفة التخمينية لاجازات البناء والترقيم (الف دينار) .
٤ ـ عدد الأسرة المخصصة للنزلاء في الفنادق .
٥ ـ مجموع سيارات الحمل المسجلة لدى مديرات المرور .
٦ ـ الكثافة السكانية (كم٢) .
٧ ـ معدل انتاج الحنطة ـ كغم/مشارة .
٨ ـ معدل انتاج الشعير ـ كغم/مشارة .
٩ ـ المجموع الكلي لمساحة الارض المزروعة منذ بداية الاصلاح الزراعي لغاية ١٩٧٧ (مشارة) .
١٠ـ المجموع العام لعدد العوائل الفلاحية المنتفعة من الاصلاح الزراعي .
١١ـ عدد المنشاءات الصناعية الكبيرة .

١٢ـ عدد اعضاء الهيئة التعليمية للمدارس الابتدائية •

١٣ـ عدد اعضاء الهيئة التعليمية للمدارس المتوسطة والثانوية •

١٤ـ المجموع الكلي للمستشفيات والمؤسسات الصحية •

١٥ـ عدد العمال المشمولين بالضمان الاجتماعي •

١٦ـ التعويضات المصروفة للعمال على مشروع الضمان الصحي (دينار) •

وقد توصل الباحث من خلال متغيراته الى معامل النضج الاقتصادي والاجتماعي باستخدامه الدالة المميزة وبالصورة التالية :

١ ـ محافظة بغداد	٧٣٣ر•
٢ ـ محافظة نينوى	٣٢١ر•
٣ ـ محافظة البصرة	٢٩٣ر•
٤ ـ محافظة بابل	٢٧٩ر•
٥ ـ محافظة ديالى	٢٥٣ر•
٦ ـ محافظة السليمانية	٢٤٨ر•
٧ ـ محافظة ذي قار	٢٢٨ر•
٨ ـ محافظة واسط	٢٢٤ر•
٩ ـ محافظة ميسان	٢٢٤ر•
١٠ـ محافظة اربيل	٢٢١ر•
١١ـ محافظة التأميم	٢١٦ر•

١٢ـ محافظة النجف	١٩٤ر٠
١٣ـ محافظة القادسية	١٨٧ر٠
١٤ـ محافظة دهوك	١٨٥ر٠
١٥ـ محافظة كربلاء	١٨٢ر٠
١٦ـ محافظة المثنى	١٧٨ر٠
١٧ـ محافظة صلاح الدين	١٧٦ر٠
١٨ـ محافظة الانبار	٢٢٩ر٠



الهوامش :

(١) انظر :

أ ـ البدري ، د· عبداللطيف ، الطب الاكدي ، ص١٥٠ ـ ١٥١ ·
ب ـ محمد ، د· محمود الحاج قاسم ، تأريخ طب الاطفال عند العرب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص١٣ـ١٤ ·

(٢) محمد ، د· محمود الحاج قاسم ، المصدر نفسه ، ص٣٤ ·

(٣) حمارنه ، د· سامي خلف ، الطفل والمرضعات في الطب العربي ، مجلة العربي ، عدد ٢٨٣ ، الكويت ، حزيران ، ١٩٨٢ ص١٦٠ـ١٦٢ ·

(٤) انظر :

أ ـ الرازي ، رسالة في أمراض الطفل والعناية به ، ترجمة د· محمود الحاج قاسم محمد ، ص٨ ·
ب ـ الرازي ، الحاوي ، ج١ ، ص٧ ، ص١٨ ·

(٥) محمد ، د· محمود الحاج قاسم ، المصدر السابق ، ص ص٦٢ـ٨٦ ·

(٦) محمد ، د· محمود الحاج قاسم ، « الامراض المعدية عند العرب والمسلمين » مجلة المورد ، وزارة الثقافة والاعلام ، مجلد ٩ ، عدد ٤ ، ١٩٨١ ص١٣٢ · « نقلا عن (المعالجات) لمحمد بن محمد الطبري » ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، ص١٣ ·

(٧) حمارنه ، د· سامي خلف ، المصدر السابق ، ص ص١٦٠ـ١٦٢ ·

(٨) الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، مديرية الاحصاء ، البوصلة الاحصائية للاعوام ٧١ـ١٩٧٥ ، مطبعة دائرة الطباعة ، بغداد ·

(٩)

Republic of Iraq Ministry of Health, Directoraie General of preventive Medicine-Statistics Section, No. of Rcported Cases and Registerted Death of Comunicable Diseases for 1970 -1980.

(١٠) جداول غير مطبوعة للاعوام ٨١ـ١٩٨٤ ، اضافة الى الدراسة الميدانية ·

(١١) انظر :

أ ـ الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، مديرية الاحصاء ،. المصدر السابق ٠

ب ـ

D. Republic of Iraq, Ministery of Health, Directorate General Preventive Medicine Statistics Section, op. cit. p. 89.

ج ـ جداول غير مطبوعة ، مصدر سابق ٠

(١٢) الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، البوصلة الاحصائية ، جداول اصابات الامراض للفترة ٧١ـ١٩٨٠ ، صفحات متعددة ٠

(١٣) وزارة الصحة ، مؤسسات صحية مختلفة ، جداول غير مطبوعة ٨١ـ١٩٨٤ ٠

(١٤) انظر :

أ ـ وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية ، قسم تخطيط الخدمات ٠ واقع الخدمات الصحية للامومة والطفولة ، وتقدير الاحتياجات لعام ١٩٨٠ ، سلسلة أبحاث التخطيط لاغراض التنمية القومية ١٩٧٦/١٩٨٠ ، حزيران ١٩٧٥ ص٥ ٠

ب ـ مديرية الاحصاء ، جداول غير منشورة ٨١ـ١٩٨٤ ، المصدر اسابق ٠

ح ـ الدراسة الميدانية لتقدير المراجعات لسنة ١٩٨١ ٠ في بعض المؤسسات الصحية المهمة ٠ مع تكرار هذه الدراسة للاعوام ٨٣ ، ٨٤ في ثلاثة أشهر متفرقة من كل سنة ٠

(١٥) وزارة التخطيط الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الاحصاءات التربوية والاجتماعية ، احصاءات المستشفيات لسنة ٨٤ ، ١٩٨٥ ، ص٣٣ ، جداول ١٦ ، ١٤ ٠

(١٦) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الاحصاءات التربوية والاجتماعية ، المصدر السابق ص٣٤ـ٣٦ ، جداول ١٤ ، ١٦ ٠

(١٧) وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية والاجتماعية ، المصدر السابق ، ص٤ :

(١٨) مديرية الخدمات الطبية العامة ، قوائم غير منشورة ٠

(١٩) وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية ، قسم تخطيط الخدمات ، المصدر السابق ، ص٥ ٠

(٢٠)
CHAO — Introduction to Statistics, 1980-Brook / Cole publishing Company - California, p 320-335.

(٢١) الاتحاد العام لنساء العراق ، سكرتارية الدراسات والبحوث ، التخطيط لاحتياجات الطفولة في الخليج العربي ، دراسة مقدمة الى الدورة الخامسة ، لجنة المرأة العراقية ، جامعة الدول العربية المنعقدة في البصرة في ٢٣ ـ ٢٦ تشرين أول ١٩٧٦ دراسة رقم (٢) ، ص١٧ ٠

(٢٢) اوتورف ، اولويات الطفولة في الدول النامية ، بيروت ، ص٣ ٠

الضرورة الشعرية وآثرها في شرح ابن عقيل على الألفيـــة

الدكتور عبدالجبار جعفر القزاز
كلية الآداب / جامعة بغداد

المقـــدمة :

المعروف أن للشعر لغة خاصة قد تتفق أو تختلف عن لغة النثر ، وللشاعر تجوزات أو رخصات سميت بالضرورة لا يجوز للمتكلم استعمالها في النثر ، لأن الشـــعر موطن اضطرار ، فان كان فيــه مخالفــة للقياس والاصول عدت ضرورة خاصة بالشاعر ، كما عدت شذوذاً خارجا عـن القياس تحفظ ولا يقاس عليها في الكلام المنثور .

والشعراء ـ كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤوا ، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الالسن عن وصفه ونعته والأذهان عن فهمه وايضاحه ، فيقربون البعيد ، ويبعدون القريب ويحتج بهم ولا يحتج عليهم ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل[١] .

والشعر بعد هذا منبع مهم من منابع الاستشهاد في اللغة والنحـو

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الادباء / لحازم القرطاجني ص ١٤٣ ـ ١٤٤ (تحقيق د. محمد الحبيب / تونس ١٩٦٦) .

والصرف، وقد استعان العرب به لتفسير مايتطلبه التفسير من كتاب الله وحديث نبيه وأقوال الصحابة والتابعين ... وقد جاء في حديث الرسول (ص) : « ان من الشعر لحكمة ، فاذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فانه عربي »[2] ، وهو ديوان العرب وبه حفظت الانساب وعرفت المآثر حتى قال فيه عمر بن الخطاب (رض) : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »[3] .

وقد بينت كتب الادب والبلاغة والنقد منزلة الشعر في حياة العرب ، واشارت الى اهميته في بيان فصاحة لغتهم .

وعلى الرغم من المزايا التي خصها علماء العربية للشعر والشعراء ، فقد جرى خلاف بين النحاة والبلاغيين والعروضيين في ما يحتج به من الشعر وما تبنى عليه القواعد والأصول ، ففيه ضرورات تستحسن أو تستقبح ، أدت الى خلاف بينهم في ما جاز للشعراء ارتكابه منها وما امتنع .

وخصصت كتب مستقلة وأبواب في مباحث نحوية ولغوية وبلاغية ونقدية تعنى بالضرورات الشعرية وما يحق للشاعر دون الناثر ، ولا أظن كتابا نحويا من كتب الأصول أغفل هذا الباب – باب الضرورة الشعرية – ، فهذا سيبويه امام النحاة خصص في كتابه (الكتاب) أكثر من باب لما يجوز للشعراء ارتكابه في الشعر ولا يجوز للمتكلم استعماله في كلامه ونثره مثل (باب ما يحتمل الشعر)[4] و (باب وجوه القوافي في الانشاد)[5] و (باب

---

(٢) ورد هذا الحديث في لسان العرب / مادة (شعر) ، ولم أقف عليه بهذا النص في كتب الحديث المعتمدة ، والوارد فيها : ان من الشعر لحكمة .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ص٢٣ (تحقيق محمد شاكر / دار المعارف بمصر) .

(٤) الكتاب ١/٢٦ – ٣٤ (تحقيق هارون) .

(٥) نفسه ٤/٢٠٤ – ٢١٦ .

ما رخمت الشعراء في غير النداء اضطرارا)[٦] و (باب ما يجوز في الشعر من ايا ولا يجوز في الكلام)[٧] • فضلا عن مواضع أخرى متفرقة في الكتـاب •

وهذا ابن جني ـ عالم اللغة الكبير ـ يعقد باباً في كتابه الخصائص بعنوان (هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أولا ؟)[٨] ، وتكلم أبو حيان الاندلسي على الضرورة في خاتمة كتابه : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، فعقد لها باباً كبيراً بعنوان (باب الضرائر ومبرراتها)[٩] •

كما خصص علماء البلاغة والنقد والعروض أبواباً للضرورة الشعرية وأنواعها ، ومن هؤلاء : ابن رشيق في كتابه (العمدة) ، وأبو هـلال العسكري في (الصناعتين) ، وقدامة بن جعفر في (نقد الشعر) ، وحازم القرطاجني في (منهـاج البلغاء ••) وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني في (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وغيرهم[١٠] •

ومن الكتب التي عنيت بظاهرة الضرورة فقط كتاب (ما يجـوز للشاعر في الضرورة لابي عبدالله محمد بن جعفر القزاز (ت٤١٢)[١١] ، وكتاب

---

(٦) نفسه ٢/٢٦٩ ـ ٢٧٤ •

(٧) نفسه ٢/٣٦٢ •

(٨) الخصائص لابن جني ١/٣٢٣ ـ ٣٣٥ (تحقيق محمد علي النجار) •

(٩) ارتشاف الضرب لابي حيـان الاندلسى ٣/٢٦٨ ـ ٣١٩ (تحقيق وتعليق د• مصطفى أحمد النماس) •

(١٠) ينظر الى : دراسات في كتاب سيبويه للدكتورة خديجـة الحديثي ص ٨١ ـ ٨٢ •

(١١) حققـه وقدم لـه المنجي الكعبي / الدار التونسية للنشر ١٩٧١ ، وطبع أيضا بتحقيق د• محمد زغلول سلام ود• محمد مصطفى هدارة / منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٣ •

(ضرائر الشعر) لابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩)[١٢] الذي يعد من المصادر المهمة في الضرورة الشعرية لاحتوائه على كثير منها ، ولغزارة شواهده النحوية التي يحتوي عليها ، ولبنائه على خطة محكمة في التصنيف وترتيب الموضوعات ، كما أن عبدالقادر البغدادي قد عول عليه كثيراً وجعله من المصادر الأساسية في كتابه الكبير (خزانة الأدب)[١٣] .

وتنبه الباحثون المحدثون على أهمية الضرورة الشعرية في ميادين الأدب واللغة والنحو فألف المرحوم محمود شكري الالوسي كتاب (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر)[١٤] .

وكتبت الدكتورة خديجة الحديثي مبحثاً بعنوان (الضرورة الشعرية) في كتابها دراسات في كتاب سيبويه[١٥] ، وعقد الدكتور خالد عبدالكريم جمعة فصلا بعنوان (الشعر والضرورة) في رسالته للدكتوراه الموسومة (شواهد الشعر في كتاب سيبويه)[١٦] .

ومن الكتب المهمة التي عالجت قضية الضرورة الشعرية باعتبارها أثراً للعلاقة بين الشاعر واللغة ومظهراً من مظاهر الارادة الشعرية لفهم العمل الأدبي كتاب (الضرورة الشعرية ـ دراسة اسلوبية ـ) للسيد

---

(١٢) حققه السيد ابراهيم محمد / دار الاندلس / بيروت ١٩٨٠ (الطبعة الاولى) .

(١٣) من مقدمة المحقق لكتاب ابن عصفور ص٧ (الطبعة الثانية ١٩٨٢) .

(١٤) طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة (١٣٤١هـ) بشرح الاستاذ محمد بهجة الاثري .

(١٥) طبع في القاهرة سنة ١٩٨٠ ونشرته وكالة المطبوعات في الكويت .

(١٦) حصل المؤلف بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٨٠ وطبعت سنة ١٩٨٠ .

ابراهيم محمد(١٧) .

ومن الدراسات الجامعية التي خصصت لبحث ظاهرة الضرورة رسالة الدكتور عبدالوهاب العدواني الموسومة (الضرورة الشعرية ـ دراسة لغوية نقدية)(١٨) .

الضرورة عند علماء العربية :

الضرورة لغة اسم لمصدر الاضطرار وهو الاحتياج الى الشيء أو الالجاء اليه ، والضروري : كل ما تمس اليه الحاجة وكل ما ليس منه بد(١٩) . ومنه قولهم (الضرورات تبيح المحذورات أو المحظورات) . ومن هذا المعنى أخذ مصطلح الضرورة الشعرية .. ، وقد أدى اطلاقه على ظاهرة الخروج عما هو مطرد من الاستعمال اللغوي في الشعر الى الربط بين هذا المصطلح ومصطلح (الضرورة الشرعية) ، كما أدى ذلك الى خضوع مسألة الضرورة لفكرة الوزن والقافية ، مما سوغ لبعض النحاة أن يعد مثل هذه الظاهرة أثراً من آثار عجز الشاعر وقصور لغته وافتقاره الى القدرة على الأخذ بناصية اللغة نتيجة الخروج على قواعد النحو وأصوله ، فحصرت الضرورات في الزيادة والنقص والتقديم

---

(١٧) طبع في بيروت / دار الاندلس ١٩٨٠ ، وهذا الكتاب بحث ممتع وجاد واستطاع فيه مؤلفه أن يتتبع رأي سيبويه في الضرورة ويستجلي الكثير من آراء النحويين الذين جاؤوا بعده ، فربط بين الضرورة والبحث اللغوي والنحوي ، ودرس هذه الظاهرة دراسة أسلوبية .

(١٨) نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من كلية الآداب / جامعة بغداد سنة ١٩٨١ .

(١٩) ينظر الى لسان العرب / مادة (ضرر) والمعجم الوسيط مادة (ضرورة) و (ضروري) .

والتأخير وما الى ذلك[20] .

واختلف علماء النحو في معنى الضرورة الشعرية فذهب بعضهم الى أن الضرورة هي ما وقع في الشعر مما ليس للشاعر عنه مندوحة[21] ، وذهب اخرون الى أن الضرورة هي ما وقع في الشعر دون النثر سواء اكان عنه مندوحة أم لا[22] .

والمتتبع لكلام سيبويه في المواضع التي تعرض فيها لذكر الضرورة يرى انه ممن يرون ان الضرورة شيء خاص بالشعر سواء أكان للشاعر عنه مندوحة أم لا ، لان كثيرا من الشواهد التي أوردها في أقسام الضرورة المختلفة من تلك الشواهد التي وردت فيها روايات أخرى تخرجها من مجال الضرورة ، ومع ذلك لم يذكر سيبويه شيئا من تلك الروايات في كتابه . وعبارة سيبويه (وليس شيء يضطرون اليه الا وهم يحاولون به وجها)[23] تدل بوضوح على أن الضرورة ليست شيئاً يبتدعه الشاعر ابتداعاً ، وانما هي تركيب يضطر اليه الشاعر في سياق العمل الأبداعي محاولا به التعبير عما في نفسه بصورة مخالفة لصور التعبير المألوفة ، دون أن يخرج بذلك عن سنن العربية ، بل لابد من أن تكون هناك صلة بين ما يقوله – ضرورة – وما يقوله وهو في حال الاتساع ، أي عند استخدامه للكلام المنثور ...

فالضرورة اذن في مفهوم سيبويه ليست شيئا مباحا للشعراء دون

---

(٢٠) ينظر الى مقدمة كتاب : الضرورة الشعرية للسيد محمد ابراهيم ص ٨ – ٩ .

(٢١) المندوحة معناها السعة والفسحة . / لسان العرب (ندح) .

(٢٢) ينظر الى الضرائر للالوسي ص ٦ – ٩ (المسألة الاولى في تعريف الضرورة) .

(٢٣) الكتاب ٣٢/١ .

ضوابط ، بل ينبغي أن تكون هناك حدود فاصلة ، اذا خرج عنها الشاعر صار كلامه بعيداً عن العربية ، داخلا تحت باب ما يسمى باللحن او الخطأ •

ومما يدل على أن الضرورة عند سيبويه لا تصح الا اذا قامت صلات متينة بينها وبين ما يجوز في اللغة ، تلك الاجازات التي أجازها سيبويه للشعراء في حال الضرورة دون أن يأتي لها بشواهد من الشعر ، بل قاسها على ما يجوز في كلام العرب المنثور ، وعلى غيرها من الضرورات ، وكان رائده في ذلك كله حساً عميقا وبصراً باللغة مكينا[٢٤] •

فالشاعر ـ عند سيبويه ـ لا يخرج عما عليه الاستعمل اللغوي للالفاظ والعبارات الا ليبلغ بالتعبير مستوى آخر من مستويات الاستعمال الواقعة في اللغة أي ان الشاعر يظل محدودا بدائرة اللغة لا يتجاوزها[٢٥] • فالضرورة ـ عنده ـ ترجع الى أمرين هما : المشابهة بين شيئين ، ورد الشيء الى أصله • والى هذا أشار السيوطي بقوله : (علة الضرائر التشبيه لشيء بشيء أو الرد الى الأصل •)[٢٦]

ومعظم النحاة بعد سيبويه يرون أن الضرورة هي ما وقع في الشعر دون النثر سواء أكان عنه مندوحة أم لا ، ومن هؤلاء ابن جني وابن عصفور وابو حيان وابن هشام وغيرهم • وقد عبر ابن جني نيابة عن الفراء حين سئل الأخير : لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام ؟ فقال أبو عثمان : (ان العرب قد تلزم الضرورة في الشعر في حال السعة ، أنساً بها واعتياداً

---

(٢٤) ينظر الى شواهد الشعر في كتاب سيبويه للدكتور خالد عبدالكريم ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ •

(٢٥) ينظر الى : الضرورة الشعرية للسيد محمد ابراهيم ص١٣ •

(٢٦) الاشباه والنظائر للسيوطي ٢٢٥/١ (الطبعة الثانية / حيدر آباد ١٣٥٩هـ) •

لها ، واعداداً لها لذلك عند وقت الحاجة اليها ...)[٢٧]

وذهب نحاة آخرون الى أن الضرورة هي ما وقع في الشعر مما ليس للشاعر عنه مندوحة ، ومن هؤلاء ابن مالك (صاحب الألفية) ورد عليه بعض النحاة منهم أبو حيان فقال : (لم يفهم ابن مالك من قول النحويين في ضرورة الشعر فقال في غير موضع ليس هذا البيت بضرورة لأن قائله متمكن من أن يقول كذا وكذا ، ففهم أن الضرورة في اصطلاحهم هـو الالجـاء الى الشيء فقـال انهـم يلجؤون الى ذلك اذ يمكن أن يقولوا كذا ...)[٢٨] ، كما رد على ابن مالك آخرون لسنا بصدد ذكر أقوالهم، وسنتتبع رأي صاحب الألفية في الضرورة الشعرية من خلال كتابيه الألفية والتسهيل وسنشير الى أوجه الخلاف بينه وبين ابن عقيل مشارح ألفيته .

ومن علماء البلاغة والنقد من عد الضرورة رخصة كما فعـل ابن رشيق في العمدة وأبو هلال العسكري في الصناعتين ، وعدها آخرون من عيوب الشعر كما فعل قدامة بن جعفر في نقد الشعر وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومه ، والقزاز في (ما يجوز للشاعر في الضرورة)[٢٩] .

الضرورة الشعرية عند ابن عقيل :

يعد ابن عقيل (بهاءالدين عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي المصري

---

(٢٧) الخصائص ٣/٣٠٣ .

(٢٨) الاشباه والنظائر للسيوطي ١/٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٢٩) ينظر الى مواضع هذه الاقوال وأقوال أخرى في كتاب : دراسات في كتاب سيبويه للدكتورة خديجة الحديثي ص ٩٦ ـ ٩٨ .

الهمداني المتوفى سنة ٦٧٩هـ)[٣٠] من أشهر شراح ألفية ابن مالك (الخلاصة) ، وقد اخترنا هذا الشرح لوضوح عبارته وسهولة أسلوبه وكثرة انتشاره حتى عد من مصادر النحو المتداولة لدى قراء العربية وطالبي علومها ، فحقق رواجاً لم يحققه كتاب نحوي آخر ، فاكتفي به عن اكثر شروح الألفية • وكفانا أبو حيان الاندلسي ـ وهو شيخ ابن عقيل ـ مؤونة الاستطراد في بيان منزلة الرجل العلمية ومهارته النحوية اذ قال فيه قولته المشهورة : ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل •

وسنذكر ـ فضلا عن شواهد الضرورة عند ابن عقيل ـ رأي ابن هشام الأنصاري في شواهد الضرورة من كتابه أوضح المسالك ، لأن الشارحين متعاصران وكلاهما شرح الألفية ولكل منهما رأي في مسألة الضرورة الشعرية •

اما رأي ابن مالك فسنستخلصه من كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد المدون مع شرح ابن عقيل على التسهيل والمسمى بـ (المساعد)[٣١] •

شواهد الضرورة(٣٢) :

١ ـ كسر نون جمع المذكر السالم والملحق به :ـ

---

(٣٠) ينظر في ترجمته الى بغية الوعاة للسيوطي ٤٧/٢ (تحقيق ابي الفضل ابراهيم / القاهرة ١٣٨٤هـ) • وينظر أيضا الى مقدمة المساعد على تسهيل الفوائد / الجزء الاول ص ز ـ ط ، ومقدمة شرح ابن عقيل على الالفية ص ٧ ـ ٩ (تحقيق محمد محي الدين) •

(٣١) طبع المساعد بتحقيق وتعليق الدكتور محمد كامل بركات ونشره مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بمكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ •

(٣٢) لم نخرج أبيات الضرورة الشعرية لكثرة دورانها في كتب النحو

— عرفنا جعفراً وبني أبيه

وِانكرنا زعانف آخرين

. . . .

— أكل الدهر حل وارتحال

أما يبقي علي ولا يقيني

وماذا تبتغي الشعراء مني

وقد جاوزت حد الأربعين

حق نون الجمع وما ألحق به الفتح وقد تكسر شذوذاً .. وليس كسرها لغة خلافاً لمن زعم ذلك(٣٣) . ويرى ابن هشام أن الكسر جائز في الشعر بعد الياء(٣٤) . وعد ابن مالك كسر النون ضرورة لا تسوغ الا في الشعر(٣٥) .

٢ ـ الضمير المتصل بعد الا :

— أعوذ برب العرش من فئة بغت

علي فما لي عوض اِلاّه ناصر

— وما علينا اذا كنت جارتنا

أن لا يجاورنا الاك ديار

لا يقع الضمير المتصل بعد الا في الاختيار ، وقد جاء شذوذا في

بدءاً من كتاب سيبويه الى يومنا هذا ، وكفانا المرحوم محمد محي الدين عبدالحميد صنعاً ، في هامش شرح ابن عقيل المسمى (منحة الجليل) حين فصل الكلام على الشواهد وعزاها الى قائليها وبين موطن الاستشهاد فيها .

(٣٣) شرح ابن عقيل ١/٦٧ ـ ٦٨ .

(٣٤) أوضح المسالك لابن هشام ١/٤٩ .

(٣٥) المساعد ١/١٠٦ .

الشعر[٣٦] ، والذي عليه أكثر النحويين أن اتصال الضمير بـ الا ضرورة ، وفي كلام بعضهم ما يقتضي أنه مقيس[٣٧] . وهو شاذ لا يقاس عليه عند ابن مالك[٣٨] ، وضرورة عند ابن هشام[٣٩] .

٣ ـ مجيء الضمير منفصلا مع امكان الاتيان به متصلا (فصل الضمير في موضع الفصل) :

ـــ بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت
اياهم الأرض في دهر الدهارير

في البيت ضرورة اتفاقا ـ عند ابن مالك وابن عقيل وابن هشام ـ ولولا الضرورة لقال : ضمنتهم[٤٠] .

٤ ـ حذف نون الوقاية مع (ليس ، ليت ، عن ، من وقد .)

ـــ عددت قومي كعديد الطيس
اذ ذهب القوام الكرام ليسي

الحذف شاذ عند ابن عقيل[٤١] ، وجائز عند ابن مالك[٤٢] ، وضرورة عند ابن هشام[٤٣] .

وفي البيت شاهد آخر هو مجيء الخبر ضميراً متصلا ولا يجوز عند

---

(٣٦) شرح ابن عقيل ١/٨٩ ـ ٩٠ .
(٣٧) و (٣٨) المساعد ١/١٠٦ .
(٣٩) أوضح المسالك ١/٦١ .
(٤٠) المساعد ١/١٠٨ ـ ١٠٩ ، شرح الالفية لابن عقيل ١/١٠١ ، أوضح المسالك ١/٦٦ .
(٤١) شرح الالفية ١/١٠٨ ـ ١٠٩ .
(٤٢) المساعد ١/٩٦ .
(٤٣) أوضح المسالك ١/٧٨ ـ ٧٩ .

جمهرة النحاة الا منفصلا ، فكان يجب عليه أن يقول : (ليس اياي)[٤٤].

— كمنية جابر اذ قال ليتي
أصادفه وأتلف جلّ مالي

الحذف نادر عند ابن عقيل[٤٥] وجائز عند ابن مالك[٤٦] وضرورة عند سيبويه[٤٧] وابن هشام[٤٨] .

— أيها السائل عنهم وعني
لست من قيس ولا قيس مني

الحذف شاذ عند ابن عقيل[٤٩] وجائز للضرورة عند ابن مالك[٥٠] .

— قدني من نصر الخبيبين قدي
ليس الامام بالشحيح الملحد

اجتمع الحذف والاثبات ، والحذف قليل عند ابن عقيل[٥١] ، وجائز للضرورة عند ابن مالك[٥٢] وابن هشام يرى أن الاثبات هو الغالب ،

---

(٤٤) شرح الالفية (هامش المحقق) ١/١٠٩ ـ ١١٠ .
(٤٥) المصدر السابق ١/١١١ .
(٤٦) المساعد ١/٩٦ .
(٤٧) الكتاب ٢/٣٧٠ (تحقيق هارون) .
(٤٨) أوضح المسالك ١/٨١ .
(٤٩) شرح الالفية ١/١١٤ .
(٥٠) المساعد ١/٩٥ ـ ٦٦ . وقال ابن الناظم في البيت المذكور انه من وضع النحويين وشكك ابن هشام فيه اذ قال : (وفي النفس من هذا البيت شيء) ، ووجه الشك لديهما هو اجتماع من وعن على لغة غير مشهورة . ينظر الى هامش شرح الالفية لابن عقيل ١/١١٤ .
(٥١) شرح الالفية ١/١١٥ .
(٥٢) المساعد ١/٩٦ ـ ٩٧ .

ويجوز الحذف فيه قليلا ولا يختص بالضرورة خلافا لسيبويه(٥٣) .

٥ ـ دخول الألف واللام على الفعل المضارع

ـــ ما أنت بالحكم الترضى حكومته
ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

وهذا شاذ عند ابن عقيل ، ومخصوص بالشعر عند جمهور البصريين(٥٤) ، وعند ابن مالك يكون اختيارا ولا يختص بالشعر ، وخالف في ذلك النحويين ، وجعله اختيارا لان الشاعر عنده غير مضطر ، اذ يمكن أن يقول : ما أنت بالحكم المرضي(٥٥) .

٦ ـ وصل (أل) بالجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) والظرف

ـــ من القوم الرسول الله منهم
لهم دانت رقاب بني معد

ـــ من لا يزال شاكراً على المعه
فهو حر بعيشة ذات سعه

وهذا شاذ عند ابن عقيل(٥٦) ، وضرورة عند ابن مالك(٥٧) .

---

(٥٣) أوضح المسالك ١/٨٦ . والبيت من شواهد سيبويه في الضرورة المختصة بالشعر . قال : وقد جاء في الشعر : قطي وقدي . فأما الكلام فلابد فيه من النون ، وقد اضطر الشاعر فقال قدي ، شبهه بحسبي ، لان المعنى واحد . (الكتاب ٢/٣٧١) .

(٥٤) شرح الالفية ١/١٥٦ ـ ١٥٨ .

(٥٥) المساعد ١/١٥٠ .

(٥٦) شرح الالفية ١/١٥٨ ـ ١٦٠ .

(٥٧) المساعد ١/١٥٠ .

جاء التقديم شذوذاً عند ابن عقيل ، لأن اللام لها الصدارة في

٧ ـ وصل (أل) بالعلم الجنسي وبالتمييز الذي يجب أن يكون نكرة .

ـــ ولقد جنيتك أكمؤاً وعساقلا
ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

ـــ رأيتك لما أن عرفت وجوهنا
صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

وهذه الزيادة ضرورة شعرية اتفاقا ، عند ابن مالك وابن هشام وابن عقل[٥٨] .

٨ ـ تقديم الخبر المحصور بـ (الا) على المبتدأ .

ـــ فيا رب هل الا بك النصر يرتجى
عليهم ، وهل الا عليك المعول

جاء التقديم شذوذاً عند ابن عقيل[٥٩] ، وفي غير الاختيار عند ابن مالك[٦٠] وضرورة عند ابن هشام[٦١] .

والأصل : هل المعول الا عليك ؟

٩ ـ تقديم الخبر على المبتدأ المتصل بلام الابتداء .

ـــ خالي لأنت ، ومن جرير خاله
ينل العلاء ويكرم الأخوالا

---

(٥٨) المساعد ١/١٩٨ ـ ١٩٩ ، أوضح المسالك ١/١٢٧ ـ ١٣٠ ، شرح الالفية ١/١٨٢ ـ ١٨٣ ، وفيه أن المبرد زعم أن (بنات اوبر) ليس بعلم ، فالالف واللام عنده غير زائدة ، وذهب الكوفيون الى جواز كون التمييز معرفة (طبت النفس) فـ (أل) عندهم زائدة .

(٥٩) شرح الالفية ١/٢٣٥ .

(٦٠) المساعد ١/٢٢١ .

(٦١) أوضح المسالك ١/١٤٧ ـ ١٤٨ .

الكلام[٦٢] .

١٠- اثبات تاء التأنيث بعد الفصل بين الفعل والفاعل المؤنث بـ (الا) .

ـــ طوى النحز والأجراز ما في غروضها
وما بقيت الا الضلوع الجراشع

عند ابن عقيل والجمهور لا يجوز اثبات التاء الا في الشعر[٦٣] . واثباتها عند ابن مالك ضعيف ، والأفضل الحذف[٦٤] . وقد تجنى ابن عقيل على ابن مالك - في هذا الموضع . وألزمه بمذهب معين قد لا يكون ذهب اليه ، لأن هذه المسألة خلافية بين علماء النحو[٦٥] .

١١- حذف تاء التأنيث من الفعل المسند الى ضمير المؤنث المجازي .

ـــ فلا مزنة ودقت ودقها
ولا أرض أبقل ابقالها

الحذف مخصوص بالشعر عند ابن عقيل[٦٦] . وهو كذلك عند ابن هشام[٦٧] . واستشهد به سيبويه[٦٨] ، وهو في ما يجوز للشاعر

---

(٦٢) شرح الالفية ١/٢٣٧ .
(٦٣) المصدر السابق ٢/٨٩ - ٩٠ (والمقصود بـ ٢ : الجزء الثاني من المجلد الاول وليس المجلد الثاني) .
(٦٤) المساعد ١/٣٨٩ . وقال ابن مالك في الفيته (والحذف مع فصل بـ الا فضلا ...) .
(٦٥) ينظر الى هامش محقق شرح ابن عقيل ٢/٩١ .
(٦٦) شرح الالفية ٢/٩٢ .
(٦٧) أوضح المسالك ١/٣٥٤ .
(٦٨) الكتاب ٢/٤٦ .

عند القزاز[٦٩] .

١٢ـ انابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول به

ـــ لم يعن بالعليـاء الا سيدا
ولا شفى ذا الغي الا ذو هدى

وهذه الانابة شاذة أو مؤولة عند ابن عقيل[٧٠] ، وغير جائزة عند ابن هشام[٧١] ، وغير صحيحة عند ابن مالك ـ وقـد ترد عنده[٧٢] ، وجائزة عند الكوفيين والاخفش[٧٣] ، واستدلوا لذلك بقراءة ابي جعفر « ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون »[٧٤] .

١٣ـ حذف حرف الجر ونصب الاسم المجرور . (تعدي الفعل اللازم بغير حرف) .

ـــ تمرون الديار ولم تعوجوا
كلامكم علي اذاً حـــرام

وهذا الحذف قليل عند ابن عقيـل ، وتقديره : تمـرون بالديار . ومذهب الجمهور أنه لا يقاس عليه[٧٥] . وقد يجرى مجرى المتعدي شذوذاً أو لكثرة الاستعمال أو لتضمن معنى يوجب ذلك[٧٦] . والبيت

---

(٦٩) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٢٣ .
(٧٠) شرح الالفية ٢/١٢١ .
(٧١) أوضح المسالك ١/٣٧٩ .
(٧٢) المساعد ١/٣٩٨ ، واستدلالا بقوله : ولا ينوب بعض هذي ان وجد في اللفظ مفعول به وقد يرد .
(٧٣) شرح الالفية ٢/١٢١ ـ ١٢٣ .
(٧٤) الآية ١٤ من سورة الجاثية .
(٧٥) شرح الالفية ٢/١٥٠ ـ ١٥١ .
(٧٦) المساعد ١/٤٢٨ .

من شواهد ابن عصفور في الضرائر[٧٧] .

١٤- اثبات الضمير العائد الى متأخر وهو ليس عمدة في تنازع العاملين والمعمول واحد .

- اذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب
جهاراً فكن في الغيب أحفظ للعهد

وألغ أحاديث الوشاة ، فقلما
يحاول واش غير هجران ذي ود

اثبات الضمير في مثل هذا الموضع شاذ في الكلام مخصوص بالشعر عند ابن عقيل[٧٨] ، وعند ابن هشام والجمهور ضرورة[٧٩] ، وهو جائز عند ابن مالك[٨٠] ، وذكر أبو حيان البيت في شواهد الضرورة ثم قال : وأجاز ذلك بعضهم في الكلام[٨١] .

١٥- حذف ضمير النصب من العامل الثاني في باب الاعمال اذا أعمل الأول .

- بعكاظ يعشي الناظريـ
ـن اذا هم لمحوا شعاعه

حذف الضمير هنا شاذ عند ابن عقيل[٨٢] ، وضرورة عند ابن

(٧٧) ضرائر الشعر ١٤٦ .
(٧٨) شرح الالفية ٢/١٦٣ - ١٦٥ .
(٧٩) أوضح المسالك ٢/٣١ .
(٨٠) المساعد ١/٤٥٦ .
(٨١) ارتشاف الضرب ٣/٢٩١ . والبيت المذكور ضرورة عند الاشموني أيضا . حاشية الصبان على الاشموني ٢/١٠٥ .
(٨٢) شرح الالفية ٢/١٦٥ .

هشام[٨٣] ، وجائز عند ابن مالك[٨٤] • ومن شواهد الضرورة عند أبي حيان الاندلسي[٨٥] •

١٦- خروج سوى عن الظرفية •

- ولا ينطق الفحشاء من كان منهم
اذا جلسوا منا ولا من سوائنا

- واذ تباع كريمة أو تشترى
فسواك بائعها وانت المشتري

- ولم يبق سوى العدوا
ن دناهم كما دانوا

- لديك كفيل بالمنى لمؤمل
وان سواك من يؤمله يشقى

قال ابن عقيل : ومذهب سيبويه والفراء وغيرهما أن (سوى) لا تكون الا ظرفاً •• وانها لا تخرج عن الظرفية الا في ضرورة الشعر ، وما استشهد به على خلاف ذلك يحتمل التأويل[٨٦] •

وذهب ابن هشام الى ما ذهب اليه الرماني والعكبري ما أن (سوى) تستعمل ظرفاً غالباً وكـ (غير) قليلا[٨٧] • ورأي ابن مالك أنها كـ (غير) تعامل بما تعامل به (غير) من الرفع والنصب والجر ، فالأصح

---

(٨٣) أوضح المسالك ٢/٢٧ •
(٨٤) المساعد ١/٤٥٦ •
(٨٥) ارتشاف الضرب ٣/٣٠٩ •
(٨٦) شرح الالفية ٢/٢٢٦ - ٢٣٠ •
(٨٧) أوضح المسالك ٢/٧٢ •

عنده عدم ظرفيتها ولزومها النصب[٨٨] .

١٧- دخول حرف الجر (حتى) على الضمير (الكاف) .

- فلا والله لا يلفي أناس
فتى حتاك يا ابن أبي زياد

وهذا شاذ عند ابن عقيل[٨٩] وهو عند البصريين ضرورة[٩٠] ، وعند ابن هشام كذلك[٩١] .

والبيت من شواهد الضرورة عند ابن عصفور[٩٢] وابي حيان[٩٣] .

١٨- دخول حرف الجر (الكاف) على الضمير (الهاء) .

- خلي الذنابات شمالا كثبا
وأم أوعال كها أو أقربا

- ولا ترى بعلا ولا حلائلا
كه ولا كهن الا حاظلا

وهذا شاذ عند ابن عقيل[٩٤] ، وهو من شواهد سيبويه في

---

(٨٨) المساعد ١/٥٩٤ .

(٨٩) شرح الالفية / المجلد الثاني (م٢) / ص ١١ .

(٩٠) المساعد / ٢/٢٧٣ .

(٩١) مغني اللبيب ١/١٢٣ (تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد / المكتبة التجارية / القاهرة) .

(٩٢) ضرائر الشعر ٣٠٩ .

(٩٣) ارتشاف الضرب ٣/٣٣٨ .

(٩٤) شرح الالفية م٢/١٣ - ١٤ .

الضـرورة[٩٥] ، وكـذلك عنـد القزاز[٩٦] وابن عصـفور[٩٧] وابي حيان[٩٨] .

١٩ـ تسكين عين (مع) .

ـــ فريشي منكم وهواي معكم
وان كانت زيارتكم لمـــاما

زعم سيبويه أن تسكين العين ضرورة شعرية[٩٩] ، ورد ابن عقيل عليه زاعماً أن من العرب من يسكنها وهي لغة ربيعة[١٠٠] .

٢٠ـ الفصل بين المضاف والمضاف اليه بأجنبي من المضاف .

ـــ كما خط الكتاب بكف ـ يوماً ـ
يهودي يقـارب أو يزيل

وهذا الفصل ضرورة شعرية ـ اتفاقاً ـ عند ابن عقيل وابن هشام وابن مالك[١٠١] ، وعند سيبويه قبلهم[١٠٢] ، وهـو كـذلك في كتب

(٩٥) الكتاب ٢/٣٨٤ ـ ٣٨٥ وفيه : (ان الشعراء اذا اضطروا أضمروا في الكاف فيجرونها على القياس . قال العجاج (الابيات) شبهوه بقوله له ولهن . ولو اضطر شاعر فأضاف الكاف الى نفسه قال : ما أنت كي . وكي خطأ ، من قبل أنه ليس في العربية حرف يفتح قبل ياء الاضافة) .

(٩٦) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٩٧) ضرائر الشعر ٣٠٨ .

(٩٨) ارتشاف الضرب ٣/٣٣٨ .

(٩٩) الكتاب ٣/٢٨٧ .

(١٠٠) شرح الالفية م٢/٧٠ .

(١٠١) المصدر السابق م٢/٨٣ ، أوضح المسالك ٢/٢٣٢ ، المساعد ٢/٣٦٧ .

(١٠٢) الكتاب ١/١٧٩ .

الضرورة الشعرية[103] .

٢١- الفصل بين المضاف والمضاف اليه بنعت المضاف .

— نجوت وقد بل المرادي سيفه
من ابن ابي شيخ الأباطح طالب
— ولئن حلفت على يديك لأحلفن
بيمين أصدق من يمينك مقسم

وهـذا الفصل ضرورة كذلك عنـد ابن عقيل وابن هشـام وابن مالك[104] .

٢٢- الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالنداء .

— وفاق كعب بجير منقذ لك من
تعجيل تهلكة والخلد في سقر
— كـأن برذون أبا عصـام
زيد حمـار دق باللجـام

وهذا الموضع ضرورة ـ اتفاقا ـ كسابقيه .

٢٣- التنوين بالرفع في المنادى المفرد العلم المبني :-

— سلام الله يا مطـر عليهـا
وليس عليك يا مطر السلام

وهذه الضرورة متفق عليها عنـد النحاة (ابن عقيـل[105] وابن

(١٠٣) ينظر على سبيل المثال ـ الى ضرائر ابن عصفور ١٩٢ وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ٣٥ .
(١٠٤) ينظر الى الهامش (١٠١) .
(١٠٥) شرح الالفية م٢/٢٦٢ .

هشام[(١٠٦)] وابن مالك[(١٠٧)] وغيرهم)[(١٠٨)] واثبتتها كتب الضرورات[(١٠٩)] .

٢٤ـ التنوين بالنصب في المنادى المفرد العلم المبني :

ـــ ضربت صدرها الى وقالت :

يا عدياً لقد وقتك الأواقي

وهذه الضرورة متفق عليها أيضاً عند النحاة وأصحاب كتب الضرورة[(١١٠)] .

٢٥ـ الجمع بين حرف النداء وأل في غير اسم الله تعالى .

ـــ فيا الغلامان اللذان فرا

ايا كما أن تعقبانا شرا

---

(١٠٦) أوضح المسالك ٣/٨٤ .

(١٠٧) المساعد ٢/٥٠١ .

(١٠٨) الخليل وسيبويه والمازني يختارون التنوين بالرفع ، والى هذا يذهب الفراء ويختاره . أما أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمر الجرمي فينشدونه بتنوين النصب . ينظر الى أمالي الزجاجي ٥٤ (الطبعة الاولى / القاهرة ١٣٢٤هـ) وبيت الضرورة المذكور من شواهد سيبويه في الكتاب ٢/٢٠٢ ، والمبرد في المقتضب ٤/٢١٤ ، وثعلب في مجالسه ٩٢ ، ٥٤٢ (تحقيق هارون / دار المعارف / الطبعة الاولى) .

(١٠٩) ينظر مثلا الى ضرائر الشعر لابن عصفور ٢٦ وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ٦١ وخزانة الادب للبغدادي ١/٢٩٤ (طبعة بولاق) .

(١١٠) ينظر الى المصادر السابقة في الهامشين الاخيرين .

وهذا الجمع ضرورة صريحة عند ابن عقيل(١١١) وابن هشام(١١٢) وابن مالك(١١٣) • وفي اجزة هـذه الضرورة في الكـلام خـلاف بين الكوفيين والبصريين(١١٤) •

٢٦ـ الجمع بين حرف النداء (يا) والميم المشددة التي تأتي عوضاً عنها •

ـــ اني اذا ما حـدث ألمـا
أقول : يا اللهم يا اللهما

وهذا الجمع شاذ عند ابن عقيل(١١٥) ، وضرورة نادرة عند ابن هشام(١١٦) ، وقال فيه ابن مالك (وشذ في الاضطرار : يا اللهم)
قال ابن عقيل : وهذا قول البصريين ، وأجاز الكوفيون ذلك في الكلام لأن الميم عندهم ليست عوضاً(١١٨) •

٢٧ـ استعمال الأسماء المخصوصة بالنداء في غير النداء •

ـــ تضل منـه ابلي بالهوجل
في لجة أمسك فلاناً عن فل

(١١١) شرح الالفية م٢/٢٦٤ •
(١١٢) أوضح المسالك ٣/٨٥ ـ ٨٦ وفيه : (ولا يجوز ذلك في النثر خلافا للبغداديين) •
(١١٣) المساعد ٢/٥٠٢ ـ ٥٠٣ وفيه : (لا يباشر حرف النداء في السعة ذا الالف واللام ••• خلافا للكوفيين في اجازة ذلك مطلقا) •
(١١٤) ينظر الى الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ١/٣٣٥ ـ ٣٣٦ (تحقيق محي الدين / المكتبة التجارية / ط٤ / ١٣٨١هـ) •
(١١٥) شرح الالفية م٢/٢٦٥ •
(١١٦) أوضح المسالك ٣/٨٤ •
(١١٧) المساعد ٢/٥١١ •
(١١٨) المصدر السابق ٢/٥١١ •

وهذا الاستعمال ضرورة عند بن عقيل[(١١٩)] وابن هشام[(١٢٠)] ، وابن مالك وعبارته الاخير : (أمسك فلاناً عن فل وقعيدته لكاع من الضرورات)[(١٢١)] ، وهي اشارة الى بيت الشعر المذكور •

٢٨- زيادة الهاء بعد الألف التي تلحق المندوب •

— ألا يا عمرو عمراه
وعمرو بن الزبيران

اثبات الهاء ضرورة عند ابن عقيل[(١٢٢)] ، ويقاس عليه عند ابن مالك[(١٢٣)] ، وفاقاً لمذهب يونس والفراء وبعض الكوفيين ، وذهب سيبويه والخليل وعامة البصريين الى أنه لا يجوز ذلك[(١٢٤)] •

٢٩- ترخيم الاسم في غير النداء •

— لنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره
طريف بن مال ليلة الجوع والخصر

وهذه الضرورة جائزة باتفاق النحويين على لغة من لا ينوي رد المحذوف خلافاً للمبرد[(١٢٥)] • وصرح بهذه الضرورة ابن عقيل وابن

---

(١١٩) شرح الالفية م٢/٢٧٨ •
(١٢٠) أوضح المسالك ٣/٩٢ - ٩٣ وفيه (قال ابن مالك : هو فل الخاص بالنداء استعمل مجرورا للضرورة ، والصواب أن أصل هذا (فلان) وانه حذف منه الالف والنون للضرورة •
(١٢١) شفاء العليل في ايضاح التسهيل لابي عبدالله السلسيلي ٢/٨٢٥ •
(١٢٢) شرح الالفية م٢/٢٨٥ •
(١٢٣) المساعد ٢/٥٣٨ •
(١٢٤) شفاء العليل للسلسيلي ٢/٨٢١ •
(١٢٥) ينظر الى ضرائر الشعر لابن عصفور ١٣٦ ، وشفاء العليل ٢/٨٣١ •

هشام وابن مالك[126] .

٣٠ـ توكيد الفعل المضارع الواقع بعد (لم) ، والواقع بعد أداة شرط غير (اما) .

ـــ يحسبه الجاهل ما لم يعلما[*]
شيخاً على كرسيه معممـا

ـــ من تثقفن منهم فليس بآيب
أبداً وقتل بني قتيبة شافي

وهو قليل عند ابن عقيل[127] ، وأقل عند ابن هشام[128] ، وقليل عند ابن مالك في ألفيته[129] ، وجائز عنده في تسهيله[130] . وضرورة عند سيبويه[131] وابن عصفور[132] والقزاز[133] .

٣١ـ صرف ما لا ينصرف .

ـــ تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
سوالك نقباً بين حزمي شعبعب

---

(١٢٦) شرح الالفية م٢/٣٠٩ ـ ٣١١ ، أوضح المسالك ٣/١٣٤ ـ ١٣٥ ، شفاء العليل ٢/٨٣١ .

(*) يريد : يعلمن فأبدل النون ألفا في الوقف .

(١٢٧) شرح الالفية م٢/٣٠٩ ـ ٣١١ .

(١٢٨) أوضح المسالك ٣/١٣٤ ـ ١٣٥ .

(١٢٩) استدلالا بقوله في الالفية : ... وقل بعد (ما ، ولم) وبعـد (لا) .

(١٣٠) استدلالا بقوله في التسهيل : (ويلحق به النفي بلا منفصلة وبلم) المساعد ٢/٦٦٨ .

(١٣١) الكتاب ٣/٥١٦ .

(١٣٢) ضرائر الشعر ٢٩ ـ ٣٠ .

(١٣٣) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٦٩ .

أجمع البصريون والكوفيون على هذه الضرورة وهي كثيرة ، وورد أيضاً صرف ما لا ينصرف للتناسب كقوله تعالى « سلالا وأغلالا وسعيرا »[١٣٤] فصرف (سلاسل) في قراءة من نونها لمناسبة ما بعده[١٣٥] . وقال بن مالك في التسهيل ، (وزعم قوم أن صرف ما لا ينصرف مطلقا لغة)[١٣٦] : وحكى الأخفش أن من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لا ينصرف قال : وكأنها لغة الشعراء ، جرت ألسنتهم في الكلام على ما يضطرون اليه في الشعر[١٣٧] .

٣٢ـ منع صرف المنصرف .

ـ وممن ولدوا عامـ
ـر ذو الطول وذو العرض

ذكر ابن عقيل أن هذه الضرورة أجازها قوم ومنعها آخرون وهم أكثر البصريين[١٣٨] . وصرح ابن مالك بهذه الضرورة بقوله : (ويمنع صرف المنصرف اضطرارا خلافا لأكثر البصريين .)[١٣٩] وقيل ان أحمد بن يحيى (ثعلب) أنشد شعراً فيه منع ما ينصرف فقيل له : هذا موضوع ، لأن فيه منع المنصرف ، فقال هذا جائز في الكلام ، فكيف في

---

(١٣٤) الآية ٤ من سورة الانسان .

(١٣٥) شرح الالفية لابن عقيل م٢/٣٣٩ .

(١٣٦) شفاء العليل (شرح التسهيل) ٢/٩١٠ .

(١٣٧) المساعد ٣/٤٤ . وينظر الى ضرائر الشعر لابن عصفور ص ٢٥ وفيه أن الاخفش زعم أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لا ينصرف ، وحكى الزجاجي أيضا في نوادره مثل ذلك .

(١٣٨) شرح الالفية م٢/٣٤٠ .

(١٣٩) شفاء العليل ٢/٩١٠ وينظر الى الانصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٩٣ (المسألة ٧٠) .

الشعر[١٤٠] ؟

٣٣ـ فعل الشرط مضارع وجوابه ماض .

ـــ من أكدني بسيء كنت منه

كالشجا بين حلقه والوريد

وهذا قليل عند ابن عقيل[١٤١] ، وجائز في سعة الكلام عند ابن مالك[١٤٢] ، وقليل عند ابن هشام في (اوضح المسالك) وفيه ان ابن مالك رد في هذه الاجازة مع الأكثرين ، اذ خصوا هذا النوع بالضرورة[١٤٣] .

٣٤ـ فعل الشرط مضارع مجزوم وجوابه مضارع مرفوع .

ـــ يا أقرع بن حابس يا أقرع

انك ان يصرع اخوك تصرع

وهذا ضعيف عند ابن عقيل[١٤٤] وابن هشام[١٤٥] وابن مالك[١٤٦] . واستشهد سيبويه بالبيت على أنه جائز في الشعر[١٤٧] . وهو من شواهد الضرورة (على حذف الفاء) عند ابن عصفور[١٤٨]

---

(١٤٠) المساعد ٣/٤٤ .

(١٤١) شرح الالفية م٢/٣٧١ .

(١٤٢) شفاء العليل ٣/٩٦٦ .

(١٤٣) أوضح المسالك ٣/١٩٠ وعبارة التسهيل (ولا يختص نحو ان تفعل فعلت بالشعر خلافا لبعضهم .) شفاء العليل ٣/٩٦٦ .

(١٤٤) شرح الالفية م٢/٣٧٤ .

(١٤٥) أوضح المسالك ٣/١٩٢ .

(١٤٦) قال في الالفية :

وبعد ماض رفعك الجزا حسن ورفعه بعد مضارع وهن

(١٤٧) الكتاب ٣/٦٧ .

(١٤٨) ضرائر الشعر ١٦٠ .

والقزاز[149] .

٣٥- حذف الفاء في جواب أما التفصيلية .

— فأما القتال لا قتال لديكم
ولكن سيراً في عراض المواكب

والحذف - عند ابن عقيل - يكون في الشعر والنثر بكثرة وبقلة[150] ، وعند ابن هشام في الضرورة[151] ، وابن مالك يرى أن الفاء (لا تحذف في السعة الا مع قول يغني عنه محكيه .)[152]

٣٦- مد المقصور[153]

— يا لك من تمر ومن شيشاء
ينشب في المسعل واللهاء

وهذا الموضع ضرورة عند ابن عقيل ، واختلف في جوازه ، فذهب البصريون الى المنع وذهب الكوفيون الى الجواز[154] . ولم يرجح ابن مالك أو ابن هشام أيا من الرأيين واكتفيا بأن هذا الموضع فيه خلاف . والبيت من شواهد الضرورة عند ابن عصفور[155] والقزاز[156] .

---

(١٤٩) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١١٩ .
(١٥٠) شرح الالفية ٣٩١ ـ ٣٩٢ .
(١٥١) أوضح المسالك ٣/٢٧٠ .
(١٥٢) المساعد ٣/٢٣٦ . وحذف الفاء عند المبرد ضرورة . المقتضب ٢/٧١ .
(١٥٣) أما قصر الممدود فلا خلاف بين البصريين والكوفيين في عده ضرورة .
(١٥٤) شرح الالفية م٢/٤٤٠ ـ ٤٤١ .
(١٥٥) ضرائر الشعر ٣٩ .
(١٥٦) ما يجوز للشاعر في الضرورة ٩٠ .

٣٧- تسكين عين جمع المؤنث السالم والقياس الفتح .

— وحملت زفرات الضحى فأطلقتها
ومالي بزفرات العشي يدان

وهذا ضرورة عند ابن عقيل(١٥٧) وابن مالك(١٥٨) ، وضرورة حسنة عند ابن هشام(١٥٩) .

وبعد هذه الجولة في الضرورة الشعرية وشواهدها عند ابن عقيل وآراء علماء العربية في هذا الباب أقول : ان ابن عقيل استشهد في شرحه لألفية مالك بالكثير من أبيات الضرورة وكان يطلق على قسم كبير منها مصطلح (الشذوذ) أو جاء (شذوذاً) في الشعر ، وهذا شاذ لا يقاس عليه ... الخ ، وقد يصرح بالضرورة في القليل منها ولا سيما في الشواهد المتفق عليها بين النحاة واللغويين والنقاد ، وهناك - في ما أعلم - فرق بين الشذوذ والضرورة ، فالشذوذ لا يرجع فيه الى الأصل ولا ينحصر في لغة الشعر ، وهو (أي : الشذوذ) القليل النادر الذي يشذ عن الأصول ، والذي أفهمه من الضرورة الشعرية أن فيها رجوعاً الى فكرة الأصل أو المشابهة بين شيئين - كما صرحنا في بداية البحث - ... ، ويخيل الي من تتبع كلام سيبويه في الكتاب ومن تحليلاته وتعقيباته أن الضرورة ظاهرة لغوية أدبية كأية ظاهرة لا تقوم دليلا على قصور لغة الشاعر وعجزه عن استيفاء الحق الأدنى من قواعد اللغة وضوابطها وأصولها في عمله الابداعي (الشعر) . ولم أجد - وقد أكون على وهم - ما يوحي الي أن الضرورة الشعرية عند سيبويه تعني ضرورة الوزن - كما استنتج ذلك بعض النحاة - ، فلا اعتبار عنده - وهو التلميذ النجيب لمبتدع علم العروض

---

(١٥٧) و (١٥٨) شرح الالفية م٢/ ٤٥٠ .
(١٥٩) أوضح المسالك ٣/ ٢٥١ .

وواضع أسسه ـ لفكرة الوزن في الباب الذي أفرده للضرورة وسماه (باب ما يحتمل الشعر) فضلا عن ذكر الكثير من الشواهد التي يقول فيها وقد جاء في الشعر ... وهذا مختص بالشعر ... وهذا في الاضطرار ... الخ .

وخلاصة القول مما تقدم ذكره وما تصورناه أنه لا ضير من مراجعة أخرى لأفكار سيبويه في مسألة الضرورة فقد كان رائدا في تفسير كثير من ظواهر العربية بعد أن نهل من علم شيخه الخليل وغيره .

وتبقى لي كلمة أقولها قبل أن أنهي البحث وهي أن ابن هشام ـ في ما تتبعناه كان أكثر وضوحا من ابن عقيل في مسألة الضرورة ، ولم يتردد في قولها .

أما ابن مالك فقد كان مجوزاً لقسم من الضرورات ليس في الشعر فقط بل في سعة الكلام أيضا .

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب / ابو حيان الاندلسي / تحقيق د. مصطفى أحمد النماس / الطبعة الأولى ١٩٨٩ / المؤسسة السعودية بمصر .

٣ ـ الاشباه والنظائر / السيوطي / الطبعة الثانية / حيدر آباد ١٣٥٩هـ .

٤ ـ الأمالي / الزجاجي / الطبعة الأولى / القاهرة ١٣٢٤هـ .

٥ ـ الانصاف في مسائل الخلاف / ابن الأنباري / تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد / الطبعة الرابعة / ١٣٨١هـ .

٦ ـ أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك / ابن هشام الأنصاري / تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد / الطبعة الخامسة ١٩٦٦ / دار احياء التراث / بيروت .

٧ ـ بغية الوعاة / السيوطي / تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم / القاهرة ١٣٨٤هـ .

٨ ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني / دار احياء الكتب العربية / مصر .

٩ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبدالقادر البغدادي / طبعة بولاق ١٢٩٩هـ .

١٠ـ الخصائص / ابن جني / تحقيق محمد علي النجار / الطبعة الثانية ١٣٧١هـ / دار الكتب المصرية .

١١ـ دراسات في كتاب سيبويه / د. خديجة الحديثي / نشر وكالة المطبوعات في الكويت / طبع القاهرة ١٩٨٠ .

١٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / المجلد الأول (الجزء الأول والثاني) / تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد / الطبعة ١٦ / دار الفكر / بيروت ١٩٧٤ .

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / المجلد الثاني / تحقيق محمد محي‌الدين / الطبعة ١٤ / مط. السعادة مصر ١٩٦٥ .

١٣- شفاء العليل في ايضاح التسهيل / أبو عبدالله محمد بن عيسى السلسيلي / دراسة وتحقيق د. الشريف عبدالله البركاتي / الطبعة الأولى / بيروت ١٩٨٦ .

١٤- شواهد الشعر في كتاب سيبويه / د. خالد عبدالكريم جمعة / الطبعة الأولى / القاهرة ١٩٨٠ .

١٥- ضرائر الشعر / ابن عصفور الأشبيلي / تحقيق السيد ابراهيم محمد / الطبعة الثانية / دار الأندلس / بيروت ١٩٨٢ .

١٦- الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر / السيد محمود شكري الآلوسي / شرح محمد بهجة الأثري / المطبعة السلفية / القاهرة ١٣٤١هـ .

١٧- الضرورة الشعرية - دراسة لغوية نقدية / د. عبدالوهاب العدواني رسالة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة قدمت الى جامعة بغداد كلية الآداب ١٩٨١ .

١٨- الضرورة الشعرية - دراسة أسلوبية - / السيد ابراهيم محمد / دار الأندلس / الطبعة الثانية / بيروت ١٩٨١ .

١٩- طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / تحقيق محمد شاكر / دار المعارف بمصر .

٢٠- الكتاب / سيبويه / تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون / الطبعة الثانية ١٩٨٨ / مكبة الخانجي / القاهرة .

٢١- لسان العرب المحيط / ابن منظور / اعداد يوسف خياط / دار لسان العرب / بيروت .

٢٢- ما يجوز للشاعر في الضرورة / أبو عبدالله محمد بن جعفر القزاز / تحقيق وتقديم المنجي الكعبي / الدار التونسية للنشر ١٩٧١ .

٢٣- مجالس ثعلب / أبو العباس ثعلب / تحقيق عبدالسلام هارون / دار المعارف / النشرة الأولى .

٢٤- المساعد على تسهيل الفوائد (شرح التسهيل) / ابن عقيل / تحقيق د. محمد كامل بركات / نشر مركز البحث العلمي واحياء التراث / مكة المكرمة ١٤٠٠هـ .

٢٥- مغني اللبيب / ابن هشام الانصاري / تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد / المكتبة التجارية / القاهرة .

٢٦- المقتضب / المبرد / تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة / القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٨ .

٢٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء / حازم القرطاجني / تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه / تونس ١٩٦٦ .

دراسة نفسية

لشخصية المتنبي من خلال شعره

د. عبد علي الحسماني   عبدالخالق نجم
جامعة بغداد

الموضوع واهميته :

ان القيمة الفنية أو الادبية للاديب ولما ينتج من ادب تتمثل في مقدار ابداعه . وان علم النفس ليعنى عناية خاصة بدراسة العمليات النفسية عند الاديب ، ما دامت النفس البشرية هي المفازه التي تتكون فيها مختلف مبدعات العلم والفن . وان الباحث النفساني يتوخى ان يفسر طريقة تكون العمل الفني وهو في الوقت ذاته يرمي الى ان يكشف عن العوامل التي تجعل من شخص معين اديبا أو شاعرا مبدعا . فالتحليل النفسي الذي تجده في آثار الادباء والشعراء وعلماء الاخلاق هو تحليل مفعم بالملاحظات الصحيحة والايضاحات الدقيقة . ولكن ينبغي ان يعززه في البرهان قوانين يقينية مستقاة من نوابض النفس بوصفها اصدق في (الافصاح عن ذاتها . وينبغي ان يعد ما يبدعه الشاعر أو الاديب نموذجا تتمثل به نوازعه المراد اثباتها . فكل اثر ادبي انما هو مصور جميل لحالة نفسية ، لا بل هو مصدر شخصي تتكشف فيه دواخل الشاعر أو الاديب . فالسايكولوجيا الادبية انما هي عملية ذاتية وموضوعية في آن واحد ذلك لان غاية التحليل الذي تستند اليه ليست استنباط المعاني البسيطة المجردة التي تتألف منها النفس ، وانما هي ابراز حالاتها المشخصة الكثيرة العدد . وهي في

الوقت نفسه جزئية شخصية ، بالاضافة الى كونها كلية عامة ، لان الاديب الذي يصور الظواهر النفسية فيما ينظم شعرا أو فيما يكتب من قصص وروايات لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون بمنأى عن تفاعلات الحياة ، ولا قيمة لتحليل المختص بعلم النفس لآثار الاديب من الوجهة الادبية الا اذا نسب ما ابدع من حالات نفسية عامة الى شخص بعينه . فقصائد المتنبي تتمثل للقارىء بثوب الحياة المتعدد الالوان وجمال شعره يتجلى في المحافظة على ألوان مشخصة في ابداعه .

فغاية الاديب انما هي تحقيق الجمال فضلا عن اظهار نوازع النفس وكل من المحلل النفساني لاثار الاديب والاديب وما ابدع انما يمثلان وحدة متكاملة . وان علم النفس لا يكتفي بالحدس الشخصي بل يعتمد على التحليل الحقيقي وصولا الى العناصر التي تجلت وحدات كلية فيما ابدعه الشاعر أو الاديب .

ولهذا فأن المختص بعلم النفس يهتم بمعالجة مهمات شتى ولكنه في هذا المضمار قد يوجه عنايته الى مهمتين منفصلتين متمايزتين ، فضلا عن انه معني بالتعرض لهما بطريقتين مختلفتين اختلافا جوهريا ، وهذا جانب اشار اليه « يونج »(١) . والمسألتان اللتان يتصدى لهما المختص بعلم النفس ، هما ما الذي يجعل الاديب اديبا ؟ وما الذي يجعل الشاعر شاعرا ؟ وان كان عملهما متكاملا ولكن المواهب بين الناس تتفاوت وهذه من مهمات علم النفس ايضا . ويؤكد « يونج » و « ادلر » على سبيل المثال : ان العوامل الشخصية تؤثر في الشاعر تأثيرا كبيرا من ناحية اختياره لمادة نفسه الشعرية . ومما يكاد يجمع عليه النفسانيون هو ان الحرمان والالم ينشطان الموهبة ، ادبية كانت أو شعرية أو فنية . اذ ان الشاعر مثلا يعوض نفسه بشاعريته مما حرمته الحياة . ونحن حين نقرأ عن حياة المتنبي ندرك مقدار المعاناة التي قاساها جراء الاعراض عن مكانته واهميته

المتألقة . ولهذا فهو قد عوض عن ذلك بنشاط اجتماعي وهذا النشاط هو من ابداعه الذي قدمه للحياة الاجتماعية ، فضلا عن كونه صادرا عن ذات تغنت بنفسها وبأمجادها وابداعها . وقد عبر المتنبي عن قابلياته الحسية والعقلية تعبيرا يستحوذ على الاهتمام ويستأثر بالانتباه . فهو تسامى في شعره أحيانا وعبر عن اعتداد بالنفس في مواقف واعرب عن تلاؤم مع الحياة في مواطن وتشكى من جور الحياة في مظان واوضح شيئاً من النرجسية في بعض مواقف الحياة ، حتى كان يبدو « متكبرا ، شجاعا مغامرا »(٣) . ولا ينكر ان قوة شعره وقوة شخصيته انما ينعكسان في القوة الابداعية التي طاوعته فوظفها بحيث راح يؤكد ذاته بألفاظ تمتاح من ينبوع عبقريته . وان علم النفس قد كشف لنا الى حد بعيد عن العلاقة بين شخصية الاديب أو الكاتب أو الشاعر وبين آثاره . وشعر المتنبي مرقاب بوسعنا ان ننظر من خلالها الى حقيقة واقع شخصية المتنبي .

وكان العقاد قد اشار الى ذلك حديث قال : (الشاعر الذي لا نعرفه بشعره لا يستحق ان يعرف لأن كلام الشاعر هو الصلة الكبرى التي بيننا وبينه وان لم يكن هذا الكلام معبرا عن نفسه . واصفا لها ممثلا لشعورها فليس هو بطائل . وان كان معبرا عن النفس مستجمعا لصفاتها واطوارها فهو حسبنا من معرفة بالشاعر وترجمة لحياته ، لا يزيد عليها التاريخ الا من قبيل التفصيل والتفسير ، أو من قبيل الحشو والفضول)(٤) . وكلام العقاد هذا كان قد مهد به الى رأي له عن المتنبي ويناقش فيه رأي الدكتور طه حسين في كتابه الموسوم (مع المتنبي)(٥) . ولكن مدخل كل من الاديبين الى المتنبي ومكانته الشعرية والادبية الرحيبة ، هو مدخل من وجهة نظر ادبية خالصة . والمتنبي بوصفه « مالىء الدنيا وشاغل الناس » قد تناوله كثيرون بالبحث والنقد تاريخيا وادبيا ولغويا .

ولكن بحثنا في هذه الصفحات سينصب على شخصية المتنبي من

زاوية نفسية تحليلية استقراءاً من شعره وهذا يسمح لنا بولوج براحات آفاقه الشعرية ومعطيات حالاته النفسية ومرامي متسامقات خيالاته الذهنية والفكرية اتكاءاً على منظومه الشعري المنسلك في عقود نضيده . اذ ان اهمية دراسة المتنبي من زاوية نفسية تنبجس من اهمية الشاعر نفسه .

ولهذا فان نتاجات السلوك الابداعي ان تكون موضوعا للدراسة وبعد الحكم على نتاج معين بانه (ابداعي) يمكن اطلاق هذه الصفة عليه وعلى السلوك الذي ابدعه . وهنا نكون بصدد التطبيق العملي للمبدع ولما ابدع ، وما من احد يشك في جدوى هذا الاتجاه النفسي . واننا لنقرأ في شعر المتنبي ما نسميه في علم النفس بـ (المرونة التلقائية) من حيث تسمية الاشياء واستجلاب الاهتمام والقدرة الابداعية واطلاق الشحنات الانفعالية واثراء اللغة والاصالة . والقدرة التلقائية هنا تتمثل في استعداد المتنبي على امتياح افكار متجددة مع محاولة التخلص من القصور الذاتي الذي يحول احيانا دون انطلاق الشاعر أو الاديب أو الفنان . وهنا نجد سمات شخصية المتنبي متمثلة مجسمة في شعره فالمتنبي ما امتلك ناصية الشهر لو لم يكن ظاهرة فريدة في بابه ، واستثناء متفردا في شخصيته وفكره ولبابه .

هدف البحث :

يرمي الباحثان في هذا البحث الى الكشف عن بعض جوانب شخصية المتنبي استقراءاً من شعره ، استهداءاً بمعطيات علم النفس تحليلا واستنباطاً .

حدود البحث :

اجريت هذه الدراسة ضمن اطار شعر المتنبي وقد استعان الباحثان

في هذا البحث بقراءة مستأنية لديوان المتنبي وما تناوله بعض الشراح بالدرس والتفسير امثال ابن جني ، وابرقوقي ، اليازجي (انظر الهوامش) ·

وان كان ثمة اختلاف بين الشراح المذكورين حول بعض المفردات في شعر المتنبي ، ولنتمثل على سبيل الحصر لا الاطلاق ، اذ نجد اليازجي يذكر « لم يجد فوق نفسه من مزيد » في حين ان البرقوقي يذكر « ··· لم يجد فوق نفسه من فريد » · وفي موضع آخر يذكر البرقوقي « وما الدهر الا من رواة قلائدي ·· » الا ان اليازجي يذكر « وما الدهر الا من رواة قصائدي ··· » · وان هذا الاختلاف لا يمس بحثنا بشيء ولا يدخل ضمن اختصاصه ·

عينة البحث :

اقتصرت عينة البحث على ديوان المتنبي واراء بعض الشراح والنقاد كما مر ذلك في حدود البحث ·

دراسة الموضوع نفسيا :

حفلت حياة المتنبي منذ صباه بعوامل أثرت في شخصيته تأثيرا اضحى واضحا فيما ابدع من شعر · ولتربيته الاولى عند المتتبع لشخصية المتنبي ككل جعلت شعره لا يتخذ صيغة متواترة واحدة ، ولعل التنوع في شعره اضفى عليه عنصر التشويق بعيدا عن الرتابة · وان قراءة شعر المتنبي لتدعو الى التدبر والروية ومراجعة القراءة · واننا لنجد جوانب نفسية كثيرة مبثوثة في شعره تحكي نوازع نفسه الطموحة المتطلعة الى مراقي الحياة · اذ نجد شعره مليئا بالحب والبغض وتعشق الحرية والمديح والرثاء والهجاء · ولكن النزعة الوجدانية تشغل حيزا فسيحا في منضومة المكتنز بالمعاني التي تنضح تبرما بالحياة أو توجعا من آلام مبرحة

يقاسيها تيقناً منه بان له مكانة مرموقة تغافل عنها اناس كان يتمنى في قرارة نفسه لو انهم أقروا بها ليستيقن بانه لم يبخسه احد قدره في نفسه. وانه ليألم أشد الألم ويمضه أقوى المضاضة اذ يمتحن حدود بيئته التي يسعى في جنباتها فلا يرى هناك من يقر له بحق هو به حقيق . ولهذا فأنه اكثر في شعره من التوكيد على نوازع نفسية بواعثها حصيلة تفاعل نفسي وتربوي واجتماعي كونته مؤثرات بيئية مختلفة . اذ انه قد تقلب في دنياه في بيئات طبيعية ومادية وبشرية تفاوتت مكوناتها فانعكست اثارها عليه على نحو شعوري أو لا شعوري . وحسبنا ان نتناول في هذا السياق بعض الجوانب النفسية التي طفح بها شعره منها مثلا :

الاعتداد بالنفس :

ان ادبيات علم(١٠) تشير الى ان التمييز بين

الاعتداد بالنفس	Sclf-Pride
وتأكيد الذات	Self-assertion
والغـــرور	Vanity
واحترام الذات	Self-respect
واجلال الذات	Self-reverence
والشـــرف	Honour
والصـــلف	egotoicism errogance

وسنتحدث عـن بعض هـذه الجوانب في مواطنهـا المناسبة حيثما اقتضت الضرورة ذلك ، ولكن ما يعنينا من المقال في هذا المجال هو الحديث عن الاعتداد بالنفس كما هو موشى في منظوم المتنبي . والاعتداد بالنفس يطلق على شكل من اشكال ترجيح الذات لدى المتكلم وتجعل المتحدث عن نفسه معتداً بها اعتداداً يتصل بطراز الشخصية . ذلك ان هناك طرزاً

متفاوتة ومختلفة للشخصية ، ولكن يجدر التأكيد هنا على طرازين اساسين هما طراز المستقبل وطراز المنشىء • والطراز المستقبل هو الطراز الذي يتأثر دائما وقد لا يكون مبدعا • اما الطراز المنشىء فأنه يعتد بنفسه وقد يتقبل التأثر ولكنه يحاول ان يضفي الاعتداد على البيئة • وقد وجد نتيجة للبحث النفسي المستقصي ان الاعتداد بالنفس هو ادعى الى الظهور وبشكل اوضح لدى الطراز المنشىء • وحينما نقرأ شعر المتنبي نجد ان الاعتداد بالنفس واضح المعالم ومحدد الملامح كقوله مثلا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي

انا ترب الندى ورب القوافي
وسمام العدى وغيظ الحسود

انا في أمة تداركها اللـ
ـه غريب كصالح في ثمود

يستبين المرء من الأبيات الثلاثة الانفة قوة في الشخصية ترتكز الى اعتداد قد تأتى من نوازل الزمان التي احاقت بشاعرنا فوجد نفسه ازاء موقف تملي عليه ان ينبري للتذكير بانه عصامي في التكوين ، وانه حين يعقد بنفسه انما يبتغي اضفاء هذا الاعتداد على ذويه • وهذا يكسبه استشعارا مضاعفا من حيث القوة والتوجه والعطاء وتخطي عوائق الحياة ، بخلاف من يفاخر بجدود ولا يقتحم صعائب دنياه • اذ قد يفخر المرء بماضيه من جهة الجدود والاباء ولكنه يكون قعدداً وفي هذه الحالة لا يأبه به أحد • بيد ان المتنبي اراد في شعره ان يظهر على من كان يماريه • ولنقرأ قوله الاتي :

ولو برز الزمان الي شخصا

لخضب شعر مفرقه حسامي

وما بلغت مشيتئها الليالي

ولا سارت وفي يدها زمامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني

فويل في التيقظ والمنام

ان المتتبع لشعر المتنبي ينبغي ان لا يكتفي بظواهر اللفظ عنده ، بل عليه ان يستقرأ ما تمور بـه نفسه منعكسة في منظوم نضيد ينضح بنفس تواقة الى المجد والى اغتراف اعتراف الناس به انى حل وحيثما ارتحل . فأننا نستقرأ هذا من قوله في الأبيات التالية :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد

لكان أباك الضخم كونك لي أما

وما الجمع بين الماء والنار في يدي

بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

كذا أنا يا دنيا اذا شئت فاذهبي

ويا نفس زيدي في كرائهها قدما

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني

ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وكذلك قوله :

يستعظمون أبياتا نأمت بها

لا تحسدن على أن ينام الأسدا

لو أن ثم قلوبا يعقلون بها

أنساهم الذعر مما تحتها الحسدا

وكذلك قوله :

فلا أحارب مدفوعا الى جـدر
ولا اصالح مغرورا على دخن

وكذلك قوله :

ان ترمني نكبات الدهر عن كثب
ترم امرأً غير رعديد ولا نكس

فاعتداد المتنبي بنفسه ينطوي على الصورة الكليـة ـ حسب رأي مدرسة « الهيئة » الجشطالت • في علم النفس ـ لشخصيته بتكوينهـا الكلي فهي تحمل في ثناياها تفاصيل شتى يمكن للباحث النفساني ان ينفذ من خلالها الى عالم المتنبي الداخلي والخارجي • وان مدرسة علم نفس الهيئة ترفدها مدرسة التحليل النفسي بصدد الصورة التي ينظر الانسان من خلالها الى نفسه • اذ قد يقيم الفرد نفسه اكثر مما ينبغي وفي هـذه الحالة قد تبعده هذه النظرة عن عالم الواقع وربما ينظر الى ذاته نظرة دونية فيقصر به الشوط عن ان يكون نافعا في المجتمع وفي الحالين نطرف يحمل صاحبه على الشطط في السلوك والتصرف •

ولعـل أخص الخصائص من وجهة نظـر علم النفس هو ان يكون الانسان متوازنا مع ذاته ومع بيئته « أن (الرأي) ينسجم مع الصورة التي يكونها الفرد عن العالم ويحدد تفكيره وعاطفته وارادته ونشاطه »(١١) ولنا مثل في ذلك من شعر المتنبي نفسه كما في الابيات التالية :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا
بيتـاً ولكنني الهزبر الباسل
ما نال أهل الجاهليـة كلهم
شعري ولا سمعت بسحري بابل

واذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

وكذلك قوله :

أذاقني زمني بلوى شرقت بها
لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

وان عمرت جعلت الحرب والدة
والسمهري أخاً والمشرفي أبا

وكذلك قوله :

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

وجاهل مده في جهله ضحكي
حتى أتته يد فراسة وفم

وكذلك قوله :

وأمضي كما يمضي السنان لطيتي
واطوي كما تطوى المجلحة العقد

وقوله :

وفؤادي من الملوك وان كا
ن لساني يرى من الشعراء

وقوله :

وكم من جبال جبت تشهد أنني ال
جبال وبحر شاهد أنني البحر

الاعتداد بالنفس في شعر المتنبي صورة حسية ولفظية تعكس اركانا مهمة من اركان شخصية المتنبي اذ انه يتبدى لنفسه من خلال رغبته في ان يراه الاخرون كما يشاء هو اولا ، ومن حيث تصورنا لحكم الاخرين عليه استنباطا من شعره هو ثانيا ، وان اعتداده بالنفس لاشك انه حاجة نفسية تبعث في حنايا ذاته شعورا بالزهو ثالثاً · وان الحاجة الى احساس الانسان بأن يكون شيئا مذكورا في حياته يتباين فيه الافراد اذ يمتد بين الحالات المقبولة ويتواصل حتى يبلغ درجة الصلف ، ولكن المتنبي كان بعيدا عن صفة الصلف هذه اذ لو كان في شخصيته شيء منها لما احتل في مجالسته الامراء والقادة في زمانهم · وتاريخ الادب يتضمن شيئا كثيرا من هذا · واعتداد المتنبي بنفسه كان يدفعه شعوريا أو لا شعوريا الى ان يرى نفسه منعكسة على (مرآة المجتمع) كما يذكر علم النفس الاجتماعي واننا لنرى نمط (الشخصية المنوالية) متمثلة في اعتداد المتنبي بذاته ·

ان اعتداد المتنبي بنفسه يعزى الى احساس امريء عرف قدر نفسه فهو بقدر اعتزازه بنسبه لم يشأ ان يرتكن تواكلا على محتد مؤثل بل أنه أراد لنفسه ان يثبت كينونة وجودة بعقله وجده وقوة بأسه في مقارعة خطوب الحياة وهذا شأن من يصنع تاريخ مجده بعصاميته · وان من كان هذا منهجه في الحياة فأنه يكون بمنأى عن الصلف والغرور الخادعين واذا كان هناك في شعره ما ينبيء بانه شيء من غرور فانه يرقى الى مرقاة الاعتزاز بالذات ولا ينسلك في منظومة الغرور القائم على التبجح المتهالك · فشعره في هذه الحالة ينطوي على الم مكظوم سلكه في عقد منظوم يتوجع فيه على حق من حقوقه مهضوم · ولعل الباحث يلتمس له المعاذير لما لحقه من غمط اصابه في صميم الكرامة · ومثل المتنبي قمين بأن ينتفض شعرا هو كالقسي والنبال ·

النرجسية في شعر المتنبي :

تتحدثات ادبيات علم النفس عن النرجسية على وفاق الشمول وتبيان

ما يكتنف مصطلح (النرجسية narcissin) ، بحيث يتسنى للباحث المتأني ان يحيط ـ بقدر المستطاع ـ احاطة تنطوي على الابتعاد عن التغرض وعن النزعة الذاتية فيما ينتوي بحثه . فالنرجسية تعرف احيانا بانها : حب الذات ، أو المغالات في حب الذات . وتتبدى النرجسية في مرحلة مبكرة من مراحل النمو النفسي وتتسم بالاهتمام بالنفس وتناقص الاهتمام بمن يحيطون بالفرد(١٢) الذي تأخذ الفرد بناصيته . ولعلها تستحوذ احيانا على حياة فرد ما فتكتسب صفة (التثبيت Fixation) ، وعند ذاك يأخذ حب الذات بحياة الفرد من جميع اقطارها فيغدو لا يرى الا ما يتصل بحياته حبا منه لفرديته . بيد أن من النرجسية ما يمكن ان يطلق عليه النرجسية الصحية ، وتقترن هذه باحترام الذات والترفع عما يزري بالنفس وهذا جانب نراه ونجده واضحا في شعر المتنبي كقوله :

قضاعة تعلم أني الفتى الـ
ـذي آدخرت لصروف الزمان

على أن كـل كريم يمـان

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء
انا ابن الضراب انا ابن الطعان

انا ابن الفيـافي انا ابن القـوافي
انا ابن السروج انا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العمـاد
طويل القنـاة طويل السنان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ
حديد الحسام حديد الجنان

ومجـدي يدل بني خنـدف

يسابق سيفي منـــايا العباد

اليهـــم كأنهما في رهـــان

يرى حـــده غامضات القلوب

اذا كنت في هبوة لا أراني

سأجعله حكمـــا في النفوس

ولو ناب عنه لساني كفاني

وقال أيضا :

أي محـــــل أرتقـــي

أي عظيـــم أتقـــي

وكـــل ما قـــد خلـــق

الله ومـــا لـــم يخلـــق

محتقـــــر في همتـــي

كشـــعرة فـــي مفـــرقي

فنرجسية المتنبي ذاتية النزعة وليست في عداد النرجسية المرضية التي يشير اليها التحليل النفسي حينما يحاول ان يركز على الاستثناءات دون الالتفات الى المواقف العامة في دنيا الاناسي وهم يخطرون في رحاب المجتمع . ويجدر في هذا السياق ان نميز بين ما هناك من نرجسية اولية ونرجسية ثانوية تطبيقا لسياقات التحليل النفسي ، ففي النرجسية الاولية مثلا تكون الطاقة النفسية المفعمة بشحنات التكوين المزاجي المتضمن في التركيب الفسلجي للمرء موجهة نحو الذات من حيث التركيز ، اذ يثبت اللبيبيد ونحو ذاتية المرء فتنأى به مع كر الأيام وتواصل النمو البايولوجي عن التفاعل الاجتماعي كما ينبغي . بينما في النرجسية الثانوية يكون حب الذات مكتسبا شيئا من التوجيه الارادي والتربوي والاجتماعي فينزع المرء نزوعا اجتماعيا وذلك عن طريق الاستدماج . وتعزيزا لهذا نتمثل بقول

شاعرنا نفسه :

وكيف لا يحسد امروء علم
له على كل هامة قدم

وقوله :

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه
فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

وقوله :

اني أنا الذهب المعروف مخبره
يزيد في السبك للدينار دينارا

وهذا مما يسمح لنا بان نتكلم عن المتنبي بأن نرجسيته من الضرب الموضوعي ، اذ ان الطاقة الحيوية (الليبيدو) تنفصل عن مواضيعها في الواقع ، وبعبارة أخرى ان الفرد لا يتمكن من التوجه نفسيا الى موضوع خارجي حيث ان الليبيدو يبقى معلقا بين الموضوع الخارجي وذات الفرد الا انه في نهاية المطاف يرتد الى مصدره الذي يرتبط به وهو الذات (الانا) ، وهذا (الليبيدو الأنوي) ما يطلق عليه في التحليل النفسي (الليبيدو النرجسي) تمييزا له عن الليبيدو الموضوعي(١٣) ٠

وتجدر الاشارة هنا الى حب الذات الثانوي ، فهذا الاخير يمكن ان يكون ستارا من الواقع يستطيع الفرد بواسطته رفض الـ (هم) او (الغير) ٠ كما يمكن ان يكون حب الذات الثانوي محصلة انجازات حقيقية للفرد في حياته ، ويكون مصحوبا باحساس لا شعوري باحترام الذات ، ولا ينسب الى مثل هذه الحالة شيء من الشذوذ أو السلبية ٠ ولكن يمكننا ان نلمس السلبية اذا كان الفرد موغلا في النرجسية ، فهو

يفقد شحنات المحبة عنده تكون من النوع الواهي ، أو انه يحب شخصا ولكن تحت شروط طفولية(١٣) . ومن هنا يمكن القول بان نرجسية المتنبي من النوع الطبيعي بدليل انه احب اباه واحب امه وجدته واصله واصدقاءه .. ولغته والطبيعة وجمال الحياة ... الخ . والأبيات التالية تعكس نرجسية المتنبي :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

وكذلك قوله :

ان أكن معجباً فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

فالوقوف عند المتنبي يعني العجز ، ولهذا فأنه يتمرد على الحجز لكي ينقذ ذاته من الركود الميت ترفعا بها عما قد يشينها ولكي يصلها بالمستحيل . اذ انه يجعل من المصاولة لخطوب الحياة مهدا للمستقبل المستشرف .

فنرجسية المتنبي ليست مما ينال من مكانته الشعرية ولا يمكن أن تضاءل من براعته الفنية . اذ ان ابداعية المتنبي صرح خالد تتكسر عليه عواتي التخرصات التي قد يحاول احيانا بعض حاسديه ان يتدرع بها للافتئات على صولاته الشعرية المعززة لسمو نفسه واثر شعره في الادب العربي . وان نرجسيته لهي طبيعة فنية للموهبة التي تحكي ابداعا قصديا متماسكا بعيدا عن الابداع العرضي الذي تتهافت مكوناته امام

النقد ، فالمتنبي مثلا قد تجلت عبقريته في التنظيم النفسي لما يتوخى قوله في المواطن المناسبة ٠

الارادة والتصميم في شعر المتنبي :

الفعل الارادي will - act من وجهة نظر نفسية يعد تأكيدا لاشباع دافع تأكيد الذات ، وينطوي على مغزى السلوك الخارجي الذي ينم عما يعتمل داخل الذات ٠ والارادة تنشأ مع الفرد عادة متفاعلة مع طموحه ومع عزمه ومع ما ينزع من قرار وكل هذا ينسلك في سياق الاسباب التي تنشأ في بيئة الفرد منذ نشأته فيغدو متطلعا الى افاق في الحياة عراض ٠ وغالبا ما تكون الدوافع التي تهمز الفرد الى ان ينزع نزعه يجسم فيها اركان اعتبار الذات كما يكون قد استقاها من منبع ارومته ٠ والمتنبي واحد من هؤلاء الذين تنبأ اثارهم بان بهم توقانا مشبوبا الى ان يستلفت الاهتمام الى رفعته الاجتماعية التي احرزها بفضل جهاده واجتهاده ٠ وان هذا هو شأن المتنبي ٠ فلنقرأ مثلا قوله :

ولكن قلبا بين جنبي ماله
مدى ينتهي بي في مراد أحده

يرى جسمه شفوفا تربه
فيختار ان يكسى درعا تهده

وأني اذا باشرت أمرا أريده
تدانت أقاصيه وهان أشده

فالارادة هنا مشبعة بالحزم والعزم والتصدي لخطوب الزمان الذي يتطلب فعالية انسانية ذات اواليات ـ ميكانزمات ـ متعددة الجوانب يشد بعضها ازر بعض وكلها مفعمة بالارادة ، والارادة في هذا المضمار

ومن احد تعريفاتها هي : عمل موجه نحو غاية حافلة بالتسامي والنزوع الى السمو . وارادة المتنبي في هذا المجال هي ارادة القوة في الشخصية وفي المقصد وهي ارادة الحياة ولا تخرج عن سمة الاخلاق . وفي علم النفس الذي يهتم بموضوع الارادة والاخلاق نجد ما يشير الى ان فعل الانسان الذي يسعى فيه الى خير لذاته ولحياته ولمكانتــه الاجتماعية ولمجتمعه ، ينطوي على كل ما يسمو بالانسان وكل ما يشيع في ثنايا نفسه شعورا فتتجلى ارادة القوة في نفسه ، فيرى نفسه متمثلة سلوكا ملحوظا أو ملفوظا واليك هنا قول المتنبي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيــدا وما قولي كذا ومعي العبر

وأشجع مني كــل يوم سلامتي
وما ثبتت الا وفي نفسها أمــر

تمرست بالآفات حتى تركتهــا
تقول أمات الموت ام ذعر الذعر

وأقدمت اقدام الاتي كأن لي
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

وانى امتزجت الارادة بالاخلاق ، وتفاعلت الاخلاق مع الارادة في مسيرة الانسان الحياتية فانها لا تزري بصاحبها حين تهمس في جنباته نياته النزاعة الى اثبات وجوده وهو له حق منحته اياه الحياة . والحياة السامية تحدو بصاحبها الى ان يلج منافذ دنياه حتى من اضيق ابوابها كي يجني الوجود اسمى ما فيه عندما ينشد حقا له مشروعا . ولنا ان نتمثل هنا بقول المتنبي عن نفسه :

ان نيوب الزمـان تعـرفني
أنا الذي طال عجمها عودي
وفي ما قارع الخطـوب وما
آنسني بالمصـائب السـود

وكذلك قوله :

أبداً أقطـع البـلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود

وكذلك قوله :

كأني دحرت الارض من خبرتي بها
كأن بنى الاسكندر السد من عزمي

وكذلك قوله :

قد هون الصبر عندي كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشـن

فالتصميم في الابيات الخمسة آنفة الذكر بائن عند المتنبي وغايته الانسانية هي خلق انسانيته وتحديد معالمها امام الاخرين وكأنه يريد ان يقول لهم أن من أولى غايات الوجود الانساني ان يكون ذا ارادة متبصرة وتصميم يرتقي به الى ما يسمو بشخصيته تأكيدا لارادته وتحقيقا لذاته . ولنا هنا ان نتمثل بقوله :

يحاذرني حتفي كأني حتفه
وتنكزني الأفعى فيقتلها سمي
طوال الردينيات يقصفها دمي
وبيض السريجيات يقطعها لحمي

وقــوله :

ومرهف سرت بين الجحفلين به
حتى ضربت وموج المـوت يلتطم

الخيل والليل والبداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقــوله :

تحقر عندي همتي كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاول

وما زلت طـودا لا تزول مناكبي
الى أن بدت للضيم في زلازل

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا
قلاقل عيس كلهــن قــلاقل

وقــوله :

الي لعمـري قصـد كل عجيبـة
كأني عجيب في عيـوب العجائب

فالمتنبي في الابيات الانفة يجرد من ذاته ذاتا اخـرى تلاحظ الذات الداخلية عنده فتكون (الانا) هنا هي المضمار الذي ينبغي ان ينصب عليه اهتمام الباحث في شعر المتنبي بصورة عامة ومن ينقب في ثناياه عن ارادته الصلبة بصورة خاصة . وان من يقرأ شعر المتنبي بحثا عن العزم والتصميم وقوة الارادة ليتراءى له (التداعي الطليق) في شعره ينثال انثيالا فيسطر بنات أفكاره في عقود يحار من يتملاها ايها يختار وايها يستثني . وان المختص بعلم النفس حين يقرأ شعر المتنبي يقف على حقائق الوشائج الوطيدة بين (الهذا) أو (الهو) أو (الهي) المتأصلة في رواسخ ذاته من

جهة وبين (اناه العليا) من جهة أخرى ، وفي ما بين هذين النسقين من جبلته بحدودها المرسومة تتجلى المعالم الادراكية الخاصة بهذا الشاعر العلم ·

اتهام المتنبي بالغرور :

الغرور في علم النفس ، رضا عن الذات مبالغ فيه ، في الوقت الذي لا يملك الفرد من المقومات ما يجعله على ان يرى ذاته أكبر مما هي عليه في واقعها الحقيقي · ولعل الفرد يكون مدفوعا بدوافع لا شعورية الى ان يعوض عن قصور يحسه في دواخل نفسه · وانه في الغالب ليمثل احساسا بالذات يتجاوز فيه صاحبه المألوف فيبلغ مبلغ التطرف وهذا يتكون في واقعه من عناصر ترسبت في أعماق النفس فكونت متراكمات لا شعورية تتبدى في السلوك على صورة تصرف يجانق المألوف ويجانب جادة القيم والصواب بصورة مغالى فيها ، وكثيرا ما يكون هذا تعبيرا عن مشاعر تنم عن شعور بالقصور · وتدل على ضعف في ثنايا شخصية الشخص الذي تنساب هذه الجوانب الى ثنايا تكوينه الشخصي ، فتتسربل شخصية الشخص بخصال وسمات لا يسيغها الذوق · ان مكونات الغرور تنشيء عن تداخل يشمل الجوانب الفطرية عند الفرد والتنشئة التربوية والاجتماعية · ففي الغرور اذاً يكمن تحبيذ الذات وترجيح كفتها · فان حصل ترجيح يبلغ حد المغالاة التي تنحدر الى مهاوي الصلف فيكاد يختلط الغرور بالصلف ما ينفر الناس من الفرد الذي تتمثل فيه مظاهر الغرور ، الذي تتلاشى فيه الفواصل بينه وبين الصلف ·

بيد ان ما يرمي به المتنبي احيانا من غرور يستشفه القارئون في بعض قصائده لا يمكن بحال من الاحوال ان يحسب من نوع الغرور الذي تتمثل فيه خصله السماجة · وان غرور المتنبي هو غرور شخص اخنى عليه الدهر بكلكله فناءت نفسه باثقال الهموم · اذ وجد المتنبي نفسه في

اوساط ارتحل فيها وضرب فيها بالتطواف واحس ان الزمن لم ينصفه وهو ـ كما يعرف الجميع ـ ذو النفس التواقة الى المجد ، فأراد ان يتحدى الزمان فجاء شعره يجاهر فيه التمرد على قسوة الحياة . فقوله مثلا :

وما أنا الا سمهري حملته
فزين معروضا وراع مسددا
وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغني مغردا
أجزني اذا أنشدته شعرا فانما
بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فانني
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

ان ما ينبىء من غير مواربة عن الطماح وعن رغبة جامحة في الاستئثار بانتباه كل من في عصر المتنبي ولم يقر لـه بفضل شاعريته وابداعيته ، فغروره اذن هو غرور بوجه ما يصاول به المصاولون وهو تحد لما ينكره المنكرون ويجاول به ما يرجف به المرجفون ويرد به على الكاشحين . فهو انسان قدر حق نفسه وهو يعلم في قرارة ذاته مقدار مكانته لدى الجمهرة من الناس ولكن ما كان يمرز ويرمض جوانح نفسه ، اذ لم يجد من يردد كثيرا صوت التمداح بحقه واننا لنستقرىء مبلغ مرارته في قوله :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل
وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

وأتعب مــن ناداك من لا تجيبــه
وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وما التيه طبي فيهــم غــير أنني
بغيض الي الجاهل المتعــاقل

ثمة بين الباحثين والمفكرين ــ ومنهم العقــاد مثلا ــ من يجعــل بين الغرور والامل وشيجة ويجعلها صنوين بل توأمين ، فالعقاد مثلا يقول : « لولا الغرور لما كان امل ، ولولا الامل ما كان غرور وقد يمر الانسان بما يأمل الانسان لانه مغرور بنفسه ولا يزال ينطلق مع الامل الى المقام الذي يرضيه(١٥) » . ورأي العقاد هنا ينطبق تمام الانطباق على مواقف المتنبي في الحياة ولاشك في ان الاختلاف بين كل من الغرور والامل هو اختلاف بين الطيشة والحصافة ، وهو الفرق بين الجهل والعلم . ولا يتمارى اثنان في ان الغرور طيش وجهل وان المغرور يتحاشاه الناس ويتحاماه الذوق ، في حين ان الامل كله رصانة واحتشام واخلاص ونحن نعرف من خــلال ما يذكره تاريخ الادب العربي عــن المتنبي ومن قراءة شعره ان السمات الرصينة تكون سلوكيته وتوشي بافواف المحاق شخصيته ، فهو اذن ما ابعده عن الغرور . ولنا من قوله ما يعزز هذا الرأي اذ يقول :

كــم تطلبون لنا عيبــا فيعجزكم
ويكره الله ما تأتون والكرم

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي
أنا الثريا وذان الشيب والهرم

وكذلك في قوله :

أرى المتشاعرين غــروا بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مراً به الماء الزلالا

وقالوا هل يبلغك الثريا
فقلت نعم اذا شئت استغالا

وفي قوله أيضاً :

ضاق ذرعا بأن أضيق به ذر
عا زماني واستكرمتني الكرام

واقفا تحت أخمصي قدر نفسي
واقفا تحت أخمصي الأنام

يستبين القاريء أن صاحب الغرور كثيرا ما يحاول ان يختصر الطريق على حساب كرامته وامتهان الوسيلة التي بها يتوصل الى هدف يراه موائما في عين نفسه ولكنه هدف غير محمود في اعين الناس ، والمتنبي بمفازه عن ان يرمى بالغرور فهو صاحب امل اذ انه لا يغالط نفسه في مقياس المعايير الانسانية ولاسيما حينما نعرف له مكانته في مجتمعه وبين قومه . وعلم النفس يؤكد حقيقة هي ان المغرور لا يتجاوز فيما يسعى اليه تخوم نفسه ، اما صاحب الامل فمراميه عراضا وتنطوي في ثناياه على حب الخير وحب الناس وحب الوطن وحب المجتمع وحب الحياة من غير ما شراهة أو تبدل . والمتنبي كان يعد نفسه صاحب رسالة شعرية اراد ان يرتقي بها عن طريق ارتقائه بذاته الى ذرى المجد الشعري والادبي(١٦) . وكان به طموح يحفزه بهاميز التواصل الارتقائي لكي يجعل الابداع الشعري في المكانة التي ينبغي فيها منبر القريض اذ انه شاء ان ينتزع الاعجاب انتزاعا بجديته وابداعيته ، واذا كان لم يتحقق له كله في زمانه فحسبه ان يكون مطمحه قد تمكن من نفوس عارفي فضله غب اوانه .

فماذا يتوقع المرء من شاعر في قمة الشاعرية والابداع كالمتنبي ، وهو الشخص الذي كان يعتقد في قرارة نفسه بانه مغموط الحق وانه منكور عليه الاعتراف كشاعر تسامى في شعره الى أعلى المراتب ؟ فهو في هذه الحالة لم يبق امامه الا ان يرسل بشعر ذخيرته الحية فيه الفاظ كالشواظ يرسلها للدلالة على مكانته من جهة وهي لنبصير من كانوا يريدون ان يلتونه حقه ٠

مناجاة النفس وندب الذات :

ان من يقرأ شعر المتنبي يكتشف فيه مادة غزيرة ما احرى المختصين بعلم النفس بان يعكفوا على دراستها ، لان المتنبي شاعر قد اغنى العربية بفنه الشعري المتعدد الجوانب ٠ وان طبيعة العمل الشعري من حيث مكوناته وعناصر التأثير فيه هو ابداع وفن وهو مرآة اجتماعية في المستطاع الافادة منها في المعرفة النفسية وصولا الى جلائل الابداعات الفنية في شعر المتنبي ٠

وحين نتحدث عن التشكيل في الشعر يجدر ان لا يغرب عن الذهن التمييز بين فن الكلمة وموسيقاها وعن تصويرها ومغزاها ٠ وان من يعنى بدراسة اللغة لا يغفل بحال من الاحوال حقيقته تكاد تكون بدائة الالمام الشامل تلك هي ان اللغة حقا اداة زمانية وهي في الوقت ذاته تصور المعطيات المكانية ، فدلالات الالفاظ في اللغة العربية ، بوصفها لغة مرنة يمكن ان تحمل في طياتها وفي تضاعيفها الدلالات الظاهرة والمستترة والشاعر حين ينظم الكلم انما يستبطن ذاته ويناجي وينادي بيئته وهو في هذا وذاك يناجي نفسه ، ولعله احيانا يندب ذاته ٠ وان ندب الذات هو ان ينحي المرء على نفسه (باللائمة) ٠ اذ تتوزع ذاته بين مناجاتها وكأنه يجرد من نفسه نفسا اخرى يحادثها بشأن افاعيل الزمان وصروف الحياة وبخاصة حينما تحول عوائق الدنيا فتصبح من عناصر الاحباط له اذ تحول

دون ما ينزع اليه من طموح . ولكي يخفف آصار الاعباء التي ترزىء بها نفسه يناجي ذاته اذا ما حسب ان الصعائب ليست من قصور في جهده . ومناجاة المتنبي لنفسه تنتظم في هذا المضمار الرحيب فهو مثلا حين يقول :

أنا السابق الهادي الى ما أقوله
اذ القـول قبـل القائلين مقـول
أعادي على ما يوجب الحب للفتى
وأهـدأ والأفكـار في تجـول

وكذلك قوله :

فالموت اعذر لي والصبر اجمل بي
والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

وبندب الذات تستكمل مناجاة النفس استحضار جيشان الروح والانفعالات الناجمة عن الموقف المثبط . وان المرء ليندب ذاته حين يحس في اعماقه احيانا بأنه لم يأل جهدا في جده واجتهاده في مسعاه بيد ان حظه من الفوز بمبتغاه قد قصر عن ادراك المبتغى . فالمتنبي يعكس هذا على شكل واضح في قوله :

ألح علي السقم حتى ألفته
ومل طبيبي جانبي والعـوائد
أهـم بشيء والليالي كأنهـا
تطاردني عـن كونـه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله :

كأن الجو قاسى ما أقاسي
فصار سواده فيه شحوبا
كأن دجاه يجذبها سهادي
فليس تغيب الا أن يغيبا
أقلب فيه أجفاني كأني
أعد به على الدهر الذنوبا
عرفت نوائب الحدثان حتى
لو انتسبت لكنت لها نقيبا

فنظرته الى الحياة في الأبيات الآنفة تعكس مقدار اظلام ثنايا نفسه فعكسها شعرا يندب فيها ذاته ويتحسر على حياة لم ينل منها مرماه وهو الشاعر ذو النفس الأبية ، وكان يحسب ان مكانته الشعرية ستحله مكانا رفيعا . وندب الذات في هذا المجال لا تنفعل بها نفس الشاعر الا عندما تتأرجح بين الصورة المحسوسة احساسا ادراكيا وبين التجريد الممتزج بالخيال المحلق . والمتنبي يكاد يكون نسيج وحده في هذا الشأن اذ هو يتحسر على نفسه التي اضنتها روازح دنياه . فأستبطن نفسه وكانه يرى صورتها مجسمة بانسان هو المتنبي فوصفها :

روح تردد في مثل الخلال اذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولا أنني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال :

وشكيتي فقد السقام لأنه
قد كان لما كان لي أعضاء

سيم الليالي أن تشكك ناقتي

صدري بها أفضى أم البيداء ؟

والمتنبي في قصيده يتوخى ـ كما اسلفنا ـ التشكيل الزماني والمكاني في شعره • اذ انه يجعل للمفردات الواقعة في المكان تكاد تكون ملموسة للحواس بحيث انه يشرك مع نفسه كل ما يحيط به ، حتى جواده الذي يقطع على ظهره الفيافي متجولا في المفاوز الشواسع بحثا عما عساه ان يرأب صدع نفسه التي تكاد تتمزق حسرة ولوعة ، والنفس المتأججة الملتهبة حين تضطرم فيهـا اللوعة فانهـا تبدع • فيكاد القارىء يراه وكانه شرر يتطاير ولا سيما اذا كان صاحب الكلم مقتدرا على الابانة عما يعتلج في ثنايا نفسه • والمتنبي اقدر على الافصاح عما تمور به نفسه ، ولنقرأ قوله :

من نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

بقلبي وان لم أرو منها ملالة

وبي عن غوانيها وان وصلت صد

فالطابع النفسي في شعر المتنبي يستبينه القارىء الذي يروم اعطاء صورة ايقاعية للحالة الشعورية التي تتبجس معان تكاد تكون كلها سمة طاغية على الفن الشعري عند المتنبي • وهو صورة مؤثرة وصادقة لتكوينه الوجداني العام وقد مكنته لغته العربية ـ وهو من ابنائها ـ بحكم طبيعتها ان يؤثر في قارئيه ويكاد يستدرجها ليعايشوه في نفس العصر وهذه قدرة قلما تأتت لشاعر غيره بحيث يؤثر فيمن يقرأ شعره يحس باحاسيسه • وشعر المتنبي في هذه الحالة هو في صورة ايقاعية ترسم ملامح شخصيته وتحدد معالم سجاياه اذ هو تمكن من ان يعكس دواخله النفسية مصوغة بألفاظ هي غاية في الدقة والتحديد •

خاتمة تحليلية

يستدل على الاديب من اثاره · والتحليل النفسي يستهدى به في هذا المجال بوصفه وسيلة تتحرى ابعاد النفس من حيث هي نفس واقعية ومن حيث هي نفس مثالية ومن حيث كونها نفسا اجتماعية ، والنفس المبدعة ـ ونفسية المتنبي هنا مضرب يمكن الركون اليه بكل اطمئنان ـ تنهض دليلا شاخصا على صاحبها · وان التحليل النفسي يلقي اضواء على العمل الذي يحكي شخصية الفرد الذي حقق ذلك العمل الايجابي البناء · وهنا يمكن ان نثير سؤالا بين شخصية المتنبي ومضمون انتاجه الشعري ، وفي هذا المجال يمكن ان نقول بان اراء التحليل النفسي تؤكد على العلاقة بين القيم المتضمنة في شعر المتنبي وبين شواخص ذاته النزاعة الى الطموح · وعندما ندرس جانب الابداع عند المتنبي نجد انه قد تعددت منادحه وكل نهج من هذه المنادح ارتبط بعبقرية المتنبي من ناحية ، وبنظرته التبصرية الاجتماعية فيما كان ينزع اليه · فالحرمان والموهبة عنصران اساسيان في ذات المتنبي لاريب · وقد نشطت الموهبة فابدع شعرا ، ولكن شعره يمكن ان يعد مادة تستقطب المختصين من الدراسات النفسية مثلما هي عنصر استقطاب للمختصين في الادب العربي · اذ ان المتنبي كان يسعى من خلال خياله الخصب الى ارواء ضمأه النفسي المشبع برغباته وطموحاته وفي هذه الحالات نجد ان المتنبي قد تسامى في شعره في مواطن وتألم في مواطن وندب ذاته في مواقف · وان ما جاء به من خلق في شعره كأنه اراد ان يعوض به عن (عوز الحياة) وكأنه كان يرمي الى اطلاق شحنات نفسية حبيسة تترامى متأججة بحيث نجد الصياغة من القوة المتناهية مما يعكس قوة شخصية المتنبي ، ذلك لان التحليل النفسي يقول ان قوة الاثر الادبي والفني والفكري انما يعكس شخصية صاحبه · وقد اراد المتنبي بشعره ان يخفف على ذاته شقاء الحياة · وقد يكون هناك

من الادباء أو الشعراء من يجعل شعره وقاءاً يتوارى خلفه فهو يستمد مادته من الحياة ولكنه يحجب بشعره رؤيته عن واقع الحياة ٠

اما المتنبي فأنه جعل من شعره اطلالة ينفذ من خلالها الى معترك الحياة ، ولهذا فهو قد مازج بين اعتقالاته النفسية وبين العنت الذي لاقاه في الحياة ٠ وكثيرا ما نجد (الانا العليا) عند المتنبي متفاعلة على نحو يكاد ينطقه بالشعور بالهجر من الاخرين وباللاامان من الحياة وبالقصور لعدم تحقيقه مطامحه وبالشك والريبة فالتقصير الذاتي واشتطاط الحياة ولكنه يلتفت الى ذاته فينضو عنها ، هذه الغباشات فيلقي بها الفاظا يرشق بها اولئك الذين حولوا دون طموحاته ٠ وكان من قوته البيانية ومطاوعة اللغة لفكره قد هيأت له سلاحا يدرأ به تخرصات خصومه ، ولهذا فأنه كان في بعض المواقف يكاد يتطرف في اثبات قوة شخصيته ٠ ومن يقرأ شعره لا يعدم على ذلك التمثل بالامثال الكثيرة ٠ ونجد احيانا تجانسا بين شخصيته وقوله ، ونجد احيانا نوعا من التناقض ، وفي الامثلة التي كنا قد اشرنا اليها من قبل ، وفي ديوانه ما يعزز هذا الرأي ٠ فعلم النفس في هذه الحالة يؤمن على موهبة المتنبي ، وهو في الوقت نفسه يكشف عن منازع الانا الاعلى عنده الذي يجعله يعيش حياة نفسية قد يتمثل فيها التجانس والانسجام احيانا وقد يبدو عليها شيء من الصراع النفسي الذي ينعكس على علاقته الاجتماعية وعلى صلته بالحياة من جهة أخرى ٠

الدراسات النفسية للاثار الادبية تستلهم جميع النظريات السايكولوجية التي تعنى بدراسة الفن او الادب أو الشعر واختلاف هذه النظريات يرجع الى وجهات نظر القائلين بها ، فنظرية يونج مثلا تخالف نظرية فرويد وادلر ، ونظرية ادلر تؤكد على جانب يغاير ما اكد عليه كل من فرويد ويونج ٠ واصحاب النظرية الاجتماعية المحدثين ومنهم مثل أريك فروم واريك اركسن تباين نظريات النفسانين المذكورين من قبل ٠ وان كثيرا من الدراسات السايكولوجية للاثار الادبية تعنى بالربط بين الاثر

الادبي وشخصية مؤلفه وان في الكاتب المبدع نجد دائما صبوة الى الانطلاق من شخصيته اذ انه يحاول التحـرر كثيرا او قليلا من اهابه ليندس في ذوات غيره وكأنه يريد ان يستقرأ بواطن الناس ويريد ان يجسم مشاعرهم واحاسيسهم على هذا الاساس · ولهذا فان اثاره كثير اما تمثل اكثر من شخصيته كما يمكن ان تكون اكثر من شخصيته أو أقل منها · ورب وجوه من الحياة النفسية يصورها مبدع كالمتنبي ويتجاوز فيها المدى أو يقصر به الشوط ولكن المتنبي كان دائما من حيث الخيال والطموح ابعـد من المرامي التي كان يتوقعها · ولهذا جاء شعره مصداقا لانطلاقات نفسـه وهنا نجد ان علم النفس الذي يوصف احيانا بـ (علم الطباع) يعبر عن مكنونات دفينة قد يحاول الشاعر أو الاديب ان يرسمها رسما باللفظ ولكنه لفظ رمزي وهذا ما نجده لدى المتنبي اذ انه صرح اطوارا ولمح احيانا وهو يتوخى الرفعة الاجتماعية لشخصيته ارضاءاً لما كان يرمي اليه ولهذا فأنه كان في شعره مفرطا في الفعالية واحيانا في الانفعالية بعيدا عن اللافعالية وهذا مما يتيح لنا ان نصف شعره بانه من النوع المفعم بالنزعة الهجومية التهجمية وقد اشرنا من قبل الى ان هذا النوع من المنحى السلوكي انما يكشف عن احباطات لكنها احباطات جاءت تعبيرا عن ابداع وكان يحلم في حياته في ان يتبوء ما كان يرمي اليه ولكن سعيه المتعجل احيانا قد يكون سببا في قتل الحلم الذي وئد في نفسه بعد ان كان يتوخى له الانطلاق في دنيا الحياة · وكانت نفس المتنبي تواقة الى أن تستجمع في هويتها الروح العلمية غير انـه واجـه ما حال في الحياة دون ما يسمى في علـم النفس (بالطموح المتشوف) · بيد أن تساميه قد خلق من فطرته فضلا ، وجسد من شخصه ثيلا ، وجعل من سلوكه اعتدالا · ومن روض نفسه من الناس على ارتضاع محامد المعالي بأباء وشمم يكن له في تصفية الاخلاق وتزكية الضمير ما يشفع له في درء تخرصات الخراصين المتقولين ممن ينغسون عليه نعمة الوجاهة من الحاسدين ·

الهوامش

١ ـ يونج ، كارل كوستاف · الخلق والابداع · نيويورك ، ١٩٣٢
انظر كذلك :

٢ ـ الدروبي ، سامي · علم النفس والادب · دار المعارف · مصر ، ١٩٧١ ·

٣ ـ سعيد ، علي احمد (ادونيس) · ديوان الشعر العربي ، الكتاب الثاني · المكتبة العصرية · بيروت · الطبعة الاولى ، ١٩٦٤ ·

٤ ـ العقاد ، عباس محمود · ساعات بين الكتب (مع المتنبي) · دار الكتاب العربي · بيروت ، ١٩٧٠ ·

٥ ـ د· حسين ، طـه · مع المتنبي · دار الكتـاب اللبناني · المجلد السادس · بيروت ، ١٩٨٣ ·

٦ ـ الملاح ، عبدالغني · المتنبي يسترد اباه · بغداد ، ١٩٧٥ ·

٧ ـ ابن جني ، ابي الفتح عثمان · ديوان ابي الطيب · دار الشؤون الثقافية · بغداد ، ١٩٨٨ ·

٨ ـ البرقوقي ، عبدالرحمن · شرح ديوان المتنبي ، الجزء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ · دار الكتاب العربي · بيروت ، ١٩٣٠ ·

٩ ـ اليازجي ، ناصيف · العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب · دار القلم · بيروت ·

١٠ـ سويف ، مصطفى · مقدمة لعلم النفس الاجتماعي · مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ·

١١ـ ادلر ، الفريد · معنى الحياة · ترجمة محمود هاشم الودرني · مؤسسة دار الكتاب الحديث · الطبعة الاولى ١٩٨٤ ·

١٢ـ

12— J. P. Chaplin, Dictionar psychology. Dell, publishing House, New york (1970).

١٣ـ فرويد ، سيجموند · ثلاث مباحث في نظرية الجنس · ترجمة جورج طرابيشي · دار الطليعة · بيروت · الطبعة الاولى ، ١٩٨١ ·

١٤ـ د· اي· شنايدر · التحليل النفسي والفن · ترجمة يوسف عبدالمسيح ثروة · دار الشؤون الثقافية · بغداد ، ١٩٨٤ ·

١٥ـ العقاد ، عباس محمود · ساعات بين الكتب (الغرور) ·

١٦ـ فرويد ، آنا · الأنا واواليات الدفاع · ترجمة جورج طرابيشي · دار الطليعة · بيروت · الطبعة الاولى ١٩٨٣ ·

١٧ـ د· ياسين ، عطفوف محمود · دراسات سايكولوجية معاصرة · مؤسسة نوفل · بيروت · الطبعة الاولى ١٩٨١ ·

المنشورات

دراسة نفسية تحليلية

كامل علوان الزبيدي

الاستاذ المساعد في قسم علم النفس

المقـــدمة :

تعتبر المنشورات العسكرية (الحربية) احدى وسائل الحـرب النفسية في عالم اليوم المليء بالصراعات العسكرية • ويعد احيانا من اهمها • واستخدمت المنشورات بشكل فعال ومؤثر في مختلف الحروب ابتداء من الحرب العالمية الاولى والى يومنا هذا ، وتفنن الخبراء في تصميمها واعدادها ، وشهدت بعض الحروب تقنيات مختلفة جديدة على عكس ما هو مألوف منها • وفي هذا البحث ضوء ينير الطريق لكل من له علاقة بميدان الحرب النفسية ويبغي التعرف على هذا الاسلوب (المنشور) من اساليبها من حيث الاسس النفسية المعتمدة في اعدادها وتصميمها واخراجها وقذفها على الخصم •

الفصل الاول

أهمية البحث :

تفرز الحياة واحداثها مشكلات تضع الانسان امام حالة من التحدي

في كيفية النظر اليها ومعالجتها ، ويمكن القول ان الحربين العالميتين الاولى والثانية هما أهم حدثين فرضا على المشتغلين في علم النفس تنظيم المعرفة في مجالات مختلفة ومنها مجال الحرب النفسية ، وقد تجمع على ما يزيد عن خمسين سنة خبرات ومعارف نظرية وميدانية في هذا المجال الحيوي ، وان من أهم العوامل التي ساعدت في ذلك تطور وسائل الاعلام وتقدمها بشكل كبير جدا ، حيث اصبحت تسهم اسهاما كبيرا في توجيه الافراد بشكل أو بآخر ، ومن العوامل الاخرى التي ساعدت في ذلك هو تطور وتعقد الوسائل العسكرية الحديثة ٠

ان وسائل الحرب النفسية عديدة ومختلفة والبحث الحالي سيركز على واحدة من هذه الوسائل ، الا وهي (المنشورات العسكرية) أو (المنشورات الحربية) والفرق في تسميتها يعود الى ان المنشورات الحربية كانها تستخدم وقت الحرب فقط ، بينما المنشورات العسكرية تستخدم وقت الحرب أو السلم ٠ ولما كانت المنشورات العسكرية هي رسائل اعلامية ، اذن تبرز الحاجة بشكل كبير الى استخدام كل المعطيات العلمية في مجال الاعلام وبالاخص معطيات علم النفس ، حيث ان مادة المنشورات مهما اختلفت مفرداتها تسعى الى احداث تغيرات مرغوبة في نفوس الخصم ٠ ولا يصح لنا عدم الاخذ بعين الاعتبار خصائص نشاط الانسان النفسي تلك الخصائص التي تحدد استعداده أو عدم استعداده لتقبل الافكار والتوجيهات والنظريات وقابلية ادراكه على استيعابها ولا يتطلب هذا الاستيعاب الحفظ الآلي أو الاستظهار ، بل يتطلب تغلغل الاراء والافكار والتوجيهات الى وعي الانسان ونفسيته وبعد ذلك تتحول الى قناعات خاصة ٠ (جيهان ، ١٩٧٨ ، ص ٣١٥) (كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٠٦) (محمد ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٩) ٠

وفي ظروف الحرب تشتد الحاجة اكثر لخبرة علماء النفس وخاصة في مجال الحرب النفسية وبكافة أساليبها ، ورغم ان الحرب النفسية استخدمت منذ اقدم العصور ، الا انه يمكن القول ان الخبرة المكتسبة من الحروب القديمة والحديثة لها اثر فعال في تنوع أساليبها • فهي سلاح فعال ووسيلة تدعم وتعزز وسائل القتال الاخرى ، كما انها توفر الكثير من الخسائر في الرجال والعتاد والاموال والامور الاخرى ، اذا احسن استخدامها • ولكن الشيء الجديد فيها هو تطور اساليبها وفق قواعد منظمة ومدروسة • (مصطفى ، ١٩٦٧ ، ص ١٢) •

لقد استخدمت اساليب الحرب النفسية في مختلف الحروب وخاصة المنشورات حيث استخدمت في الحرب العالمية الاولى والثانية والحرب الكورية وحرب فيتنام وغيرها من الحروب في بقاع كثيرة من العالم • ولعبت المنشورات دورا مهما لما لها من قوة التأثير الانفعالي التي تؤدي الى خفض الروح المعنوية للخصم • وتزيد في افراده الشعور بالخوف والقلق والملل والتعب وتولد لديهم طاقات جديدة ورغبة واضحة تدفعهم لعدم القتال والهرب والاستسلام والتمرد ونبذ الحرب • في حين ان منشورات أخرى قد تفعل فعلها المباشر في تغيير الاتجاهات وزعزعة الثقة في النفوس (عبداللطيف ، ١٩٦٨ ، ص ١٦١)
(Doob, 1948, p. 250)

لذا فان الدراسة العميقة للجوانب الانفعالية للخصم مهمة عند التوجه لمخاطبتهم ، فالمنشورات لابد وان تعتمد على الاسس الاتية :ـ

١ ـ الواقع الذي يعيشه الخصم حاليا •

٢ ـ استقراء الخصائص النفسية لافراد الخصم •

٣ ـ استغلال الاحداث والمواقف المختلفة التي تمر بالخصم ·

٤ ـ استغلال قدرات وابداعات الذين يسهمون في اعداد وتصميم المنشورات ·

٥ ـ استغلال الوقت المناسب واللحظة القاتلة لايصال المنشورات الى افراد الخصم · (كامل ، ١٩٨٦ ، ص ٦) ·

وتسهم المنشورات الى جانب اساليب الحرب النفسية الأخرى الى مس واثارة عواطف افراد الخصم من خلال مادتها · لان الاثارة الانفعالية هي التي تشق الطريق نحو تصرفات الخصم المقبلة ، وكلما كان المنشور يحمل اخبارا منتقاة ومنسقة ومعدة وفق اسس نفسية وقادرة على النفاذ الى عقول ونفسيات الخصم كلما كان اثره واضحا في تصرفاتهم اللاحقة ، لذلك نرى بعض المنشورات تشبع حاجات معينة ومنشورات أخرى تشبع حاجات أخرى ، ولكي يتحقق هذا الاشباع فان من واجبات علماء النفس الاستفادة من مزايا كل موقف غامض بالنسبة لافراد الخصم الذين تكون لديهم الرغبة في التعرف على حقيقة هذا الموقف الغامض وبالتالي تشبع حاجاتهم حول هذا الموضوع ·

هدف البحث :

يستهدف البحث الحالي التعرف على الاسس النفسية التي يتم بموجبها تصميم واعداد المنشورات ·

تحديد المصطلحات :

المنشورات « رسائل اعلامية واسلوب من اساليب الحرب النفسية تستخدم اللغة المكتوبة على أوراق بأحجام وألوان مختلفة تقذف على الخصم

لزعزعة معنوياته وتغيير اتجاهاته ودعوته للهرب والاستسلام » (كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٠٨) ٠

حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على تحليل عينة من المنشورات الحربية التي استخدمت في بعض الحروب والمذكورة في الفصل الثاني ٠

الفصل الثاني

نماذج من المنشورات :

فيما يلي نماذج من المنشورات التي استخدمت في بعض الحروب :ـ

١ ـ ظهر منشور في الحرب الكورية وفي الشهر الاخير من السنة الميلادية يمثل صورة لمجموعة من الجنود الامريكان وزوجاتهم وأطفالهم وصديقات لهم حول شجرة عيد الميلاد وكتبت العبارة الآتية تحت الصورة : (لماذا انت هنا في كوريا تعاني البرد القارص والكآبة ارجع الى بلادك واترك كوريا للكوريين) ٠

٢ ـ منشور اصدره الفلبينيون ووقعوه باسم الجيش الامريكي باغين من وراءه تصعيد حالة الكراهية ضد الامريكان وفحوى هذا المنشور (احترس من الامراض الزهرية ، حيث ظهرت مؤخرا زيادة كبيرة في عدد الاصابات بالامراض الزهرية بين ضباطنا وجنودنا نتيجة للعلاقات الجنسية مع النساء الفلبينيات ذوات الطبيعة غير الواضحة ، فقد أخذت النساء الفلبينيات نتيجة للظروف المعاشية القاسية بسبب احتلال الجزر تدهور حالتهن الصحية لقلة الطعام ٠ ومن الضروري في مثل هذه الاحوال اتخاذ اجراءات الحيطة والحذر باستعمال الادوية الوقائية ، ومن الافضل الاتصال بالزوجات أو الفتيات الباكرات أو النساء المحترمات ، ونتيجة لزيادة المحبة بين السكان تجاه الامريكان فان كثيرا من النساء الفلبينيات مستعدات

لعرض انفسهن للجنود الامريكان ، ونتيجة لعدم معرفة الفلبينيين لقواعد الصحة تحمل الفلبينيات كثيرا من الجراثيم وعليه يجب اتخاذ الحيطة) ٠

٣ ــ منشورا أصدره الامريكان ووعدوا كل طيار يأتي بطائرة نفاثة مقاتلة يعطوه خمسين الف دولار وقد طبع هذا المنشور بعدة لغات (الروسية والصينية والكورية) ٠

٤ ــ ومن المنشورات الالمانية منشور بوجهين الوجه الاول يحمل صورة لامرأة على فراش النوم وبجانبها زوجها يمد يده الى ساعة التوقيت ليسكت جرس الساعة بينما تنهض الزوجة لاحضار الفطور ، وفي الصفحة الثانية من المنشور كتب للجندي الامريكي بانه سيواجه حرب العصابات والغابات المخيفة في الشرق وعليه ان يبعد الامل في الرجوع الى الاهل والوطن ٠

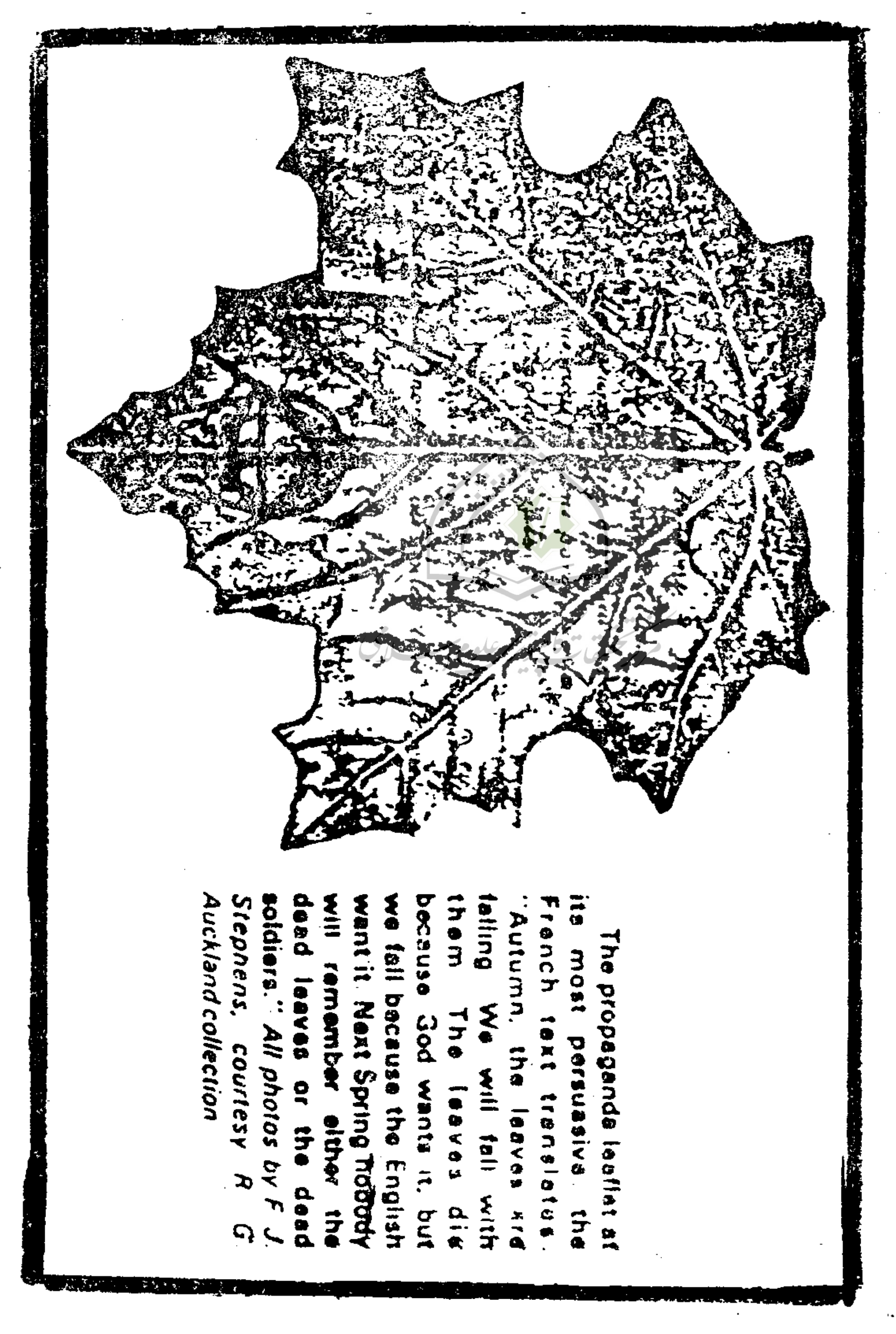
٥ ــ واصدر الالمان منشورا يفضح نوايا البريطانيين في السيطرة على العالم ، ويظهر هذا المنشور بريطانيا بهيئة جندي طويل الساقين قصير اليدين يحاول جاهدا ان يغطي بجسمه أجزاء كبيرة من العالم وهو يتسائل :ــ الى متى يمكنني البقاء على هذه الحال ؟ ٠ الشكل (١) ٠

٦ ــ ومن منشورات الالمان الاخرى والتي القيت على القطعات الفرنسية عند الحدود الشرقية ، منشور طبع على ورق اسمر شبيه بالنحاس الذي يعلوه الصدأ وعلى شكل أوراق أشجار وكان يحمل رسما لجمجمة مرتدية خوذة فرنسية وقد كتب المنشور باللغة الفرنسية وفحواه :ــ لقد حل الخريف وبدأت الأوراق تتساقط وسنسقط نحن كذلك ، الاوراق تموت الان لان الله يريد ذلك ، اما نحن فسوف



شکل (۶)

نسقط لان الانكليز يريدون ذلك وعندما يحل الربيع القادم سوف لن يتذكر احد الاوراق الميتة أو الجنود الموتى . الشكل (٢) .



The propaganda leaflet at its most persuasive. the French text translates: "Autumn, the leaves are falling. We will fall with them. The leaves die because God wants it, but we fall because the English want it. Next Spring nobody will remember either the dead leaves or the dead soldiers." *All photos by F. J. Stephens, courtesy R. G. Auckland collection*

شكل (١)

٧ ـ ومن المنشورات الانكليزية منشـور يدعـو الى مساعدة الطيارين الذين يهبطون في الصحراء ، وان هـذا المنشور موجـه الى العرب وكذلك به تعليمات للطيارين البريطانيين حيث يأمر هذا المنشور الطيار البريطاني ان يخلع حذائه عند الدخول الى الخيمة العربية كذلك يأمره ان يتجنب النظر الى النساء الاعرابيات وكذلك يرشده الى بعض الكلمات المفيدة ، وكذلك يطلب من العربي معاملة هـذا الضابط معاملة جيدة ، حيث انه صديق للعرب ويطلب منهم تقديم الطعام والشراب له وارشاده الى اقرب معسكر بريطاني ويعـدهم بتقديم مكافأة مالية .

٨ ـ ومن المنشورات الالمانية التي كانت تهدف الى تحطيم معنوية الجنود الامريكان ، منشور فيه كلمات (لروزفلت) يقول فيها (اني اؤكد لكم اليوم وابدا ان امريكا سوف لا تفقد شبابها في معارك خارج حدودها وقد قال هذا الكلام في آب من عام ١٩٤٠) .
(كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٠٩ ـ ٣٢٠) (عبدالاله ، ١٩٨٥ ، ص ٩٤)
(لايمبرغ ، ١٩٦٢ ، ص ٣٣٦) .

ومن خلال الاطلاع على هذه المنشورات وتحليل مضامينها نجد انها ركزت على مضامين مختلفة ومن هذه المضامين :ـ

١ ـ التفكير بالاهل والزوجة والاطفال والحيـاة الاعتيادية البعيدة عـن الحياة العسكرية وجو الحرب .

٢ ـ مس المشاعر العاطفية بشكل او بآخر .

٣ ـ الخداع في تسمية الجهات التي تصدر المنشورات .

٤ ـ استخدام الاسلوب المـادي كعنصـر من عناصر اشبـاع الحاجـات الانسانية .

٥ ـ محولة التذكير بالجرائم التي ترتكبها بعض الدول بحق شعوب الدول الاخرى من خلال السيطرة عليها .

٦ ـ استخدام الاشكال والالوان والصور لتعزيز تقبل فحوى المنشور .

٧ ـ محاولة التأثير على المعنويات بشكل أو بآخر .

٨ ـ اعتماد الاسس النفسية بشكل تام من خلال دراسة شخصية الخصم .

٩ ـ بث الخوف والذعر في النفوس ودعوة للهرب أو الاستسلام وعدم القتال .

١٠ـ بث الحقد والكراهية تجاه الخصم .

الفصل الثالث

لتحقيق هدف البحث تمت الاجراءات الاتية :

١ ـ اهداف المنشورات :

من خلال تحليل مضامين المنشورات وجد انها تحمل مضامينا مختلفة ولها أهداف متنوعة ويمكن اجمال اهداف المنشورات بشكل عام الى ما يأتي :ـ

آ ـ بث الخوف والذعر في نفوس افراد الخصم .

ب ـ دعوة افراده الى الهرب من ساحات المعارك أو الاستسلام .

ح ـ محاولة تغيير اتجاهات افراد الخصم حول مختلف القضايا .

د ـ تبصير افراد الخصم ببعض الحقائق الخافية عنه .

هـ ـ زعزعة الايمان بالمبادىء والاهداف وذلك عن طريق اثبات استحالة تحقيقها .

و ـ اضعاف جبهة الخصم الداخلية .

ز ـ التقليل من أي نصر سياسي أو عسكري .

ح ـ تضخيم الخسائر التي يتكبدها الخصم ٠
ي ـ ابراز الأخطاء وتضخيمها التي يقع بها الخصم ٠
ك ـ التشكيك بالحلفاء والموالين للخصم ٠

٢ ـ مادة المنشور :

ولغرض ان نبدأ باعداد المنشور لابد ان نتعرف على حقيقة معينة وهي ان لكل منشور مادته واهدافه مهما كان هذا المنشور صغيرا أو كبيرا وتعتمد الوسائل الاتية في جمع مادة المنشورات :

آ ـ ما تجمعه الاجهزة المختصة ٠
ب ـ ما يمكن الحصول عليه من افراد الخصم الذين يقعون اسرى ٠
ح ـ من يلجأ اليك هربا من بلاده ٠
د ـ ما تنشره وتذيعه صحف واذاعات الخصم ٠
هـ ـ ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن الخصم خارج بلاده ٠
و ـ تحليل مختلف الاخبار العسكرية والسياسية والاقتصادية والصحية والاجتماعية الخاصة بالخصم ٠

٣ ـ تصميم المنشورات :

على الرغم من ان العديد من المنشورات هي افكار فردية لبعض الأفراد ، ولاقت نجاحا وحققت أهدافها الا ان هذا يقضي بالضرورة ان تشكل لجان خاصة لاعداد المنشورات تضم بعض المتخصصين في علم النفس والاجتماع والاعلام والسياسة والدين واللغة والتاريخ الى جانب المتخصصين من العسكريين ٠ وعند البدء بتصميم المنشور يراعى ما يأتي :

آ ـ اختيار موضوع المنشور ٠
ب ـ جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذا الموضوع ٠
ح ـ انتقاء المعلومات المباشرة والقابلة للاستساغة النفسية ٠

د ـ تحديد الكلمات والجمل المطلوب التركيز عليها وملاحظة تكرارها ·
هـ ـ اختيار الصورة المناسبة لموضوع المنشور ان كانت هنالك حاجة لذلك ·
و ـ الايجاز في كلمات المنشور كلما امكن ·
ز ـ تحديد حجم ولون وسمك الورق المستخدم ·
ح ـ استخدام لغة الاقناع واللغة البسيطة المفهومه لدى أكثرية افراد الخصم ·
ط ـ استخدام اسلوب الترغيب ·
ي ـ اعتماد عنصر التشويق من خلال الاخراج الفني للمنشور باستخدام الاشكال والزخارف والخطوط وغيرها ·
ك ـ تحديد رقعة القاء المنشور ·
ل ـ تحديد الزمان ·
م ـ اختيار الواسطة لقذف المنشور ·

٤ ـ انواع المنشورات :

تقسم المنشورات الى أنواع منها :ـ

آ ـ منشورات الاخبار : وهي منشورات تبرز بعض الاخبار لبعض المواقف المعينة والتي تتعلق بحدث معين وقد تكون هذه الاخبار خافية عن افراد الخصم أو انها اخبار مشوهة ·
ب ـ منشورات الاستسلام : وهي منشورات تدعو الى عدم القتال والاستسلام وتستخدم عنصري الترغيب والتهديد ·
حـ ـ منشورات التحذير : وهي التي تحاول ان تخاطب افراد الخصم وتحذره من تصرفاته ·
د ـ منشورات الحقائق وهذه المنشورات قريبة الصلة بمنشورات الاخبار ولكنها أكثر دقة ووضوحا في معلوماتها من حيث صحتها ·

هـ ـ منشورات القصص : وهي من المنشورات المطولة وتدور حول قصة معينة من خلال سرد احداثها ٠

ز ـ المنشورات الموقفية (الموقعية) : وتهدف الى مخاطبة افراد الخصم في موقع معين أو من خلال موقف معين ٠

ح ـ منشورات بطاقات المرور وهي من المنشورات التي تساعد وتشجع على الهرب وتمنح الامان وفيها تعليمات تدعو الى تقديم المساعدة واخلاء من يحملها من اماكن الخطر ٠

ط ـ منشورات الخداع ٠ وتهدف الى اسلوب الايهام بان ما مدون في المنشور هو من قيادته ٠

ي ـ المنشورات العاطفية ٠ وهي من المنشورات التي تهدف الى مس المشاعر الوجدانية من خلال التذكير بالاهل والأطفال والمناسبات المختلفة ٠

ك ـ منشورات الوثائق : وهي من المنشورات المهمة وتهدف الحصول على بعض الوثائق السرية من الخصم وطبعها على شكل منشورات ٠ (كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦) ٠

٥ ـ وسائل توزيع المنشورات :

هنالك عدة وسائل لتوزيع المنشورات على الخصم منها :ـ

آ ـ الدوريات : تكلف مجاميع معينة بحمل هذه المنشورات ورميها في أرض الخصم أو في اماكن معينة ٠

ب ـ البالونات : وتكون على شكل رزم وترتفع مع ارتفاع البالون ولكن ما تقع هذه المنشورات في اماكن بعيدة عن الموقع المخصص لها أو قد يحملها الهواء باتجاه من قذفها ٠

حـ ـ المدافع : صممت مدافع خاصة لاطلاق المنشورات وعلى مديات مختلفة ٠

د ـ الطائرات : وتستخدم الطائرات برمي المنشورات على المدن أو على مواقع افراد الخصم ٠

الاستنتاجات :

في ضوء ما ورد في البحث من معلومات حول أهميـة المنشورات في الحـروب واعتبارها من اساليب الحـرب النفسية المهمـة لذا فان من الضروري الاهتمام بهذا الاسلوب بشكل فعال وتطويره والاستفادة من معطيات العلوم المختلفة وبالاخص علم النفس والتركيز على دراسة شخصية الخصم ومعرفة كل شيء عن هذه الشخصية ، وكذلك الاهتمام بالوسائل الفنية في عملية اعداد وتصميم المنشورات ٠

التوصيات :

في ضوء معطيات البحث فقد بات من الضروري اعتماد الاسس الاتية :

١ ـ تشكيل لجنة متخصصة لذلك تضم الاختصاصات المنوه عنها في متن البحث ٠

٢ ـ التركيز على لغة المنشور وخاصة معرفة لغـة الخصم ، والايجـاز بكلمات المنشور واعتماد مبدأ التكرار لبعض الكلمات ٠

٣ ـ اتباع أساليب جديدة في تصميم المنشورات غير الاساليب التقليدية (اسلوب الورق) مثـل علب السكائر والاقلام واللعب والهـدايا المدون عليها مادة المنشور ٠

المصـــادر

١ ـ جيهان احمد رشتي ، الاعلام ونظرياته في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٨ .

٢ ـ عبدالاله مصطفى الخزرجي ، تحليل لغة الدعاية ، مطبعة التوجيه السياسي ، بغداد ١٩٨٤ .

٣ ـ عبداللطيف حمزة ، الاعلام والدعاية ، بغداد ١٩٦٨ .

٤ ـ محمد عبدالقادر حاتم ، الاعلام والدعاية ، نظريات وتجارب ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .

٥ ـ مصطفى سعيد ، فن الدعاية ، بغداد ١٩٦٧ .

٦ ـ كامل علوان الزبيـدي ، السـوق الاعلامي والنفسي في تصـميم المنشورات ، التوجيه السياسي ، بغداد ١٩٨٦ .

٧ ـ كامل علوان الزبيدي ، علم النفس العسكري ، جامعة بغداد ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٩ .

٨ ـ لاينبرغ ، بول ، الحرب النفسية ، ترجمة حميد الرشيد ، مطبعة النجاح ، بغداد ١٩٦٢ .

9 — Doob, Leonard. Public opinion and propaganda, Henryholt, Newyork, 1948.

المضامين والابعاد الاجتماعية
لتحويل العمال الى موظفين

الدكتور احسان محمد الحسن
قسم الاجتماع ـ كلية الآداب
جامعة بغداد

أ ـ مقدمة تمهيدية :

يعد قرار تحويل العمال الى موظفين من القرارات التاريخية الثورية ومن المنجزات الحضارية والانسانية المتميزة ومن التحولات الاشتراكية النوعية التي وضعت أسسها الثابتة والأصيلة قيادة الحزب والثورة وعلى رأسها الرفيق القائد صدام حسين (حفظه الله) في محاولة منها لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية بين منتسبي القطاعِ الاشتراكي كافة بغض النظر عن طبيعة الأعمال التي يقومون بها والخلفيات الأجتماعية والمهنية التي ينحدرون منها والمستويات الثقافية والعلمية التي يتمتعون بها ٠ أن قرار تحويل العمـال الى موظفين في القطـاع الاشتراكي جاء منسجما مع أديولوجية الحزب القـائد حزب البعث العـربي الاشتراكي ومنطلقاتهـا الفكرية والمبدئية ، ومع الظروف والمعطيات العملية للانتاج الاجتماعي ومع مستلزمات الاقتصاد القومي للقطر العراقي ، الاقتصاد الذي يتوخى سد متطلبات التنمية والبناء وسد متطلبات التقدم الأجتماعي والحضاري(١) ، واعادة بناء المجتمع في فترة ما بعد الحرب وتثوير قطاعاته البنيوية وتطويق مشكلاته الآنية والمستقبلية ٠

أن اديولوجية الحزب القائد لا تؤمن بالانحياز الى طبقة اجتماعية واحدة أو الى طبقتين طالما أن حزب البعث العربي الاشتراكي لا ينحدر من طبقة اجتماعية معينة ولا يناصر طبقة دون الطبقة الأخرى بل أنه ينحدر من كافة الطبقات والفئات الجماهيرية والشعبية ويكافح من أجل رفاهيتها وسعادتها وعزتها وتقدمها في كافة مجالات الحياة وتخصصاتها(٢) ٠ وبناء على هذا التوجه الفكري بادرت قيادة الحزب والثورة الى مساواة العمال بالموظفين اذ جعلتهم يقفون على خط شروع واحد لخدمة الوطن والأمة(٣) ٠ وساوت بينهم في الواجبات والحقوق الأجتماعية ٠ زد على ذلك أن تحويل العمال الى موظفين يتجاوب مع توجهات قيادة الحزب والثورة في زيادة الانتاج كماً ونوعاً ، وفي تكييف كافة المنتجين سواء كانت واجباتهم فكرية أو يدوية الى الظروف والمعطيات الجديدة للعمل التقني ٠ ذلك أن هذه الظروف والمعطيات تستلزم قيام كل من الخريج وغير الخريج بتشغيل وادارة وصيانة الماكنة ومشاركة جميع المهنيين والحرفيين في اتخاذ القرار الذي يضمن استمرارية العمل الانتاجي وزيادة الكفاءة الانتاجية وقدرة المؤسسات والمشاريع الانتاجية والخدمية على تحقيق الأهداف الاقتصادية النوعية للمجتمع الكبير ٠

أن دراسة المضامين والأبعاد الأجتماعية لتحويل العمال الى موظفين تركز على ثلاثة محاور أساسية هي :

١ ـ التحولات الاجتماعية للعمال في ظل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز القومية الاشتراكية ٠

٢ ـ الاساس الفكري والعملي لتحويل العمال الى موظفين مع اشارة خاصة لنظرية العمل البعثية ٠

٣ ـ الدلالات الاجتماعية والانسانية لتحويل العمال الى موظفين ٠ والان نود دراسة وتحليل هذه المحاور بالتفصيل ٠

ب ـ التحولات الاجتماعية للعمال في ظل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز القومية الاشتراكية :

لقد عانى العمال والفلاحون والكسبة في قطرنا خلال عهود الاقطاع والدكتاتورية والرجعية من شتى أشكال الظلم والقهر والتعسف والاستغلال الطبقي والاجتماعي والسياسي • ومثل هذه المعاناة والظروف الصعبة التي عاشتها هذه الفئات الاجتماعية قد حولتها آنذاك الى جماعات ضعيفة ومبعثرة ومغلوبة على أمرها(٤) • فقد كانت البطالة مستفحلة بين أفرادها والأمية متفشية بين صفوفها والفقر مسيطرا على جموعها ، والمرض منتشرا بين عائلاتها • ونتيجة للظروف الصعبة والمشكلات المزمنة التي كانت تعاني منها هذه الجماعات والفئات ظهرت الفوارق الاقتصادية والاجتماعية الواضحة بينها وبين بقية فئات المجتمع الأخرى خصوصا الفئات المرفهة والميسورة • ومثل هذه الفوارق هي التي جعلت الفئات العمالية والفلاحية غير قادرة على تحسين أحوالها وازالة مشكلاتها وأداء دورها الفاعل في المجتمع آنذاك •

وعند قيام ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز القومية الاشتراكية تحققت الكثير من المكاسب للعمال • فعلى الصعيد الاقتصادي دأبت الثورة منذ بدايتها الى خلق العمل الانتاجي والحرفي بأنواعه الماهرة وشبه الماهرة وغير الماهرة وتوفيره للعمال وتمكينهم من اشغاله والاستفادة منه في تحسين واقعهم الاجتماعي والمعاشي(٥) • ومثل هذا الاجراء ساعد على زيادة الطلب على القوى العاملة بحيث استطاع المجتمع التحرر من مشكلة البطالة والفقر وجمود الموارد البشرية • كما قامت الثورة بزيادة أجور العمال ورفع قوتهم الشرائية وتحسين أحوالهم المعاشية(٦) وتطوير مناطقهم السكنية وحثهم على اقتناء واستهلاك المواد الغذائية الغنية بالفيتامينات وارشادهم على التدبير والاقتصاد في النفقات والابتعاد عن ممارسات الاستهلاك المظهري •

وفي الجانب الاجتماعي بادرت الثورة الى ضمان الحقوق الاجتماعية للطبقة العاملة انطلاقا من المبادىء الانسانية التي تؤمن بها وحرصا منها على تحقيق رفاهية الطبقة العاملة وتثبيت موقعها المتميز في المجتمع الجديد ذلك أن الطبقة العاملة هي الطبقة المسؤولة عن قضايا الانتاج والتنمية والطبقة التي تعرضت للظلم الاجتماعي والقهر الطبقي أكثر من غيرها من بقية الطبقات والفئات الاجتماعية(٧) كما يشير الى ذلك تاريخ الانسانية بصورة عامة وتاريخ المجتمع العراقي بصورة خاصة . لكن الحقوق الاجتماعية التي ضمنتها القيادة السياسية للطبقة العاملة في القطر تتجسد في التشريعات العمالية وفي بلورة ونشر مبدأ تكافؤ الفرص الاجتماعية بين العمال وغيرهم من أبناء المجتمع . فقد شرعت الثورة قانون العمال رقم ١٥١ لسنة ١٩٧٠ وقانون التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال رقم ٣٩ لسنة ١٩٧١ . وبموجب هذه القوانين سمح للعمال بالمشاركة في مجالات التخطيط والتنفيذ وتحمل المسؤوليات كاملة أزاء تنفيذ خطط العمل(٨). اضافة الى منح الحريات لممثلي الطبقة العاملة بالمساهمة في نشاطات الهيئات واللجان العليا للدولة كمجلس التخطيط والمجلس الزراعي . وقانون التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال ساهم مساهمة فعالة في حماية العمال ضد المرض والبطالة والشيخوخة والتعرض للحوادث المؤسفة ، وساعد على رفع مستوياتهم المعاشية والاجتماعية .

وقد اعتمدت الثورة مبدأ تكافؤ الفرص الاجتماعية في التعامل مع أبناء الطبقة العاملة وبقية المواطنين من الفئات والشرائح الاخرى التي يتكون منها المجتمع لعراقي . فقد سمح لأبناء الطبقة العاملة بالدخول الى كافة المعاهد والكليات والجامعات والقبول في البعثات العلمية ونيل الزمالات الدراسية داخل وخارج القطر ، وسمح لهم بأشغال كافة الوظائف والمهن الحساسة في الدولة والمجتمع . بينما في العهود الاقطاعية

والدكتاتورية والرجعية كانت المعاهد العالية والجامعات والبعثات والزمالات الدراسية احتكارا لأبناء الطبقات الوسطى والمرفهة(٩) . كما كان أبناء الطبقة العاملة محرومين من اشغال الوظائف المهمة والحساسة في الدولة والقوات المسلحة . أن مقاييس القبول في المعاهد والكليات والجامعات ومقاييس الدخول الى المهن والوظائف الحساسة في مجتمعنا الثوري المعاصر انما هي التأهيل العلمي والكفاءة على اشغال الادوار والمناصب الوظيفية وليس الانتماءات الطبقية والانحدارات الفئوية والولاءات الاقليمية كما كان ذلك قبل الثورة . وهذه الحالة الاجتماعية التي يشهدها مجتمعنا في عصر الثورة والتحرر هي النهوض الحضاري والتقدم الاجتماعي بعينهما .

واهتم الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) بالعمال وقضاياهم من خلال أحاديثه عنهم وزياراته الميدانية لمواقع العمل الانتاجي وتشجيعه للعمال على زيادة الانتاج كماً ونوعاً ومشاركته الفاعلة في حل مشكلاتهم . ففي أحد أحاديثه الموجهة للعمال يربط الرئيس القائد بين العمل الجيد والشرف وبين العمل الجيد وتحقيق الأهداف التي يناضل العمال من أجلها . يخاطب الرئيس القائد صدام حسين العمال فيقول « نريد منكم أن تجعلوا من العمل شرفكم الحقيقي وليس شعارا معلقا في الدوائر فقط ، فالعامل يجب أن يجعل من العمل شرفا حقيقيا له ويحس انه عندما يعمل بدقة كأنما يدافع عن شرفه . أن المكاسب والمنجزات العظيمة التي قدمتها ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز الى العمال واهتمامات القيادة بالعمل والعمال قد أدت دورها الفاعل في تنمية وتطوير العمال بحيث أصبحوا اكثر فاعلية وتأثيرا في مسيرة المجتمع الانتاجية والتنموية من ذي قبل(١٠) .

وعلى الرغم من الجهود والاهتمامات التي بذلتها الثورة فأن الفوارق ظلت شاخصة بين العمال وبقية فئات المجتمع الأخرى خصوصا الموظفين

والمهنيين الى أن صدر قانون مجلس قيـادة الثورة في يوم ١٩٨٧/٣/١١ والقاضي بتحويل العمال الى موظفين • وفي ظل هذا القانون تساوى العمال مع الموظفين في اللقب وفي الواجبات والحقوق وبدأوا يقفون على خط شروع واحد ينطلقون من خلاله نحو العمل المثمر والانتاج الوفير والخدمة الجيدة التي تطور المجتمع وتمكنه من بلوغ أهدافه القريبة والبعيدة •

جـ ـ الأساس الفكري والعملي لتحويل العمال الى موظفين مع اشارة خاصة لنظرية العمل البعثية :

من الأسباب الجوهرية التي دعت قيادة الحزب والثورة الى تحويل العمال الى موظفين السبب الفكري والايديولوجي الذي يكمن في نظرة الحزب القـائد حزب البعث العربي الاشتراكي الى الفئات والشرائح والطبقات الاجتماعية نظرة واحدة لا تميز بين فئة وفئة أخرى أو بين طبقة وطبقـة أخرى طالما أن الحزب هو حزب الجماهير العربية كلها(١١) • فالمنتمون لـه ينحدرون من كافـة فئات وشرائح المجتمع ، وانه يعمل لهذه الفئات والشرائح الاجتماعية ويهدف الى تحسين أحوالها ومعالجة مشكلاتها وتحقيق طموحاتها ضمن التوجهات المركزية والمبدئية لأهدافه في الوحدة والحرية والاشتراكية(١٢) • وعندما يكافح الحزب من أجل تنمية وتطوير أحوال الجماهير كافة فلا غرابة ان يساوي بين العمال والموظفين في اللقب والاحترام والتقدير والحقوق والامتيازات وأن يتيح للجميع فرصة مزاولة الأعمال التي تنسجم مع قدراتهم ومؤهلاتهم وميولهم واتجاهاتهم • علما بأن الاعمال التي يتطلب أداؤها التدريب الطويل والمهارة والموهبة والجهود المضنية والمسؤولية الكبيرة يتقاضى افرادها امتيازات مادية ومعنوية تزيد على تلك التي يتقاضاها الافراد ذو المؤهلات البسيطة والمسؤوليات المحدودة(١٣) •

وتحويل العمال الى موظفين انما ينطلق من المبدأ الاشتراكي الذي يؤمن به الحزب ، ذلك المبدأ الذي يؤكد ضرورة تقليص الفوارق الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية والسياسية بين الأفراد والجماعات . فعندما يتساوى العامل مع الموظف في الواجبات والحقوق الاجتماعية ، ويمنح كل فرد حرية التعبير عن امكاناته وطاقاته ومواهبه الذاتية التي من خلالها يخدم الدولة والمجتمع ويشارك في عملية البناء والتنمية الشاملة فأن ظروف العامل الاقتصادية لابد أن تتحسن وتصبح مشابهة لظروف الموظف لأن الاثنين يتقاضيان امتيازات واحدة في حالة تساوي المهام والأعمال التي يقومان بها .

وعندما تتحسن الظروف الاقتصادية للعامل وعائلته نتيجة تحويله الى موظف فأن مكانته الاجتماعية لابد أن ترتفع وتصبح مشابهة لمكانة الموظف لاسيما وأن المجتمع يحترم الموظف ويقيمه أكثر من العامل(١٤) . ومن الجدير بالذكر أن تحسن الظروف الاقتصادية والاجتماعية للعامل نتيجة تحويله الى موظف سيمكنه من رفع مستواه الثقافي والعلمي لاسيما وأن الدولة تشجع الجميع على الاستفادة من التسهيلات الثقافية والعلمية المتيسرة في المجتمع . زد على ذلك ان ثقافة العامل ووعيه التربوي والعلمي نتيجة لتحويله الى موظف لابد أن يعمق وعيه السياسي والفكري بحيث يكون مستوعبا للمرحلة السياسية التي يمر بها المجتمع ومدركا لطبيعة ظروفها الموضوعية والذاتية وملماً بماهية الأخطار والتحديات السياسية والأمنية المحيطة بالمجتمع(١٥) .

وينطلق قرار تحويل العمال الى موظفين من مبدأ آخر الا وهو مبدأ تحقيق الموازنة بين الواجبات والحقوق . فتحويل العمال الى موظفين في مؤسسات القطاع الاشتراكي لابد أن يجعل المنتجين والمهنيين والخدميين كافة يقفون على صعيد واحد في الواجبات والحقوق . وهذا ما تقره نظرية العمل البعثية ، تلك النظرية التي تعني كيفية وضع مبادىء وأهداف حزب البعث العربي الاشتراكي وثورته في القطر العراقي موضع التطبيق في

الميادين كافة بشكل سليم ووفق ضوابط أساسية تؤدي في المحصلة التي تحقيق تلك المبادىء والأهداف(١٦) ٠

وأهم ما تتميز به نظرية العمل البعثية الموازنة بين الحقوق والواجبات ، ولكن في الحالات الاستثنائية كظروف العدوان الايراني على العراق يميل ذراع الموازنة لصالح الواجبات ٠ وتأكيد نظرية العمل على مبدأ الموازنة بين الواجبات والحقوق انما ينطلق من اعتبار الانسان ، مهما يكن عمله ولقبه ومستواه المهني والعلمي ، قيمة عليا في المجتمع اذ انه وسيلة العمل وغايته(١٧) ٠ لذا تنعكس نظرية العمل البعثية في الواجبات والحقوق التي تنسب للدور الوظيفي وتستنبط من الواقع ، فالواقع يغني النظرية ويطورها مثلما تساعد النظرية على تطوير الواقع ٠ أن نظرية العمل البعثية التي تتطرق الى موضوع الواجبات والحقوق يمكن معرفتها واستيعاب مضامينها الموضوعية والذاتية من خلال مبدأ الموازنة بين الواجبات والحقوق لأن الواجب الوطني والمفاهيم الجديدة لبناء المجتمع كما يقول الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) تقتضي أن نجري موازنة دقيقة بين الحقوق والواجبات وان نتجنب الميل على حساب الحقوق لصالح الواجبات والعكس بالعكس الا في ظروف معينة كظروف الحرب مع العدو الايراني مثلا(١٨) ٠

ولا يستند قرار تحويل العمال الى موظفين الى الأساس الاديولوجي فحسب بل يستند أيضا الى الأساس العملي ٠ فالقرار يشجع العمال الذين تحولوا الى موظفين على زيادة حجم الانتاج وتحسين نوعيته ٠ فعندما يشعر العامل بأن القيادة والمسؤولين وضعوه موضع المساواة مع الموظفين في الامتيازات المادية والمعنوية وفتحوا الطريق أمامه بمزاولة العمل المناسب ومنحوه حق الترقية والترفيع فأنه سيكون مندفعا الى الاخلاص في العمل والتفاني في اداء الواجب وتحقيق اغراض المؤسسة التي يعمل فيها ٠ وهنا

تزداد كمية الانتاج وتتحسن نوعيته ويعم الرفاه الاقتصادي والاجتماعي في ربوع المجتمع · وهذا ما يحتاجه العراق في الوقت الحاضر لاسيما وأن مسؤولياته لا تقف عند حد التنمية والبناء بل تتجاوزه الى اعادة بناء ما دمرته الحرب واعادة تنظيم القوات المسلحة وتطويق آثار الحرب طويلة الأمد · علما بأن زيادة الانتاج كماً ونوعاً انما تؤدي الى زيادة الرواتب والأجور وارتفاع القوة الشرائية للمواطنين وتحسين أحوالهم المعاشية(١٩) ·

وأخيرا علينا القول بأن قرار تحويل العمال الى موظفين يتجاوب مع ظروف العمل الصناعي الحديث ، هذه الظروف التي تكون فيها مهام عمل المهني أو المهندس أو المشرف على العمل تقريبا متشابهة مع مهام عمل العامل · فالجميع سواء كانوا مهندسين أو مشرفين أو عمال يعملون على الماكنة ويهتمون بتشغيلها وادارتها وصيانتها · بينما الظروف الكلاسيكية للعمل الصناعي كانت تقسيم الملاكات الانتاجية الى صنفين هما صنف المسؤولين الصناعيين كالمدراء والمهندسين والمشرفين وصنف العمال · فالمدراء والمهندسون والمشرفون لم يكونوا مسؤولين عن تشغيل وصيانة الماكنة بل كانوا مسؤولين عن مهام الادارة والتنظيم والاشراف الصناعي(٢٠) ·

أما تشغيل وصيانة المكانة فكانت من واجبات العمال · وبعد تحويل ظروف العمل الصناعي من شكلها التقليدي الى شكلها الحديث أصبحت الفوارق الفنية والمهنية والاجتماعية بين المدراء والمهندسين والمشرفين من جهة والعمال من جهة أخرى هامشية وثانوية(٢١) · ذلك أن كلا الجماعتين تحتاجان الى الدراسة والتدريب وتؤديان تقريبا أعمال متشابهة بالرغم من تباين المسؤوليات والأدوار الوظيفية التي يشغلونها(٢٢) · تحت هذه الظروف ارتأت القيادة في قطرنا ضرورة تحويل العمال الى موظفين انسجاما

مع المعطيات الفنية المتغيرة للمؤسسات الانتاجية . وفي هذا السياق يقول الرئيس القائد صدام حسين « لقد سهل هذا القانون عمل أي اختصاص علمي مهما كانت درجته على الآلة جنبا الى جنب مع زميله الموظف المكلف بعمل يدوي فحسب ، أو عمل يدوي وذهني في آن واحد »(٢٣) .

د - الدلالات الاجتماعية والانسانية لتحويل العمال الى موظفين :

ان لقرار تحويل العمال الى موظفين العديد من المعاني والدلالات الاجتماعية والانسانية المتعلقة بالفرد والجماعة والمجتمع على حد سواء . ويمكن تحديد هذه المعاني والدلالات بالنقاط التالية :

١ - دور تحويل العمال الى موظفين في توازن الواجبات والحقوق لكافة منتسبي الدولة .
٢ - دور تحويل العمال الى موظفين في ترسيخ مبادىء العدالة الاجتماعية .
٣ - دور تحويل العمال الى موظفين في زيادة الانتاج الاجتماعي كماً ونوعاً .
٤ - دور تحويل العمال الى موظفين في تغيير معالم البناء الاجتماعي .
٥ - دور تحويل العمال الى موظفين في تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي .

والان علينا شرح هذه الدلالات الاجتماعية والانسانية لقرار تحويل العمال الى موظفين .

١ - دور تحويل العمال الى موظفين في توازن الواجبات والحقوق لكافة منتسبي الدولة :

أن عملية تحويل العمال الى موظفين تساوي بين الجميع في الواجبات التي يقدمونها للمجتمع وفي الحقوق التي يحصلون عليها من المجتمع . فالكل يقفون عند خط شروع واحد ، غير ان عملهم أو عطاءهم هو الذي

يميز بعضهم على بعض ، والتمييز يرجع الى ما يقدمه كل واحد منهم من جهود وخدمات مثمرة للمجتمع الكبير · فالمتميز هو ذلك الشخص الذي يعطي اكثر من غيره للمجتمع ، وعطاؤه هو الذي يحدد كمية حقوقه المادية والمعنوية(٢٤) · أما الشخص الذي يتلكأ أو ينخفض انتاجه فيأخذ أقل من الشخص المنتج ، وهنا يتساوى الموظفون عند خط الشروع ، غير أن عملهم بعد فترة من الزمن يميز أحدهم على الاخر · علما بأن العمل الجيد والانتاج الوفير هما اللذان يؤديان الى خلق الثروة وزيادة الرفاهية المادية والاجتماعيـة وتمكين الأفراد من تحقيق طموحاتهـم وأهدافهم القريبـة والبعيـدة ·

ولما كانت احدى سمات الاشتراكية التي يؤمن بها الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي أنها تحاول خلق الثروة لا توزيعها فقط ، فأن ذلك يتطلب جهودا استثنائية من قبل كافة أبناء المجتمع في مختلف القطاعات من أجل خلق القاعدة المادية للاشتراكية · وتحويل العمال الى موظفين يشجع الأفراد على مضاعفة الانتاج وزيادة الثروة القومية وتسريع عملية بناء القاعدة المادية للاشتراكية · وهذا الشيء يلزم في هذه المرحلة أن تميل ذراع الموازنة لصالح الواجبات على حساب بعض الحقوق · ولكن ذلك يعتبر أمرا مؤقتا حين لا تلزمه الضرورة · فكما يقول الرفيق القائد صدام حسين في كتابه « الثورة والتربية الوطنية » أن المجتمع والثورة والدولة قـد تمر بحالات تتطلب أن يميـل فيهـا ذراع الموازنة لصالح الواجبات على حساب بعض الحقوق(٢٥) · ولكن لا ينبغي اطلاقا أن تكون هناك ظاهرة في المجتمع يميل فيها ذراع الموازنة لصالح الحقوق على حساب الواجبات » ·

وتحويل العمال الى موظفين يمنح العمال بعض الحقوق التي تسهم في تعزيز قدراتهم وتنمية شخصياتهم عن طريق ارتباطها بحق المجتمع

ككل · وهذا ما يمنع الاستغلال في المجتمع ، أي أن كل صيغ التعبير عن حقوق الانسان تأخذ معناها من جوهر واحد أساسه أن يضمن المجتمع في حركته حقوق الفرد في أن يعيش حراً · ولكن ليس بمفرده وانما بالتفاعل مع حرية الآخرين وحقوقهم · لكن الحقوق التي يحصل عليها الأفراد تتوازن مع المرحلة التي يقطعها المجتمع على طريق تحقيق أهدافه · وهذا يعني أن الحقوق تمنح على أساس طبيعة المرحلة التي يمر بها المجتمع ، وهذه الحقوق بدورها هي التي تحدد الواجبات التي يؤديها الأفراد من أجل الحصول على حقوقهم ·

وترتبط الحقوق الممنوحة للعمال الذين تحولوا الى موظفين بنوع العمل المبذول وزيادة الانتاج وتحسين نوعيته ، أي ان الحق المضاف لن يمنح للمواطن دون أن يؤدي واجبا مضافا ومتطورا(٢٦) · فالزيادة في الأجور أو الرواتب لا يمكن أن تحدث دون زيادة الانتاجية كماً ونوعاً · وزيادة الانتاجية وتحسين نوعيتها لابد أن تشارك في تنمية المجتمع وتطوير قطاعاته وتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة ، أي مضاعفة السرعة التي يتم فيها صنع التجربة المتميزة للأمة العربية والانسانية جمعاء · ويعتبر الحافز المادي أحد الحوافز الأساسية وليس الحافز الوحيد لمضاعفة عمل العامل الذي تحول الى موظف بموجب بنود القرار الأخير · لانه اذا اعتبر كل شيء في منطق العمل الثوري فأن هذا يعني الرجوع الى الرأسمالية · ذلك ان النظام الرأسمالي قائم على مبدأين في مسألة زيادة الانتاجية وتطوير العمل · مبدأ الثواب عن طريق الحافز المادي ومبدأ العقاب عن طريق التسريح من العمل(٢٧) ·

والنظام الثوري في العراق المحصن بالمبادىء والقيم القومية والاشتراكية والانسانية يعتبر الانسان قيمة عليا في المجتمع · فهو وسيلة الثورة وغايتها(٢٨) · وعلى هذا الأساس فأن العامل المادي لا يمكن أن

يكون هو الحافز الأوحد برغم أهميته · وهنا لابد من التأكيد على العوامل التربوية .والاجتماعية واعتبار رضا المجتمع والحزب عن عمل الانسان وساما كبيرا ومحفزا مستمرا من أجل زيادة الانتاج خصوصا بعد تغيير لقب العامل الى موظف ·

٢ ـ دور تحويل العمال الى موظفين في ترسيخ مبادىء العدالة الاجتماعية :

أن قرار تحويل العمال الى موظفين يتجاوب كل التجاوب مع مبدأ العدالة الاجتماعية · ذلك ان القرار ساوى بين الأفراد كافة من حيث الحقوق والامتيازات المادية والمعنوية التي يتمتعون بها ومن حيث الأعباء والمسؤوليات التي يتحملونها · فالمكافأة المادية والمعنوية التي تمنح للفرد بغض النظر عن انحداره الاجتماعي ولقب عائلته وميوله واتجاهاته الفكرية ومعتقداته الدينية تعتمد على مقدار عطاءاته للمجتمع ، فمن ينتج اكثر يأخذ أكثر ومن ينتج أقل يأخذ أقل(٢٩) وتوفر مثل هذه المقاييس في المجتمع يجعل الأفراد يشعرون بعدالة واستقامة مجتمعهم ، وشعورهم هذا يحفزهم على البذل والعطاء والتفاني في سبيل خدمة المجتمع بحيث يستطيع الأخير تقديم المزيد من المكاسب والمنجزات للافراد والجماعات ·

وعدالة قرار تحويل العمال الى موظفين ينطلق من جانب آخر الا وهو منح مكاسب للعمال من خلال تغيير لقبهم الوظيفي من لقب عامل الى لقب موظف ، مع تمكين الموظف من الحفاظ على لقبه السابق والذي هو حق من حقوقه المشروعة والثابتة · فالثورة أعطت مكسبا للعمال بتغيير لقبهم الوظيفي ، ولم يكن المكسب الذي حصله العمال على حساب شريحة أو فئة أخرى تلك هي شريحة أو فئة الموظفين · لذا فأنتقال العمال الى موظفين هو انتقال رأسي ينجم عنه مساواة كافة العاملين في القطاع الاشتراكي في مجال الحقوق والواجبات · علما بأن قرار تحويل العمال الى موظفين هو

أكثر عدالة وقانونية من قرار تحويل الموظفين والمهنيين الى عمال في الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي . ففي الاتحاد السوفيتي يلقب المهني كالطبيب والمدرس والمهندس والموظف الأداري بلقب عامل ، ولقبه هذا لا يختلف من حيث النظرة والتقييم عن لقب العامل اليدوي(٣٠) . وهذه الحالة تعني خسارة المهني للقبه الوظيفي الذي حصل عليه بأتعابه وكفاحه وجهوده لأنه انخفض الى مرتبة العامل . لكن هذا الاجراء يتلاءم مع الاديولوجية الماركسية التي تعتقد بضرورة حكم المجتمع من قبل العمال وتكوين الدكتاتورية العمالية التي من خلالها يمكن تحقيق العدالة والديمقراطية والمساواة(٣١) . لكن هذا التوجه الأديولوجي في النظرية الماركسية يستند الى تعصب الفكر الماركسي للطبقة العاملة واهماله للفئات والطبقات الأخرى . بينما يتسم الفكر القومي الاشتراكي بالواقعية والعلمية والبراغماتيكية لانه لا ينحاز الى طبقة أو فئة اجتماعية بل ينحاز الى الجماهير العربية كلها بصورة عامة .

اذن تجاوب قرار تحويل العمال الى موظفين مع مبادىء العدالة والمساواة يمكن تفسيره بتحقيق نوع من التكافؤ الاجتماعي بين صنوف العمل العقلي واليدوي مع ترحيل العمال الى مرتبة الموظفين وأخيرا الابقاء على القاب الموظفين لأنها حق من حقوقهم . وفي هذا الصدد يقول الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) « كانت كل تدابير الثورة تأخذ مسار تصحيح الانحراف ، ليس عن طريق انتزاع حق او مكسب من الاخرين ، وانما بأعطاء المحرومين المكاسب التي يستحقونها والتي يمكن اعطاؤها بضوء ظروف الثورة وامكاناتها . وعليه وبدلا من أن ننتزع لقب وصفة وتسمية الموظف منحناها للعمال فأصبح الجميع موظفين ، وبذلك اصطفوا جميعا عند خط تقييم واحد في القيمة الاجتماعية وعند خط شروع واحد في تقييم العمل ومردوداته »(٣٢) .

٣ ـ دور تحويل العمال الى موظفين في زيادة الانتاج الاجماعي كماً ونوعاً :

أن المساواة في اللقب بين الأفراد العاملين في القطاع الاشتراكي يدفعهم الى العمل الصادق والنزيه والمثمر . فالأفراد في ظل الظروف الجديدة مهما يكن عملهم يدويا أو فكريا لابد أن ينتجوا أكثر ويعملوا بدقة واخلاص لأن أسباب التحيز ضدهم قد زالت والنظرة المتدنية التي يحملها بعض الناس تجاههم قد تغيرت . علما بأن زيادة الانتاج كماً ونوعاً لابد أن تترك مردوداتها الاقتصادية والاجتماعية عليهم وعلى مجتمعهم . فالانتاجية العالية تسبب زيادة رواتبهم وتحسين ظروفهم وتوفير السلع في الأسواق وشيوع الرفاهية المادية في ربوع المجتمع . واذا ما تحسنت الظروف الاقتصادية للافراد فأن معطياتهم الاجتماعية لابد أن تتطور ، وبالتالي يكون الجميع محترمين ومقيمين . وهنا تتولد النواة الأساسية للتماسك والوحدة ويتحرر المجتمع من أسباب الفرقة والانقسام .

ولكن كيف يؤثر قرار تحويل العمال الى موظفين في زيادة انتاجية الفرد ؟ الجواب على هذا السؤال هو أن اكتساب العامل للقب موظف سيدفعه الى العمل الجدي والمثمر لأنه يعمل تحت أجواء انسانية وديمقراطية تقيم عمله وتعتز به وتعتبره حجر الزاوية في بناء ونهوض وتقدم المجتمع . كما ان اكتساب العامل للقب موظف لابد أن يمنحه فرصة التعليم والتدريب والتأهيل التقني ، هذه الفرصة التي تساعده على استعمال المكننة الحديثة في عمليات الانتاج . علما بأن التعليم واكتساب المهارة والخبرة التقنية ، اضافة الى استعمال المكننة الحديثة في الانتاج تؤدي كلها الى زيادة الانتاج الاجتماعي كماً ونوعاً(٣٣) . واكتساب العامل للقب موظف سيحفزه على اكتساب الثقافة الذاتية أو الثقافة الجماهيرية والوطنية التي تزيد من درجة وعيه الاجتماعي والسياسي وتجعله انسانا وطنيا مدفوعاً الى خدمة وطنه وأمته خدمة صادقة وأمينة .

زد على ذلك أن تحويل العامل الى موظف لابد أن يطور الاحوال الاقتصادية للفرد من خلال زيادة مدخولاته الشهرية أو السنوية خصوصا بعد ارتفاع مستوى انتاجيته . وتطوير الاحوال الاقتصادية للفرد لابد أن ينعكس انعكاسا ايجابيا على ظروفه السكنية والبيئية والصحية ، وفي ذات الوقت يشجعه على تحقيق الموازنة بين أنشطة العمل وأنشطة الفراغ والترويح وممارسة الأنشطة الترويحية الايجابية التي تطور شخصيته وتفجر طاقاته المبدعة والخلاقة وتساعده على التكييف لمجتمعه المحلي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه(٣٤) . علما بأن تحسين الأوضاع المجتمعية للفرد واستقراره وتكييفه لبيئته والتحرر من مشكلاته الذاتية والموضوعية لابد أن تؤدي الى زيادة انتاجيته وبالتالي ارتفاع معدل دخله ورفاهيته المادية التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الرفاهية المادية للمجتمع الكبير . اذن زيادة الانتاج الاجتماعي للفرد بسبب تحويله من عامل الى موظف لا تعود مردوداتها للفرد فحسب بل للمجتمع الكبير أيضا .

٤ ـ دور تحويل العمال الى موظفين في تغيير معالم البناء الأجتماعي :

لابد أن يؤدي قرار تحويل العمال الى موظفين الى تغيير معالم البناء الاجتماعي . فالبناء الاجتماعي هو تكامل المؤسسات الوظيفية الست بطريقة تمكن المجتمع الكبير من تحقيق أهدافه(٣٥) . أن لكل مؤسسة وظيفية واجباتها وأغراضها وبرامجها وهيكل عملها وأدوارها التي تختنلف في المنزلة والجاه الاجتماعي . فهناك المؤسسات الاقتصادية والمؤسسات الدينية والمؤسسات الأسرية والمؤسسات التربوية والتعليمية والمؤسسات السياسية(٣٦) . والمؤسسة الواحدة تكون على شكل هرم أو مثلث تتوزع عليه الأدوار الوظيفية التي تتباين في طبيعة الأداء الوظيفي وفي الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها . لو أخذنا المؤسسة الاقتصادية كالمصنع مثلا

لشاهدنا بأنها تتكون من ثلاثة أنواع من الأدوار الوظيفية وهي الأدوار القيادية والأدوار الوسطية والأدوار القاعدية(٣٧) • وهناك علاقة تكاملية وعضوية بين هذه الأنماط من الأدوار الوظيفية •

قبل تحويل العمال الى موظفين كانت هناك صنوف مختلفة من المراكز الوظيفية التي توجد بينها الحواجز النفسية والاجتماعية • وهذه الحواجز محكومة بالتعليمات والنظم البيروقراطية للمؤسسة الانتاجية • ومثل هذه الحواجز النفسية والاجتماعية تسيء الى العلاقات الأنسانية بين الادارة والعمال بحيث لا تفهم الأدارة العمال ولا يفهم العمال الادارة • اضافة الى أن وجود مثل هذه الحواجز يضعف صيغ التعاون بين الادارة والعمال بحيث تتعثر العملية الانتاجية ويخفق المصنع في تحقيق أهدافه الاقتصادية والتنموية • ان المؤسسات الانتاجية قبل قرار تحويل العمال الى موظفين كانت تتكون من سلسلة من المراكز الوظيفية الرأسية ، فهناك المدير العام ومدير الشعبة والمهندس والمشرف على العمل والعامل الأقدم وأخيرا العامل الذي يعمل على الماكنة في ورشة العمل(٣٨) • ولكن بعد تحويل العمال الى موظفين تغيرت صورة البناء الاجتماعي للمصنع حيث قصرت سلسلة المراكز الوظيفية الرأسية وانحصرت بمراكز معينة كمركز المدير العام ومركز مدير الشعبة ومركز الموظف الذي قد يكون مشرفا على الماكنة أو مشرفا على عملية الانتاج أو خبيرا في صيانة الماكنة واعدادها للعمل الانتاجي المستمر •

وعندما قصرت سلسلة المراكز الوظيفية الرأسية في المؤسسات الانتاجية نتيجة لقرار تحويل العمال الى موظفين فأن سرعة الانتاج تكون أعلى مما كانت عليه سابقا بسبب تجاوز الروتين والبيروقراطية والتحرر من المشكلات الناجمة عن كثرة المراكز الوظيفية وما تنطوي عليه من تقاطع وتناقض • زد على ذلك أن الاستغناء عن بعض المراكز الرأسية بعد نقلة

العمال الى موظفين ومنحهم حق المشاركة في ادارة المشروع الصناعي واتخاذ القرارات المتعلقة بسياسته الانتاجية والتنموية سيجعل المصنع منظمة اجتماعية موحدة وكفوءة في اداء عملها . علما بأن وحدة وكفاءة المؤسسة الانتاجية تؤثران في انتاجيتها تأثيرا ايجابيا يمكنها من بلوغ أهدافها القريبة والبعيدة -

اذن نقلة العمال الى موظفين تغير صورة الهرم الوظيفي للبناء المؤسسي للمنظمة الانتاجية بصورة خاصة ، وتغير صورة الهرم الطبقي للبناء الاجتماعي بصورة عامة . فتحويل العمال الى موظفين يؤدي الى انصهار قاعدة الهرم الوظيفي للبناء المؤسسي وذلك من خلال نقلة أعضاء القاعدة الى السفوح ونقلة بعض مراكز السفوح الى قمة الهرم الوظيفي . وما ينطبق على المؤسسة الانتاجية التي تعتبر جزءاً من المؤسسة الاقتصادية ينطبق على المؤسسات الوظيفية الأخرى طالما أن الأخيرة تتكون من مراكز قيادية ووسطية وقاعدية . علما بأن تغيير صورة البناء الاجتماعي نتيجة نقلة الأفراد ينسجم مع المبادىء الديمقراطية والانسانية التي يقود انتشارها الى الرضا والاستقرار والطمأنينة .

٥ - دور تحويل العمال الى موظفين في تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي :

أن تحويل العمال الى موظفين لا يؤدي الى نشر مبادىء المساواة والعدالة الاجتماعية في ربوع المجتمع فحسب بل يؤدي أيضا تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي . فتحويل العمال الى موظفين يشجع العمال المرحلين الى موظفين على زيادة الانتاج كماً ونوعاً ، وزيادة الانتاج توفر السلع في الأسواق وتمكن الأفراد من شرائها والحصول على أكبر كمية من الأشباع منها . وزيادة الانتاج تقود الى زيادة الاجور والارباح وشيوع

الرفاهية المادية في ربوع المجتمع والقضاء على الفقر والحرمان المادي • كما أن تحـويل العمال الى موظفـين يقلل الفوارق الاجتماعية الطبقية ويزيل الاستغلال والظلم والاحتكار الذي تعرضت له الطبقـة العاملة في العهـود السابقة ويخلق نمطا جديدا من المرونة الاجتماعية بين الفئات والجماعات هـذه المرونة التي تسرع عمليـة الانتقال الاجتماعي التي تنسجم كـل الانسجام مع ظاهرة التحول الاشتراكي •

زد على ذلك أن تغيير لقب العامل الى موظف لابد أن يمنح العامل درجة من القناعة والرضا والثقة العالية بالنفس التي تمكنه من تقييم ذاته على نحو ايجابي ومتميز • ذلك انه يشعر بأنه يقف على صعيد واحد مع أي مهني في الدولة • كما ان تقييم الآخرين له بعد تغيير لقبه يكون تقييما ايجابيا ينتج في رفع سمعته وقيمتـه في المجتمع بحيث يستطيع تحقيق طموحاته وأهدافه الذاتية والاجتماعية بسهولة • واذا ما نجح العامل الذي تغير لقبه الى موظف في تحقيق طموحاته وأهدافه فأنه يتكيف للمحيط الاجتماعي تكيفا ايجابيا وبالتالي يكون عنصرا فاعلا في الدولة والمجتمع •

وتحويل العمال الى موظفين لابد أن يغير المواقف السلبية التي يحملها بعض الأفراد ازاء الاعمال اليدوية أو الأعمال الحرة • فعندما يرى هؤلاء الأفراد بأن شاغلي الاعمال اليدوية أو الانتاجية هم موظفون لا يختلفون عن موظفي الدولة الاخرين فأنهم يبدأون باحترامهم وتقديرهم ووضعهم في المكان المناسب • ومثل هذا الاحترام والتقدير سيدفع العمال المرحلين الى موظفين الى اكتساب المزيد من الخبرات والمهارات التكنولوجية وتعلم الكثير من الفنون الانتاجية التي تعود مردوداتها الايجابية الى المؤسسة الانتاجية والمجتمع على حـد سـواء • أن تدريب الموظف الحرفي على فنـون الانتاج الحديث واتقانه لمهـام عمله ومواصلته لعملية التزود بالمعـرفة والخبرة والاختصاص لابد أن تحوله من منتج غير ماهـر أو شبه ماهر الى منتج

ماهر . وهنا تقلص الفوارق بين الافراد ، الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمهنية ، وتقليصها يسبهم في تسريع عملية البناء والنمو الاشتراكي(٣٩) .

وأخيرا ينسجم قانون تحويل العمال الى موظفين كل الانسجام مع القيم والممارسات الاشتراكية التي يعتمدها حزب البعث العربي الاشتراكي في عملية التحويل الاشتراكي وتقليل الفوارق الموضوعية والذاتية بين الأفراد والجماعات . فالاشتراكية بنظر الرئيس القائد صدام حسين هي وسيلة لتقدم وتطور الحياة يستطيع الانسان من خلالها بلوغ السعادة والازدهار والرفاهية ، والاشتراكية ليست قيدا وانما وسيلة حياة وفهم للحياة على نحو جديد مناقض لحالة الاستغلال والقهر والظلم(٤٠) . فقانون تحويل العمال الى موظفين وان كان يهدف الى تحقيق المساواة بين العمال والموظفين بحكم وضعهم عند خط شروع واحد فأنه في ذات الوقت يميز بين الموظف المنتج والموظف غير المنتج ، ويميز بين الموظف المبدع والموظف غير المبدع ، ويميز بين الموظف الذكي والموظف محدود الذكاء . لذا فالقانون ينطلق من الاشتراكية التي تضمن حقوق الجميع ، وفي ذات الوقت تميز بين شخص وآخر بناء على مقدار العطاءات والمنجزات التي يقدمها كل منهما للمجتمع الكبير . اذن قانون تحويل العمال الى موظفين هو قانون يشجع المبدعين والمنتجين والمتميزين ويطور المجتمع ويمكنه من بلوغ أهدافه القريبة والبعيدة .

هـ ـ الخاتمـــة :

تتناول دراسة المضامين والابعاد الاجتماعية لتحويل العمال الى موظفين ثلاثة محاور أساسية هي التحولات الاجتماعية والحضارية للعمال في ظل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز القومية الاشتراكية ، والأساس الفكري والعملي لتحويل العمال الى موظفين مع اشارة خاصة لنظرية العمل البعثية ، وأخيرا الدلالات الاجتماعية والانسانية لتحويل العمال الى موظفين • وهذه الدلالات تتجسد في تساوي الواجبات والحقوق لكافة منتسبي الدولة ، ونشر وترسيخ مبادىء العدالة الاجتماعية ، وزيادة الانتاج الاجتماعي كماً ونوعاً ، وتغيير معالم البناء الاجتماعي المؤسسي ، وأخيرا تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي •

ومن الجدير بالذكر أن التطبيق الدقيق لقانون تحويل العمال الى موظفين سيحدث ثورة شاخصة في مؤسسات وبنى المجتمع العراقي التحتية منها والفوقية ، ويخفف الفوارق الاجتماعية بين الافراد والجماعات ، ويسرع عملية التنمية والبناء الاشتراكي في ضوء النظرية الاشتراكية للحزب القائد بما فيها نظرية العمل البعثية ، ويدعم دور الفرد في المجتمع بأعتباره وسيلة الثورة وغايتها • ناهيك عن أهمية القانون في الغاء الأفكار والمواقف والممارسات المتخلفة التي يحملها البعض ضد العمال وطبقتهم الاجتماعية •

الا أن تنفيذ القانون على نحو جدي وفاعل يتطلب شرح مضامينه وأبعاده للمواطنين من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية ، وتوضيح فوائده المادية والحضارية ، وربطه بظروف ومعطيات الفئة الاجتماعية التي يخصها القانون ، وأخيرا متابعة وتقويم القانون لكي يسهم في أحداث التغيير الثوري المتوقع ، التغيير الذي ينقل المجتمع العراقي برمته من مرحلة حضارية معينة الى مرحلة أخرى تتسم بالموضوعية والعقلانية والتشعب والتكامل والقدرة على الفاعلية والداينميكية •

الهوامش والمصادر :

(١) الداهري ، عبدالوهاب مطر (الدكتور) . اقتصاد الحرب والمهمات القومية ، مجلة البحوث الاقتصادية والادارية العدد الاول ، المجلد التاسع ، كانون ثادني ١٩٨١ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) الاستاذ ميشيل عفلق (القائد المؤسس) . في سبيل البعث ، بغداد دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٣) الرئيس القائد صدام حسين . لماذا حولنا العمال الى موظفين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٧ .

(٤) الأستاذ ميشيل عفلق (القائد المؤسس) في سبيل البعث ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٥) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . الثورة والقادسية الجديدة ، مطبوعات مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٤٢ .

(٦) نفس المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٧) فرح ، الياس (الدكتور) . تطور الأديولوجية العربية الثورية ، الفكر الاشتراكي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٢ .

(٨) الثقافة العمالية ودورها في التوعية الوطنية والقومية ، مكتب العمل للدراسات والبحوث ، بغداد ، ١٩٧٩ .

(٩) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . التحول الأجتماعي في المؤسسات الثقافية والتربوية في العراق ، جريدة الجمهورية البغدادية ، تاريخ ٢٦/٩/١٩٧٨ .

(١٠) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . الثورة والتنمية والتحديث . بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، المجلد ٢٣ ، العدد (٢) كانون أول ١٩٨٢ .

(١١) الطبقة والانتماء الطبقي عند البعث ، الثورة العربية ، مكتب الثقافة والأعلام ، العدد السابع ، السنة الحادية عشرة ، تمـوز ١٩٧٩ ، ص ٥١ ٠

(١٢) نفس المصدر السابق ، ص ٥٣ ٠

(١٣) الجوهري ، محمد (الدكتور) ٠ علم الاجتماع الصناعي ، القاهرة دار الحمامي للطباعة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣١ ٠

(١٤) الرئيس القائد صدام حسين ٠ لمـاذا حولنا العمال الى موظفين ، ص ١٦ ٠

(١٥) فرح ، الياس (الدكتور) ٠ الأبعاد السياسية للحملة الوطنيـة الشاملة لمحو الأمية في العراق ، مؤتمر بغداد لمحو الامية ، ١٩٧٦ ، ص ١٠١٨ ٠

(١٦) سليمان ، قحطان أحمد ٠ نظرية العمل في فكر الرئيس القـائد صدام حسين ، الموسوعة الصغيرة ، عدد ٢٣٧ ، ١٩٨٦ ، ص ٥ ٠

(١٧) الكبيسي ، طراد ٠ التجربة الخلاقة : قراءة جديدة في فكر الرئيس صدام حسين ، منشورات وزارة الاعلام ، ١٩٨٤ ، ص ٧٦ ٠

(١٨) الرئيس القائد صدام حسين ٠ الثورة والتربية الوطنية ، بغداد ، مطابع الحرية ، ١٩٧٧ ، ص ١٣ ٠

(١٩) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) ٠ دور الواجبات والحقـوق الاجتماعية في نظـرية العمـل البعثية ، دراسة منشورة في جريدة الجمهورية البغدادية ، الصفحة الثالثة بتاريخ ١٩٨٤/٦/٢٣ ٠

(٢٠) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) ٠ علم الاجتماع الصناعي ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٧٠ ـ ٧٢ ٠

(٢١) الجوهري ، محمد (الدكتور) ٠ علم الاجتماع الصتاعي ، ص١٩٠ ٠

(٢٢) نفس المصدر السابق ، ص١٩٢ ٠

(٢٣) الرئيس القائد صدام حسين · لماذا حولنا العمال الى موظفين ؟ ، ص ١٨ ·

(٢٤) حسن ، كامل سرمك · بعض المشكلات الاجتماعية والحضارية التي يعاني منها الشباب وطرق علاجها · رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٢ ، ص ٨٦ ·

(٢٥) الرئيس القائد صدام حسين · الثورة والتربية الوطنية ، ص١٣ ·

(٢٦) الرئيس القائد صدام حسين · لماذا حولنا العمال الى موظفين ، ص ١٧ ـ ١٨ ·

(٢٧) البروفسور دينكن ميشيل · معجم علم الاجتماع ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٦ ، الطبعة الثانية ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ·

(٢٨) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٧١ ·

(٢٩) الرئيس القائد صدام حسين · الثورة والنظرة الجديدة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٤٧ ·

(٣٠) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) · البناء الاجتماعي والطبقية ، بغداد ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨٥ ، ص ٦٧ ·

(٣١) نفس المصدر السابق ، ص ٧٦ ·

(٣٢) الرئيس القائد صدام حسين · لماذا حولنا العمال الى موظفين ، ص١٧ ·

(٣٣) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) · أثر محو الأمية الحضارية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٣٤ ·

(٣٤) خطاب ، عطيات محمد (الدكتورة) · أوقات الفراغ والترويح ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٣٨ ·

(٣٥) بدر ، غسان زكي (الدكتور) • النظام الاجتماعي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥ •
(٣٦) نفس المصدر السابق ، ص ٢٣ •
(٣٧) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) البناء الاجتماعي والطبقية ، ص ١٩ •
(٣٨) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) • علم الاجتماع الصناعي ، ص ٧٠ •
(٣٩) كوندراتيف • ام• مشكلات التصنيع في البلدان النامية ، دار التقدم موسكو ، ١٩٧٤ ، ص ٤٤١ •
(٤٠) الرئيس القائد صدام حسين • طريقنا خاص في بناء الاشتراكية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ •

الانطلاق والتحرر من قيد البيت العمودي

الدكتور حبيب حسين الحسني

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

بدأ بعض الشعراء المعاصرين ، منـذ أوائل هذا القـرن بالتحرر والانطلاق من قيد البيت العمودي ، حيث حبذوا الشعر المقطوعي أو تغيير الوزن والقافية · ويتمثل هذا التحرر عند شعراء المهجر مثل ايليا ابوماضي والياس فرحات وجورج صيدح وشفيق معلوف ونسيب عريضة وغيرهم من هؤلاء الشعراء · وتأثر بهؤلاء الشـعراء بعض شعراء البلاد العربيـة الآخرين ، فسلكوا مسلكهم ، واتخذوا طريقتهم في نظم قصائدهم العمودية، بأن جعلوا قصائدهم عبارة عن مقاطع ذات وزن واحد مع تغيير القوافي لكل مقطع · وشمل هذا التحرر في الشعر المعاصر عدا القافية المختلفة والمتعددة، عدد التفعيلات التي يحويها الشطر الشعري العمودي ، اذ استطاع بعض الشعراء أن يقلل من تفعيلات الشطر أو يزيد عليها قليلا أو يأتي بعدد من التفعيلات لم نجدها في بحور الخليل بن أحمد · وكذلك شمل هذا التغيير تطورا في استخدام بعض الأعاريض والأضرب لقسم من قصائد الشعراء · واتخذ هذا التحرر أشكالا متنوعة مختلفة سنعرض لبعضها فيما يأتي من البحور التي نظموا فيها قصائدهم :

١ ـ البحر الطويل : للشاعر حسن عزة قصيدة عنوانها (خذوا عني الدنيا)(١) تحوي اثني عشر بيتا من هذا البحر ، وقد جعل لكل ثلاثة

(١) دموع وأشواق : ٧٣ ·

أبيات قافية موحــدة واستخدم للأبيــات الثلاثة الأولى الضرب التام (مفاعيلن) ، بينما استخدم لبقية أبيات القصيدة الأخرى الضرب المقبوض (مفاعلن) . والخــروج من ضــرب الى ضرب يسمى عنــد العروضيين (بالتحريد) وهو عيب من عيوب الشعر . قال حسن :

ألا أيها العذال ان مدامعي
تنبئكم ألا سبيل الى الرشد

وآهاتي الحرى تخبر أنني
نبذت النهى للشوق والصبر للوجد

فلا ترهقوني بالعتــاب كفاكمو
دعوني الى الأشواق أحملها وحدي
.... مفاعيلن

خذوا عني الدنيا خــذوا كل طارف
خــذوا عني الماضي الرقيق المطــالع
.... مفاعلن

دعوني اليه يلهب الشــوق خافقي
وأحــرق قربانا لعينيــه فاديا
.... مفاعلن

ألا فخذوا مني الأمان لقلبــه
خــذوا لتفاويه جميع خواطري(٢)
مفاعلن

---

(٢) القصيدة ذات أربعة مقاطع وقد ذكرنا لكل مقطع بيتا واحداً عدا المقطع الأول الذي ذكرناه .

٢ ـ البحر البسيط : نظم الأستاذ المرحوم ابراهيم الوائلي قصيدة في هذا البحر ، وقد جعلها ذات ستة مقاطع من الشطور ، اذ بدأها ببيت واحد من الشعر العمودي هو :

ردي الي ترانيمي وأقداحي
فقد ظمئت الى الأنغام والراح

وجعل قوافي المقاطع موحدة ، ما عدا قافية آخر شطرين من كل مقطع ، حيث جعلهـا كقافيـة البيت العمودي . واستخدم لها الضربين (فعلن وفعلن) المخبون والمقطوع ، مع تكرار صدر البيت العمودي في كل مقطع ، فقـال(٣) :

هجرتني وزويت الكأس والنغما
فعـاد قلبي كالقيثار منحطمـا
ماذا عليك ـ اذا ما الدهر قد أثما ـ
لو تطفئين من الأنفاس ما اضطرما
فعلن

يا جنتي وخيـالاتي وأفـراحي
ردي الي ترانيمـي وأقـداحي
فعلن

ردي الي ربيعـا كان مزدانا
وجنـة عبقت بالسـحر ألوانا
أيام كنت بعيـد الهم جذلانا

(٣) ديوان الوائلي ـ القسم الثاني ـ قصيدة أحلام : ٢١ ـ ٢٣ نظمت سنة ١٩٤٨ القاهرة .

كالطفل يبسم للأطياف وسنانا
وأنت لحن أماسي واصباحي
ردي الي ترانيمي وأقداحي
فعلن

... الخ(٤)

٣ ـ البحر الكامل : نظم الشعراء المعاصرون بعض قصائدهم في هذا البحر ، ولم يتقيدوا بقافية موحدة لقصائدهم • واستخدم بعضهم مع هذا البحر مجزوءه المرفل وأشطراً تحوي تفعيلتين • قال الشاعر(٥) :

في البرعم الغافي وفي الهدب المبلل بالدموع
في الصمت في الأحلام في الشفق المخضب في الربيع
متفاعلاتن

روحي تفر اليك مني
ثملى يجنحها التمني
واذا أفقت وأنت عني
في معزل وأنا بسجني
رجعت الي تقول : غن

(٤) تنظر قصيدة أنور خليل في ديوانه (من أصداء المعترك ـ يا بؤس يا ظلم ... ص : ١٨ ـ ١٩ سنة ١٩٤٦م ، فقد استخدم لها شطوراً من هذا البحر واستخدم لها قوافي مختلفة مع الضربين (فعلن) و (فعلن) • وتنظر قصيدة الشاعر موسى النقدي (عوالق) فقد جعلها ذات ثلاثة مقاطع من الشطور واستخدم لها الضربين (فعلن وفعلن) مع قافية موحدة لكل مقطع ـ ديوان أجنحة النور ص : ٢٥ ـ ٢٦ •

(٥) ملائكة وشياطين قصيدة (أغنية ص : ٦٨ ـ ٦٩ القصيدة مقطعان متشابهان •

متفاعلاتن

ما زلت نشوان الخواطر تائهاً
في الوهم أضرب كالفراش الحائر

ماضي يجذبني اليـك بلهفـة
ويكاد في عينيك يشعل حاضري

ويهز في أعماق روحي صـورة
في سر أحلامي وفرحة خاطـري

لولا سـناها ما عـرفت حقيقتي
ونشيد انشادي وكنه مشاعري
متفاعلن

لقد تحرر بعض الشعراء من عدد التفعيلات في بعض قصائدهم ، ولم يلتزموا العدد المعين من تفاعيل البحور التي وضعها الخليل بن أحمد ، حيث وجدها في شعر العرب . وهذه التفاعيل ثابتة باقية حتى يومنا هذا في البحور الشعرية المختلفة ، ولقد أشارت نازك الملائكة الى ذلك فقالت : (وكل ما نصنع نحن الآن ، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها)(٦) . وعدت نازك هذا اسلوبا جديدا يطلق الشاعر من قيده فقالت : (انني أحسست أن هذا الاسلوب الجديد في ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيـد)(٧) وادعت أنه ليس خروجا على طريقـة الخليل فقالت : (وينبغي ألا ننسى أن هذا الاسلوب الجديد ليس خروجا على طريقة الخليل ، وانما هو تعديل لها يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال

(٦) شظايا ورماد ـ المقدمة ص : ١١ .
(٧) شظايا ورماد ـ المقدمة ص : ٨ .

العصور التي تفصلنا عن الخليل)(٨) ٠

قالت نازك في قصيدتها (لحن النسيان)(٩) وقد استخدمت لشطورها هذه التفعيلات :

لم يا حياه	١ متفاعلان
تذوي عذوبتك الطرية في الشفاه	٣ متفاعلان
لم وارتطام الكأس بالفم لم يزل	٣ متفاعلن
في السمع همس من صداه ؟	٢ مستفعلان

....

ولم الملل	١ متفاعلن
يبقى يعشش في الكؤوس مع الأمل	٣ متفاعلن
ويعيش حتى في مرور يدي حلم	٣ متفاعلن
فوق المباسم والمقل	٢ متفاعلن

....

٤ ـ البحر الهزج : ومن القصائد التي جعل الشعراء لصدورها قافية موحدة ولأعجازها قافية موحدة قول الأستاذ المرحوم ابراهيم الوائلي في قصيدته (يا قلب)(١٠) :

نسيم الصبح قد رقا

يحيي الزنبق الباسم

---

(٨) شظايا ورماد ـ المقدمة ص : ١٠ ٠

(٩) قرارة الموجة ص : ١٣٢ ـ ١٣٦ ـ القصيدة ٩ مقاطع مختلفة القوافي ومسكنة ٠ استخدمت الشاعرة لها الضربين (متفاعلن ومتفاعلان) ٠ تنظر قصيدة (نداء ص : ٣٦ ـ ٣٧ في ديوان أفياء) اذ استخدم لها الشاعر تفعيلة واحدة وتفعيلتين وثلاث تفعيلات واستخدم لها الأضرب (متفاعلن ومتفاعلان ومتفاعلاتن) ٠

(١٠) ديوان الوائلي : ١/١٠٠ نظمها في سنة ١٩٤١م بغداد ٠

فيا قلبي كم تشقى

بأفق موحش قاتم

....

أفق يا قلب فالفجر

تجلى من ثنياته

وقد هام به الزهر

يحييه بباقاته

وهذا الحسن والعطر

فنون من تحياته

وها قد صفق النهر

يحييه بموجاته

أفق يا قلب من نومك

مع الصادح اذ هبا

وخل الناس في لومك

وخل اللوم والعتبا

فما تحصد من يومك

سوى الشوك وما العقبى

وماذا نلت من قومك

وقد ضلوا بك الدربا(١١)

وللشاعر عدنان الراوي قصيدة (العبد السيد)(١٢) التي نظمها في هذا البحر وقد بدأها بثلاثة أشطر يحوي الشطر الأول والثاني تفعيلة

---

(١١) تنظر قصيدته (في العيش لنا حق في ١/١٨٥ ـ ١٨٦) فهي من الهزج وتحوي ٥ مقاطع اذ بدأها ببيتين لهما قافية موحدة ، وجعل كل مقطع ذا قافية موحدة ٠

(١٢) من العراق ص : ٧٧ ـ ٧٨ ٠

واحدة ويحوي الشطر الثالث تفعيلتين · وجعل الشاعر الأشطر الخمسة بعدها ذات قافية موحدة · وهي شبيهة بالمخمس · قال الشاعر :

أنا العبد ١ مفاعيلن
ولي قيد ١ مفاعيلن
فأين العز والمجد ٢ مفاعيلن

وقــومي من همــو قــومي
أبــاة الــذل والضـــيم
لقـــد كــانوا وبالرغـــم
أصــاخوا اليـــوم للظلـــم

وذاقوا لذة السلم ٢ مفاعيلن
فأين العز والمجد ٢ مفاعيلن
ولي قيـد
أنا العبـد

لنـــا أهـــل وأســـماء
وألقـــــاب وعليــــاء
لنـــــا ديـــــن وآراء
وفي الدنيـــــــا أذلاء
فقولوا ما هو الداء ··· الخ(١٣)

٥ ــ مجزوء الرمل : نظم الشعراء قصائد في مجزوء الرمل · وهذه قصيدة استخدم لها الشاعر الضرب (فاعلان) وهو استخدام جديد في هذا الباب · وكذلك استخدم لها أبياتا وشطورا ، واستخدم للشطور

---

(١٣) هذه القصيدة ذات ٤ مقاطع متشابهة تماما · تنظر قصيدته (يأس ص : ٨١ ــ ٨٢ في الديوان نفسه) فهي مثلها تماما وذات ٣ مقاطع ·

الأضرب (فاعلاتن وفاعلان وفاعلن) . قال الشاعر في قصيدته (من رأى الشاعر تاب)(١٤) :

كـذب الواشـي وخـاب
مـن رأى الشـاعر تاب
عمـره فجـر مـن الحـب
وليـل مـن شـراب
فاعلان

كيف أصحو ؟ خمـرتي من شفتيك
والمنى تضـحك لي في ناظـريك
وأناشـيد الهـوى في أذنيـك
همسـات القطـر بل رنات أيـك
٣ فاعلاتن

غنني يا بلبلي
واسقني يا جدولي
الليالي الحمر لي
٢ فاعلن

يا سليمى — ١ فاعلاتن
كذب الواشي وتاب — ٢ فاعلان
رددي ذكرى لقانا الأول
وتساقينا كؤوس الغزل
وافتراش العشب عند الجدول
أنا لا أنسى وقد غنيت لي

---

(١٤) الهوى والشباب ص : ١٤٧ ـ ١٤٩ .

٣ فاعلن

عندما الليل احتوانا

كيف سالت دمعتانا

وتلاقت شفتانا

٢ فاعلاتن

يا سليمى ١ فاعلاتن

... الخ(١٥)

٦ ـ البحر السريع : نظمت نازك الملائكة قصيدة في هذا البحر وقد تحررت من قيد العروض والضرب على السواء . وكذلك من قيد القافية . فاستخدمت للعروض (فاعلن وفاعلان ومفعول وفعلن) وللضرب (فاعلن وفاعلان ومفعول وفعلن) . قالت نازك في قصيدتها (رماد)(١٦) :

أهكذا داست علينا الحياه

لم تبـــق منـــا صـــدى

فاعلن

لم تبق الا الندم الأسودا

وصـــوت واخيبتـــاه

فاعلان

....

ونحن ما زلنا نجر الحنين

والأمـــس والذكـــريات

---

(١٥) القصيدة ٤ مقاطع .

(١٦) شظايا ورماد ص : ١٥٦ ـ ١٦٠ ـ القصيدة ٢٣ مقطعا ، وكل مقطع يحوي بيتين . جعلت الشاعرة الصدر ذا ثلاث تفعيلات والعجز ذا تفعيلتين .

أقيـــادنا مثقلـــة بالحيـــاة

ونحـــــن في الميتـــــين

٢ فاعلان

....

وبعـث ماض لون أركـانه

مـــن مــزق الأحـــلام

٢ مفعول

أمسى رهيباً تنكـر الأيام

مفعول

عـــاري جـــدرانـــه

٢ فاعلن

والريح لم تبق على بابه

حـــروف أســـمائنا

لم تبق حتى وقع أقدامنا

في جـــــو محـــرابه

٢ فاعلن

اشباحنا حافرة في ارتعـاد

مقبـــــرة الذكـــــريات

لا صورة تنبض فيها حياة

٢ فاعلان

لا شـيء غـير الرمـــاد

٢ فاعلان

تنصت في رعب وفي اعياء

عنـــد السـيـاج الحــزين

٢ فاعلان

فلا تعـي الا بقــايا أنين

ترســـــله الأقبـــــاء

٢ مفعول

... الخ(١٧) .

٧ ـ البحر المنسرح : نظم الشعراء في هذا البحر قصائد قليلة . وهـذه القصـائد اختلط قسم منهـا بالسريع والرجز . والقصائد التي وجدناها من هذا البحر هي منهوك المنسرح ذو التفعيلتين . قال الشاعر أنور العطار في قصيدته (المدينة المسحورة)(١٨) :

زنبقـــــة الصـــحراء

يـــا فتنـــة الوجـــود

نشـــرت في الفضــــاء

روائـــــح الخلـــــود

٢ فاعلان

ســـربت فـــي الأفكـــار

روحـــا يفيضـــ عطفـــا

---

(١٧) تنظر قصيدة (شعب سجين ص : ٢٧ ـ ٢٩ في ديوان من أصداء المعترك) فهي تشبه قصيدة نازك ، الا أنها ذات أربعة أبيات مع شطر منفرد . استخدم لها الشاعر العروض (فاعلان (عدا مقطع واحد منها استخدم له العروض (فاعلن) . أما الأعجاز ففيها تفعيلتان اثنتان فقط وضربهما (فعلن) والقصيدة هذه ستة مقاطع .

(١٨) ظلال الأيام ص : ٦٤ ـ ٦٥ .

وغبـت فـي الأنظـار
طيفـا يـذوب لطفـا
فعولن

يـا متحـف الدهـور
ومعـرض الألبـاب
خبـأت للعصـور
سـلافة الأحقـاب
مفعولن

وقاسـيون لاحـا
وأنـت بـين سـوحه
مترعـة مراحـا
تلعـب فـي سـفوحه
فعولن

وهاهنا الآباد (مفعول) لم يطوها الفناء
تكلم الجماد واختلج العفاء
فعول

دمشـق أنـت مـأوى
للحسـن والفنـون
عشـت الدهـور نجـوى فعولن
للشـاعر المفتـون
مفعول

... الخ(١٩) .

---

(١٩) القصيدة تحوي ٢٩ مقطعا وكل مقطع بيتان .

استخدم الشاعر هنا للأبيات الأعاريض (مفعولن ومفعول وفعولن وفعول) والأضرب (مفعولن وفعولن ومفعول وفعول) • وجعل لكل صدرين قافية موحدة ولكل عجزين قافية موحدة •

٨ ـ البحر الخفيف : نظم الشعراء أيضا في هذا البحر قصائد ذات أبيات وشطور ، واستخدموا قوافي مختلفة متعددة لقصائدهم • قال الشاعر في قصيدته (ذكرى الشويحات)(٢٠) :

صبح المزن بالشويحات دارا
وسقى القطر غيدها والعذارى
وكساها من النعيم ازدهارا

وحباها من الربيع اخضرارا
وسلاما ونضرة ونعيما

قد قضينا من الدهر حولا
كان من سائر الليالي أحلى

فسرقنا فيه اللذاذات عجلى

ورشفنا من المراشف طلا

وعصرنا من الثغور ألكروما

كم نعمنا بفاتر الطرف خاذل

كاد من وطأة البرى والخلاخل

صاح يدمى وفي اللمى خمر بابل

---

(٢٠) دموع وأشواق ص : ٧٩ ـ ٨٠ •

عتقتها يد القدير العادل

للذي ضيع الحياة هموما

... الخ(٢١) .

٩ ـ البحر المتقارب : نظم الشعراء في هذا البحر قصائد كثيرة ، ولم يلتزموا بقافية موحدة لكل قصيدة . وكذلك لم يلتزموا بعروض وضرب الأبيات والشطور ، ولم يلتزموا بعدد التفعيلات في الأبيات والشطور . وهذه قصيدة (خيوط الذهب)(٢٢) التي جعل الشاعر للصدر قافية موحدة لأربعة أشطر وللعجز قافية موحدة لكل شطرين فقال :

دعي شعرك الحلو مسترسلا

كشلال تبر على كتفيك

كبركان نار جرى مثقلا

وأبطأ في منحنى ساعديك

فعولن

كريف بلادي ما أجملا

حقول بلادي وقت المساء

تموج السنابل فيها على فعل

رفيف النسام ودفق الضياء

فعول

---

(٢١) القصيدة ذات ٥ مقاطع متشابهة . تنظر قصيدة (العميان ص : ٣١ ـ ٣٢ في ديوان الجداول) فهي ثمانية مقاطع وكل مقطع يحوي ٣ أشطر وبيتا من الشعر كاملا من البحر الخفيف . وجعل الشاعر لكل ٣ أشطر قافية موحدة . أما البيت الشعري في كل مقطع فله قافية موحدة أيضا .

(٢٢) قبل لا تنتهي ص : ٢١ ـ ٢٣ القصيدة تحوي ٣ مقاطع .

دعي شعرك الحلو مستسلما

الى كتفي باقة من حرير

أعي فيه هدأة صحو السما

وأبصر وجـه الربيع النضير

وأسرح في غـابة مغـرما

بنفح الظلال وهمس الورود

وأرجع ظمـآن مـا للظمـا فعل

أليس له في ضلوعي حدود

فعول

... الخ(٢٣) .

وهذه قصيدة غريبة نادرة من هذا البحر . استخدم الشاعر لكل بيت منهـا (١٠) تفعيلات ، وهو شاذ ، ثم أورد بعد هذه الأبيات بيتين يحويان (٤) تفعيلات ثم بيتا واحدا يحوي (٣) تفعيلات ، ثم بيتا آخـر يحوي تفعيلتين فقال(٢٤) :

تحيرت أختـاه لا الأنجم الساطعات

ولا الخابيات يخبرنني عن غـدي

أرى مقلتين بعيداً وراء الضباب

تريقان دمعـاً على الأفق المرعـد

---

(٢٣) تنظر قصيدته (نزهتي في الشتاء ص : ٤٩ ـ ٥٠) فهي خمس مقاطع ذات بيتين في كل مقطع . وهي تشبه هذه القصيدة ، الا أن الشاعر جعل لكل صدرين قافية موحدة ولكل عجزين قافية موحدة في كل المقاطع مع اختلاف القوافي في المقاطع . واستخدم الضربين (فعول وفعل) .

(٢٤) طبول الرعب ـ قصيدة (حشرجات ص : ٥٠ ـ ٥١) .

وقلبا طريحا يحشرج والأمنيات

سجدن ينحن على أمسه الأبعد

وأسمع همساً حزينا جريح الصدى

يغمغم : يا أمسيات الغـرام اشهدي

تفـانى وحشـرج في حبهـا (فعل)

ولاهيـة عنـه تسـتمتع

لها كل يوم حبيب جديد فعول

بأبواب أهوائهـا يقـرع

فعل

وتحت الظـلام العميـق فعول

عـلى شـفتيها بريـق

فعول

دمـاء الضـلوع فعول

وسـرب الدمـوع

فعول

فيـا للعـذاب فعول ... الخ(٢٥)

١٠ ـ البحر المتدارك (المحدث) : نظم الشعراء قصائد قليلة جدا في هذا البحر . ولقد وجدنا للاستاذ المرحوم ابراهيم الوائلي قصيدة من منهوك هذا البحر ذات تفعيلتين في الصدر وتفعيلتين في العجز . وهي ذات مقاطع ، يحوي كل مقطع منها أربعة أبيات وشطرا كرره في المقاطع كلها .

---

(٢٥) القصيدة ٣ مقاطع . استخدم الشاعر لكل مقطع قوافي متعددة . وجعل عروض الأبيات الأربعة (فعولن) عدا البيت الرابع فعروضه (فعل) . وجعل ضرب الأبيات هذه (فعل) .

قال الوائلي في قصيدته (تحت ظل القمر)(٢٦) :

فـي ثغـور الربـى

بـين زهـو الشـجر

لـذ كـأس الشـراب

طـاب ليـل السـمر

فاعلن

تحت ظـل القمـر فاعلن

فـي بسـاط الزهـور

قـد تجـلى الجمـال

فـي غنـاء الطيـور

ألهـوى والوصـال

فاعلان

مـا أرق الثغـور

حيـث يجلـي الكـدر

فاعلن فاعلان ـ فاعلن فاعلن

تحت ظـل القمـر فاعلن فاعلن

عطـر الياسـمين

كـل هـذي السـهول

سـلوة العاشـقين

بـين تلـك الحقـول

ليـس يجـدي الحنـين

---

(٢٦) ديوان الوائلي : ١/٦٦ ـ ٦٧ ـ القصيدة ذات ٦ مقاطع ٠ نظمها في سنة ١٩٤٠م ٠

شــاعراً فــي الطلــول
فاعلن فاعلان ــ فاعلن فاعلان

نغمـــــة الشـــاعرين
فــي غنـــاء الوتـــر
فاعلن

تحت ظــل القمــر فاعلن

....

كـــم درســنا الغــرام
فـــي الربـــى الزاهيـــه
فالهـــوى والهيـــام
نغمــــة الشـــــاديه
والمنـــــى والســلام
نســـمة البـــاديه
رق كـــأس المـــدام
طـــاب نيـــل الوطـــر
فاعلن فاعلان ــ فاعلن فاعلن

تحت ظــل القمــر فاعلن

لقد استخدم الشاعر هنا العروض (فاعلن) في البيت الأول نقط ٠ واستخدم لبقية الأبيات (فاعلان) ٠ أما الضرب فقد استخدم له التفعيلتين (فاعلن وفاعلان)(٢٧) ٠

---

(٢٧) ينظر المقطعان الرابع والخامس فضربهما (فاعلن) ٠ تنظر قصيدة نازك الملائكة (جحود ص : ٧٤ ــ ٧٧ في ديوانها شظايا ورماد) ففيها شبه بهذه القصيدة ٠ نظمتها الشاعرة في سنة ١٩٤٧م ٠

المصادر والمراجع

١ ـ أجنحة النور ـ ديوان شعر لموسى النقدي ـ مطبعة الزهراء ١٩٥٢ بغداد .

٢ ـ أفيـاء ـ ديوان شعر لأمين مرعي ـ دار الريحاني للطباعـة بيروت ١٩٥٦م .

٣ ـ الجداول ـ ديوان شعر لايليا أبو ماضي ـ المطبعة العربية بغـداد ١٩٥٢م .

٤ ـ دموع وأشواق ـ ديوان شعر لحسن عزة ـ مطـابع دار الكشاف بيروت ١٩٥١ .

٥ ـ ديوان الوائلي ، القسم الأول والقسم الثاني ـ دار الرشيد للنشر ١٩٨١م .

٦ ـ شرح تحفة الخليل في العروض والقافية ـ تأليف عبدالحميد الراضي مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٥م .

٧ ـ شظايا ورماد ـ ديوان شعر لنازك الملائكة ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٩م .

٨ ـ طبول الرعب ـ ديوان شعر لعلي حساني الكردي ـ المطبعة العربية بغداد ١٩٥٦م .

٩ ـ ظلال الأيام ـ ديوان شعر لأنور العطار ـ مطبعة البرهاني دمشق ١٩٤٨م .

١٠ـ قبل لا تنتهي ـ ديوان شعر لكمال فوزي الشرابي ـ المكتب التجاري للطباعةوالنشر بيروت ١٩٦١م ء

١١ـ قرارة الموجة ـ ديوان شعر لنازك الملائكة ـ دار الآداب بيروت ١٩٥٧م ٠

١٢ـ ملائكة وشياطين ـ ديوان شعر لعبدالوهاب البياتي ـ مطابع دار الكشاف بيروت ١٩٥٠م ٠

١٣ـ من أصداء المعترك ـ ديوان شعر لأنور خليل ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٢م ٠

١٤ـ من العراق ـ ديوان شعر لعدنان الراوي ـ مطابع دار الكشاف بيروت ١٩٤٩م ٠

١٥ـ الهوى والشباب ـ ديوان شعر لبشارة الخوري ـ دار المعارف ١٩٥٣م ٠

أثر استخدام التمارين العامة والخاصة على بعض فعاليات الساحة والميدان

بحث تجريبي على تلاميذ المرحلة الابتدائية ١٠ ـ ١٢ سنة

الدكتور الاستاذ قاسم حسن حسين السيدة ايمان شاكر محمود
مدرس مساعد

الباب الاول

١ ـ ١ المقدمة ومشكلة البحث

يتفق معظم الخبراء بان لكل فعالية أو لعبة رياضية متطلبات بدنية ومهارة يجب ان يتميز بها الرياضي من فعالية الى أخرى مستندين في ذلك على الدراسات والبحوث العلمية ذات النتائج الدقيقة لتقديم أنسب الحلول للمشاكل المراد بحثها عن الفعالية أو اللعبة ، اذن فلبناء قاعدة متينة لرياضينا ولاعدادهم الأعداد المدروس علميا لتطوير صفاتهم البدنية والنفسية لمراحل الطفولة المختلفة والتي تعد اساسا هاما الواجب علينا دراسته والاهتمام به للوصول الى الحلول المناسبة وهذا ما يؤكـده باوزفليد (١٩٨٨) « ان مرحلة التدريب الاساسي من الامور الهامة في اعداد الاطفال والتي تعتمد على التمارين العامة المتعددة الجوانب في العاب الساحة والميدان ويضيف أيضا ان الوصول الى قابلية المستوى يتم بوساطة تعدد الجوانب في مرحلة التدريب الاولى أي استخدام المبادىء الاساسية للوحدة بين التكامل العام

والخاص في مرحلة التدريب الاساسي (٢ : ١٢٣) كما يؤكد GROSSER (1981) هذه الناحية أيضا « ان اكتساب المعلومات عند الاطفال في عمر (١٠ - ١٢) سنة يتطلب التطور العام والشامل المتعدد الجوانب » (١٠ : ١٣٠) •

مما تقدم يرى الباحثان ان مرحلة (١٠ - ١٢) سنة من الاهمية دراستها حيث وجداها بأنها لم تأخذ حقها في التطور والدراسة الميدانية في هذا المجال ولكي يتأكد من حل المشكلة بشكل علمي ودقيق على هذه المرحلة العمرية التي تعد أهم مرحلة في التعلم السريع والقاعدة المتينة ، قاما باجراء تجربتهما العلمية باختيار تلاميذ من عمر (١٠ - ١٢) سنة والتي يمكن بوساطتهما التنبؤ بالمستويات والقدرات توجيهها مستقبلا الى الفعالية أو اللعبة التي تتفق وامكاناتهم وقابلياتهم لتحقيق المستوى الرياضي في سنوات تدريبية مقبلة •

١ - ٢ أهداف البحث :

١ - تحديد التمارين العامة والخاصة في فعاليات الساحة والميدان والتي تساهم في تحقيق الانجاز الافضل عن التخصص المبكر للمرحلة العمرية (١٠ - ١٢) سنة •

٢ - تحديد الالعاب والفعاليات الرياضية المختلفة التي تساهم في تحقيق الانجاز الأفضل عن التخصص المبكر للعبة- أو الفعالية في تدريب الالعاب وفعاليات الساحة والميدان •

١ - ٣ فروض البحث :

ان استخدام التدريب الشامل والعام المتعدد الجوانب يحقق تطور أفضل في مستوى الانجاز في المراحل العمرية (١٠ - ١٢) سنة عن التخصص المبكر للفعالية أو اللعبة في فعاليات والالعاب الساحة والميدان •

١ ـ ٤ مجالات البحث :

المجال البشري : (٤٢) تلميذ .أو تلميذة •

المجال لزمني : من ١٦/١٠ ـ ٢٠/١٢/١٩٨٨ •

المجال المكاني : مدرسة المنصور التأسيسية الابتدائية ـ بغداد •

الباب الثاني

١ ـ الدراسات النظرية :

٢ ـ ١ تدريب المبتدئين :

يؤكد العديد من الباحثين والمهتمين بشؤون التدريب الرياضي على موضوع تدريب المبتدئين كوسيلة لرفع المستويات العليا والتنافس في المجال الدولي ، وتعد الكثير من الازمات في مجال رياضة المسويات العليا الى عدم توفر قاعدة من تلاميذ المدارس (المبتدئين) مما حدى الى هبوط المستويات من تلك الدول بينما تفوقت الدول التي اهتمت بالتلاميذ (المبتدئين) وطرق تدريبهم بدنيا ونفسيا مما أدى بالتالي الى تحقيق المستوى ويرى هنا ماتفيف (١٩٨٨) أهمية « تحقيق الوحدة بين الاعداد العام والخاص (أي فهم فكرة تبادل الربط بين التخصص الرياضي والتطور العام المتعدد الجوانب) وان نجاح التخصص الرياضي يرتبط بتقدم الرياضي ولكن ليس بتخصصه في الفعاليات والالعاب الرياضية فقط ، بل مزاولة الكثير من الفعاليات والالعاب » (٦ : ٨٨) لذا يتعلق مستوى التخصص في أي فعالية بأهمية ربطها والتطور البدني والنفسي ••• الخ من الجوانب الاخر لتحقيق البناء الاساسي للوظائف البدنية المختلفة بشكل متناسق • ويرى هنا باوزفيلد (١٨٨) ان استخدام عدد من التمارين الشاملة المتعددة الجوانب يحقق هدف تعدد جوانب التدريب الاساسي ، لذا تستخدم التمارين البدنية في الفعاليات والالعاب الرياضية الاخرى لتحقيق مبدأ الشمول في

التدريب على فعاليات الساحة والميدان ويضيف : ان التمارين المستخدمة في الالعاب الرياضية ذات الصفة الثنائية تحقق تعدد جوانب التدريب من الالعاب الساحة فمثلا :ـ

ـــ القفز والرمي ـ تمارين قوة الارتقاء •

ـــ نطح الكرة من القفز عن كرة القدم او استخدام كرة اليد او السلة وسرعة الركض كما ان هناك تمارين تشابه في مسارها الحركي وفاعليتها بعض فعاليات الساحة والميدان ولكنها غير متشابه التركيب مثلا :ـ

ـــ تمارين تقوية الذراعين ـ تمارين قوة الدفع •

ـــ السباحة ـ الركض الدائم ـ ركوب الدراجات الهوائية •

ـــ القفز في الجمباز على الارض ـ تمارين قوة الارتقاء •

اما التمارين التي تحقق الانفعال العالي فهي العاب الصغيرة وتمارين المنافسات (كالركض والهبوط والصعود (٢ : ١٢٦) ويؤكد August (1974) « ان استخدام التمارين التي على شكل العاب مهمة عند تدريب التلاميذ من المراحل العمرية (١٠ ـ ١٢) سنة مع التأكيد على هدف الانجاز والبناء الفني للاداء الحركة •

ان فعاليات الساحة والميدان ذات اختلاف في فن الاداء الحركي والمهاري لها ، لذا يقسم الدريب فيها الى ثلاث مراحل هي :

ـــ المرحلة الاولى : يتم فيها التكيف الحركة بوساطة شكل الالعاب وجمع الخبرات الحركية •

ـــ المرحلة الثانية : يتم فيها شكل الحركة الخام حيث تستخدم ـ التمارين العامة والخاصة بنسبة ٦٠٪ عام و٤٠٪ خاص (بوضع واجبات حركية وواجبات هادفة لها) •

ـــ المرحلة الثالثة : وهي الشكل التوافقي الجيد وفيــه يتم تحقيق الانجاز واستخدام التثبيت الحركة المباشر واكتساب المهارة الحركية وفق مستلزمات السباق أو الفعــالية (٩ : ١١) ويؤكـــد تس THIss (1963) ان المساد الحركي في العاب الساحة والميـدان باستخدام الشكل الخام للمهارة ـ كالعدو السريع للوصول اي شكل التوافق وان عملية التدريب يجب ان تستخدم خلالها التمارين العامة المتعدد الجوانب في عمر (٩ ـ ١٢ سنة) ، بعد هذه المرحلة يمكن استخدام التدريب التخصصي بصورة غير مباشرة مع التأكيد على الاسلوب السابق ، اي سعدد وجوانب التدريب (١٤ : ٨) ويتفق كل من pausch, G. I. Hofmann Grundmann 1965 على اهمية شمول التعلم المركب للصفت البدنية باعتباره يمثل قواعد التعلم الاساسي للرياضي أثناء تدريب التلاميذ في عمر (١٠ ـ ١٢ سنة) (١٣ : ٣٩٧) ٠

٢ ـ ٢ المرحلة العمرية (١٠ ـ ١٢) سنة

تعدد هذه المرحلة من انسب المراحل لتعليم المهارات الحركية حيث يصل التطور الحركي لديها الى قمته هذا ما يؤكدهماينل (١٩٨٠) حيث يقول ان قابلية التعليم الممتاز عند أطفال هذه المرحلة كبير جدا وتطبـع حركاتهم بقـدر كبير من الرشاقـة والسرعـة والقوة وحسـن التوقيت والانسيابية ، اما في الحركات الثنائية والمركبة فيكون هناك اندماج جيـد يخدم الحركة ، كما تظهر الالية واضحة في ادائهم الحركي اي ان الكثير من الاطفال ييميزون بالقدرة على اداء المهارات الحركية دون التدريب عليها أو ممارستها مسبقا (٣ : ٢٦٥) ٠ ويضيـف ان الطفل من هذه المرحلة لديه رغبة شديدة للرياضة والتي تعتبر عاملا جيدا لقابلية التعلم عنـده وكذلك النشاط المصحوب بالمسرة والشجاعة في حل الواجبات الحركية

المعطاة له مع تطور قابلية تفكيره للتعلم (عند اعطائه الواجبات الحركية أو عند التصحيح) • وان يأتي بشغف الى درس التربية الرياضية والتدريب » (٣ : ٧١) •

ولابد من التأكيد هنا الى ان العظام والاربطة غير ثابتة نسبيا باعتبار ان جسم الطفل في دور النمو وان ما حدث اجهاد لناحية واحدة يتعرض الطفل للاصابة أكثر خاصة عندما يكون حجم التمارين الخاصة في منهجهم التدريبي كبيرا ، هذا ما يؤكد مانيل بأهمية ان يكون التدريب شاملا لان خطر الاصابة كبير لديهم لان القلب والدورة الدموية سريعتا الانسجام ومتعودان على سعة جهد معين (٣ : ٨٠) •

الباب الثالث

٣ ـ منهجية البحث واجراءاته الميدانية •

٣ ـ ١ منهج البحث : استخدما المنهج التجريبي •

٣ ـ ٢ عينة البحث :

قاما باختيار عينة البحث عشوائيا لتمثل مجتمع البحث تمثيلا صادقا اذ تم اختيار الشعبة (الخضراء) كمجموعة تجريبية والشعبة (البرتقالي) كمجموعة ضابطة من تلاميذ وتلميذات الصف الخامس الابدائي (مراحلهم العمرية كانت ١٠ ـ ١٢ سنة) وعددهم (٩٠) تلميذا وتلميذة من مدرسة المنصور التأسيسية الابتدائية في بغداد • تم اختيار (٢١)(*) تلميذا وتلميذة من كل شعبة لتصبح عينة البحث (٤٢) تلميذا وتلميذة • امتازت العينة بعدم وجود خبرات سابقة لها ومتجانسة (لاحظ الجدول ١) •

٣ ـ ٣ أدوات البحث :

(*) بلغ عدد التلاميذ في كل مجموعة ١١ تلميذا و١٠ تلميذات •

استخدما المصادر والمراجع العربية والاجنبية ، اضافة الى الملاحظة والتجريب مع بعض الادوات المكتبية وأدوات القياس .

٣ ـ ٤ سير التجربة الميدانية :

٣ ـ ٤ ـ ١ التجربة الاستطلاعية :

تمت على بعض التلاميذ من الشعب الاخرى (الحمراء ، الصفراء) للوقوف على القابلية البدنية لهم ومدى ملائمة الاختبارات الموضوعة لقياس بعض العناصر المختارة اضافة الى التأكد من سهولة ادائهم للاختبارات والوقت اللازم لانجازها .

٣ ـ ٤ ـ ٢ الاختبارات القبلية :

اجريت على عينة البحث يوم ١٥/١٠/١٩٨٨ الثامنة والنصف صباحا وعلى ملعب مدرسة المنصور التأسيسية الخلفي وكانت كالآتي :

الركض ٣٠م ، الركض ٥٠٠م للفتيان و٣٠٠م للفتيات ، رمي كرة ناعمة ، اضافة الى فعاليتي القفز التالي والعريض . ان الاختبارات المستخدمة مقننة حيث وردت في أكثر من مصدر(*) ولها صدق وثبات وموضوعية وتشابه في مسارها الحركي لبعض فعاليات الساحة والميدان :

١ ـ ٣٠م : يقف المختبر خلف خط البداية ، وعند سماع الاشارة ينطلق بأقصى سرعة ممكنة ، يسجل الزمن من بداية الشروع بالركض حتى نهاية ٣٠م بالثانية .

(*) من هذه المصادر :

١ ـ محمد صبحي حسانين : التقويم والقياس في التربية البدنية ، ج ، ط١ دار الفكر العربي ، ١٩٧٩ .

٢ ـ ابراهيم أحمد سلامة : الاختبارات والقياس في التربية البدنية، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

٢ – الركض ٥٠٠م و٣٠٠م : من الوقوف يسجل الوقت من خط البداية عند شروع المختبر بالركض عند سماع الاشرة حتى نهاية المسافة بالثانية •

٣ – رمي كرة ناعمة لاقصى مسافة : ويقف المختبر خلف الخط المرسوم على الارض ليحدد بداية الرمي ، يرمي الكرة الى أبعد مسافة لتقاس عموديا من خط الرمي الى أقرب مكان للسقوط بالمتر •

٤ – فعاليتي القفز العالي والوثب العريض : اعطيت ثلاث محاولات على كل ارتفاع في فعالية اقفز العالي ، وستة محاولات للوثب العريض وتسجل الافضل (بالنسبة للقفز العالي من (٥٠) سم) •

٣ – ٤ – ٣ البرنامج التعليمي :

فاما بوضع البرنامج التعليمي على ضوء التجربة الاستطلاعية ونتائج الاختبارات ، تكون من ثيمان وحداث تعليمية بواقع درسين في الاسبوع (١٦) درس خلال فترة البرنامج ، بدء بتطبيقه يوم ١٦/١٠ وانتهي في ٢٠/١٢/١٩٨٨ تضمن مجموعة من التمارين العامة المتعددة الجوانب وبعض التمارين الخاصة والمنافسات والمبادى الاساسية لبعض فعاليات والالعاب الساحة والميدان (للمجموعة التجريبية) اما المجموعة الضابطة فقد استخدمنا لها التمارين والمهارات الخاصة ببعض فعاليات الساحة والميدان فقط للوقوف على مدى تأثير استخدام التمارين العامة وبعض الخاصة منها على انجاز المجموعة التجريبية عن الضابطة •

---

٣ – قاسم حسن حسين وآخرون : مقارنة اللياقة البدنية لتلاميذ المدارس الابتدائية من كلا الجنسين في بعض محافظات العراق بحث منشور ١٩٨٦ •

٣ ـ ٤ ـ ٤ الاختبارات البعدية :

تمت يوم ١٩٨٨/١٢/٢٧ الساعة الثامنة والنصف صباحا وعلى الملعب الخلفي لمدرسة المنصور التأسيسية في بغداد ٠

جدول (١)

يبين الانحراف العياري وقيمة (ف) المحتسبة والجدولية للمجموعتين الضابطة والتجريبية

الاختبار	تباين المجموعة الضابطة	تباين المجموعة التجريبية	قيمة (ف) المحتسبة	قيمة (ف) الجدولية تحت درجة حرية (١٩) واحتمال خطا (٠١ر٠)	النتيجة
٣٠م	٣٢ر٠	٣١ر٠	١ر٠٦	ـر٣	غيرمعنوي
٥٠٠م	٩ر٥٣	٥ر٧٤	٢ر٧٥	٥ر٣٥(*)	غيرمعنوي
٣٠٠م	١ر٤٣	٧ر٥٥	١ر٩٣	٦ر٨٣(**)	غيرمعنوي

رمي الكرة	٩٨ر٠	٨٦ر٠	٣١ر١	ــر٣	غيرمعنوي
القفز العالي	١٦ر٠	٢٤ر٠	٣٠ر٢	ــر٣	غيرمعنوي
الوثب العريض	٠٨ر٩	٨٦ر١٤	٦٣ر٢	ــر٣	غيرمعنوي



٤ ـ محمد حسن علاوي : اختبارات الاداء الحركي ، مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ .

(*) تحت درجة حرية (٩) واحتمال خطا (٠١ر٠) .

(**) تحت درجة حرية (٨) واحتمال خطا (٠١ر٠) .

جدول (٢)

يبين الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) المحتسبة والجدولية لاختبارات المجموعتين الضابطة والتجريبية من الاختبارين القبلي والبعدي

الاختبار	المجموعة	القبلي			البعدي			قيمة (ت)	قيمة (ت) الجدولية تحت درجة حرية (٤٠) واحتمال خطأ (٠ر٠١)	النتيجة
		س	ع	ن	س	ع	ن			
٣٠م	ضابطة	٥ر٢١	٠ر٣٢	٢١	٤ر٩٨	٠ر١٦	٢١	٢ر٩٨	٢ر٤٢	معنوي
	تجريبية	٥ر١٩	٠ر٣١	٢١	٤ر٤٥	٠ر٢١	٢١	٩ر٢٢	٢ر٤٢	معنوي عال
٥٠٠م	ضابطة	١٣٣ر٨٣	٩ر٥٣	١١	١٣٤ر٩	٦ر٦٤	١١	٠ر٠٧	٢ر٨٢(*)	غير معنوي
	تجريبية	١٣٣ر٣	٥ر٤٣	١٠	١٢٨ر٤	٥ر١٨	١٠	٢ر٨٣	٢ر٨٩(**)	غير معنوي
		١٣٠ر٣٦	٥ر٧٤	١١	١١٥ر٩	٥ر٩٦	١١	٧ر٥٥	٢ر٨٢	معنوي
		١٣٥ر٣	ـ٥٥ر	١٠	١٢٤ر٢	٤ر١٨	١٠	٤ر٠٤	٢ر٨٩	معنوي

رمي كرة	ضابطة	١٩ر٥	٩٨ر٠	٢١	٣٣ر٥	٩٢ر٠	٢١	٤٧ر٠	٢ر٤٢	غير معنوي
ناعمة	تجريبية	٠٤ر٥	٨٦ر٠	٢١	٣٣ر٦	٥٧ر٠	٢١	٣٠ر١	٢ر٤٢	غير معنوي
القفز العالي	ضابطة	٦٩ر٠	١٦ر٠	٢١	٧٦ر٠	١٠ر٠	٢١	٧٠ر١	٢ر٤٢	غير معنوي
	تجريبية	٧٦ر٠	٢٤ر٠	٢١	ـر١	٠٤ر٠	٢١	٥٢ر٤	٢ر٤٢	معنوي عاء
الطفر	ضابطة	١٣٤ر٠٩	٩ر٠٨	٢١	١٤٤ر٧١	١٤ر٣٩	٢١	٢ر٨٦	٢ر٤٢	معنوي
العريض	تجريبية	١٣٢ر١٩	١٤ر٨٦	٢١	١ر٨٢	٠ر١٣	٢١	١٥ر٤١	٢ر٤٢	معنوي عال

(*) تحت درجة حرية (٩) واحتمال خطا (١٠ر٠) حيث تم فصل الفتيان عن الفتيات في هذا الاختبار وعددهم (١١) .

(**) تحت درجة حرية (٨) واحتمال خطا (١٠ر٠) لنفس السبب .

الباب الرابع

٤ ـ عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها

٤ ـ ١ عرض النتائج وتحليلها

ـــ اختبار ٣٠م من الوقوف :

ان الفـروق الظاهـرية بين الوسطين (لاحظ الجدول ٢) لنتائج المجموعة الضابطة تدل على ان تناقض في الزمن المسجل لعدد قليل جدا من الثواني ، وللوقوف على معنوية الفروق ، استخدم اختبار (ت) تبين ان قيمة (ت) المحتسـبة بلغت (٢ر٩٨) وهي أكبر بقليـل من قيمة (ت) الجدولية والبالغة (٢ر٤٢) تحت درجة حرية (٤٠) واحتمال خطا (٠ر٠١) أي ان الفرق معنوي بينهما ، اما افراد المجموعة التجريبية فنجـد ان اوساطهما الحسابية اظهرت تقدما واضحا في تناقص زمنها (٥ر١٩ ، ٤ر٤٥) بانحراف معياري (٠ر٣١ ، ٠ر٢١) على التوالي وللوقوف على معنـوية الفروق ظهر ان القيمة المحتسبة بلغت (٩ر٢٢) وهي أكبر من القيمـة الجدولية والبالغة (٢ر٤٢) تحت درجـة حرية (٤٠) واحتمال خطـأ (٠ر٠١) مما يدلل على وجود فرقا معنويا عاليا بينهما •

ـــ اختبار الركض ٥٠٠م للفتيان و٣٠٠م للفتيات :

ان الفرق الظاهري بين الوسطين لنتائج المجموعة الضابطة ـ الفتيان ـ تبين ان المستوى كان متقاربا وباستخدام اختبار (ت) للوقوف على معنوية الفروق تبين ان الفرق غير معنوي على عكس المجمـوعة لتجريبية التي اظهرت تقدما واضحا ومعنوية عاليـة كذلك بالنسبة لفتيـات المجمـوعة التجريبية وبمعنوية عالية أيضا كما اظهرت فتيات المجموعة الضابطة تطور في هذا الاختبار هذا ما اظهره اختبار (ت) حيث وجد ان هناك فرق معنوي للفتيات وللفتيان ولصالح الاختبار البعـدي (لاحظ الجدول ٢) تحت

درجة حرية (٩ ، ٨) واحتمال خطا (١٠ر٠) •

— **اختبار رمي الكرة الناعمة لابعد مسافة :**

اظهرت الفروق الظاهرية للاوساط الحسابية بان هناك تطـور في مستوى انجاز افراد المجموعتين كان متقاربا وللوقوف على معنوية الفروق ظهر ان هناك فرق غير معنوي للمجموعتين تحت درجـــة حرية (١٩) واحتمال خطا (١٠ر٠) •

— **اختبار القفز العالي :**

اظهرت الفروق الظاهرية للاوساط الحسابية بان هنــاك تقارب في مستوى انجاز المجموعة الضابطة ، وللوقوف على معنوية الفروق ظهر ان قيمة (ت) المحتسبة كانت أصغر من القيمة الجدولية مما يدلل ان النتيجة غير معنوية تحت درجة حرية (٤٠) واحتمال خطا (١٠ر٠) على عكس المجموعة التجريبية التي اظهرت فرقا معنويا باستخدام اختبار (ت) تحت نفس درجة الحرية والاحتمال •

— **اختبار الوثب العريض :**

اظهرت الفروق الظاهرية للاوساط الحسابية ان مستوى الانجــاز للمجموعة الضابطة كان أفضل عن القياس القبلي وللوقوف على معنوية الفروق ظهر ان قيمة (ت) المحتسبة كانت أكبر قليلا عن (ت) الجدولية ممـــا يدلل على وجــود فروق معنوية كذلك الحال بالنسبة للمجموعة التجريبية التي اظهرت القيمة المحتسبة فرقا عاليا عن الجدولية مما يدلل على وجود معنوية عالية بينهما • (لاحظ الجدول ٢) •

٤ ـ ٢ مناقشة النتائج :

في ضوء النتائج (لاحظ الجدول ٢) يظهر ان هناك تطور في نتائج المجموعة التجريبية في أغلب الاختبارات عن المجموعة الضابطة التي اظهرت تقاربا في مستوى انجازها مما أدى الى ظهور بينما فروق غير معنوية في اغلبها فيما نجد ان اختبار واحد قد ظهر غير معنويا بالنسبة لافراد المجموعة التجريبية مما يدلل على ان استخدام التمارين العامة مع بعض الخاصة لاسس فعاليات الساحة والميدان وتمارين المنافسات كان له الاثر الفعال في النتائج البعدية وهذا يتفق مع داي كورت مانيل « ويبدو في العاب الساحة والميدان والتجذيف ان الاختصاص المبكر ليس واجبا حتميا ويعوض عنه ببناء شامل للجسم (٣ : ١٢٣) كما يؤكد أيضا « يكون واجب الدرس من هذه المرحلة الامنية بالنسبة للتطور الحركي هو استغلال وقت التعلم المناسب وبناء الاطفال بناء شاملا وعاما لوضع قاعدة كبيرة لاساس التعلم الحركي » ويضيف « على ان البناء الحركة الشامل في هذه المرحلة كواجب رئيسي » (٣ : ١٢٣) .

ففي اختبار (٣٠م) يظهر ان هناك تطور في تناقص الزمن للمجموعة التجريبية مما يدلل على تطور السرعة الانتقالية والتعجيل لها حيث ان الحركات الموجهة والسريعة قد ظهرت واضحة وبمهارة » والملاحظ ان نسبة النمو في قابلية اركض في هذه المرحلة من عمر الطفل تزداد بصورة مستمرة ومقابل ذلك تنخفض قليلا عند الاطفال حديثي الدخول الى المدرسة ويضيف « بالنسبة لتطور قابلية السرعة يمكننا ان نقول ان وقت رد الفعل يكون أقصر وفي نهاية هذه المرحلة من عمر الطفل يقترب من أرقام الشباب » (٣ : ٢٣١) وهذا بالفعل ما وجدناه لافراد المجموعتين بتطور

السرعة الانتقالية لديهم والتعجيل من خلال نتائج الاختبار البعدي ولكنها كانت عند التجريبية بمعنوية عالية • اما في اختبار ٥٠٠م للفتيان و٣٠٠م للفتيات فنجد ان افراد المجموعة التجريبية من البنين قد ظهر تطور في قابلية المطاولة لديهم عن الضابطة كذلك الفتيات اللاتي اظهرن تطورا ظاهريا في هذه القابلية « وبالنسبة لتطور مطاولة القوة وقابلية المطاولة فهناك ضرورة للتفريق » (٣ : ٢٣٥) وهذا ما تبين فعلا على الرغم من اختلاف المسافة « ان السبب الرئيسي من وجهة نظرنا هو ان هذه القابلية تعتمد على التمرين أكثر من القابليات البدنية الأخرى » كذلك « ان أولاد هذه المرحلة متقدمون على البنات من نفس العمر في مطاولة القوة والمطاولة (٣ : ٢٣٥) وهذا يتفق مع النتيجة التي توصلنا اليها اما في اختبار رمي الكرة الناعمة فتبين لنا ان افراد المجموعتين قد اظهروا تقاربا في مستوى الانجاز على الرغم ان مسافة أفراد المجموعة التجريبية ازدادت حوالي (١ر٢٠ متر) عن القياس القبلي ولكن معنوية الفروق لم تظهر فروقا معنويا بينهما وهذا يتفق مع داي مانيل بعدم ظهور القوة جلية « اما القوة فتظهر في تمارينهم على الاجهزة والتمارين الارضية (٣ : ١٣٠) ان تطور مسافة المجموعة التجريبية يعود في رأينا الى ديناميكية الحركة التي اصبحت واضحة في حركة الرمي عن الاخر المبتدء والذي اصبح أقوى من اقرانه من المجموعة الضابطة والذي كان تدريجيا • اما في اختبار القفز العالي والعريض فنجد ان هناك تطور في مستوى انجاز افراد المجموعة التجريبية وبمعنوية عالية ولصالح البعدي حيث كان لترابط التمارين العامة مع الخاصة فن اداء افعالية من الاثر افعال في تطور مستوى الانجاز مع الضبط الحركة والاقتصاد بالطاقة مما ساهم في تحسين البناء الحركة والانسيابية لعمل الجذع أي ان البناء الشامل هو حجر الأساس في تطور النتائج ويعتمد نجاح الرياضيين السوفيت بدرجة كبيرة على البناء الشامل والبناء الشامل

ممكن ويجب ان يتم في سن ١٠ سنوات للذين عندهم مواهب خاصة وميل للرياضة ويرى أيضا « ويمكن من السنة الدراسية الرابعة تعلم الحركة الرئيسية لبعض الالعاب الرياضية الأساسية وبشكلها الخام مثل الساحة والميدان والجمباز على الأجهزة والارض ... وقسم منها قد يصل الى مرحلة الدقة » (٣ : ١٢٣) كما يرى ان استخدام وسائل وطرق التدريب العامة والشاملة بالحمل العالي يحقق رفع الصفات البدنية والنفسية وفن الأداء الحركي ، لذا يجب اكتساب البناء الشامل مع تثبت قيم النبض وفترة الراحة وفترة الشفاء اضافة الى تثبت الطريقة التي تستخدم في التدريب (١١ : ٣٠٠) وهذا ما يحقق هدف البحث وفرضية .

الباب الخامس

الاستنتاجات والتوصيات

٥ ـ ١ الاستنتاجات :

١ ـ تحسن مستوى نتائج أفراد المجموعة التجريبية التي استخدمت في برنامجها التمارين التحضيرية العامة والخاصة والمنافسات بينما نجد ان أفراد المجموعة الضابطة الذين استخدمت لهم التمارين الخاصة فقط لم يظهر لهم تحسن في مستوى نتائج الاختبارات المستخدمة .

٢ ـ ان درس التربية الرياضية يجب ان يعلم أشكالا حركية مميزة قدر الامكان من أجل استغلال وقت التعلم الجيد السريع لهذه المرحلة المهمة التي يؤكد عليها العلماء على انها نقطة القمة من ناحية التعلم الحركي خلال فترة تطور الحركة عند الطفل .

٣ ـ تحسن في مستوى الركض السريع والقفز العالي والعريض وحتى الرمي نتيجة لضبط فن الاداء (تكنيك والتطور في التصرف الحركي السريع وعمل الجذع والانسيابية الحركية للمجموعة التجريبية .

٤ ـ لقد وجدنا ان البنات لا يتأخرن عن البنين في نتائج الاختبارات وذلك فهن يحاولن التسابق والتفوق على البنين والاستجابة لكل حركة جديدة مما ساهم في تحقيق نتائج متقاربة حيث وجدنا هناك اندماج جيد في أقسام الحركة يخدم الهدف الحركي .

٥ ـ ٢ التوصيات :

١ ـ ضرورة استخدام البناء الشامل والعام لتطوير الحركات الأساسية لفعاليات الألعاب الساحة والميدان من هذه المرحلة العمرية الذي يصل التطور الحركي الى درجة عالية من الادراك التوجيه واتقان ودقة الحركات .

٢ ـ استغلال الاستجابة المرتبطة بالشجاعة والهمة الكبيرة للتعلم من هذه المرحلة حتى لا تضيع سنوات النمو الحركي التي لا تعوض في المستقبل والتي تؤدي بالتالي الى تحديد الحركة وتوقف واعاقة الامكانيات التي تخدم مصلحة بناء الوطن .

٣ ـ استغلال مبدأ التعلم المبكر لسير الحركات الأساسية التي تعلمها سابقا والتي هي امتداد لفعاليات الساحة والميدان بالبناء الشامل .

٤ ـ أهمية عرض الحركات ككل وغير مجزأة وبشكل سليم وجيد من قبل المدرس لان هذه الفترة يتم التعلم بها عن طريق النظر وان الشرح الأساسي لا يلعب دوره الفعال هنا .

٥ ـ ضرورة وضع مدرسين كفوئين ومتصصين للعمل مع الاطفال والناشئين لهذه المرحلة المهمة وللمراحل الأخرى ودراستها .

٦ ـ ضرورة فتح دورات لمدرسي التربية الرياضية للمدارس الابتدائية تتضمن دروسا في علم التدريب الرياضي والتعلم الحركي خاصة وعلم النفس الرياضي .

٧ ـ في ضوء مميزات بناء المهـارة الرياضية وفق قاعـدة البناء الأساسي الشامل البدني في تدريب اعمار (١٠ ـ ١٢) سنة يتطلب الانتباه الى العناصر الآتية :ـ

ـ تبادل فاعلية المهارة الرياضية مع العمل الحركة المهارات العامة الضرورية التي تستخدم في الحياة الميدانية •

ـ تعتبر المهـارة الرياضية شكل من الصفـات البدنية لذا يتطلب مراعاتها والتأكيد عليها لأنها تلعب دورها الفعال عند بناء الصفات البدنية •

ـ اثارة مميزات بناء فن الأداء الحركي لتشويق تعليم الرياضيين في هذه المرحلة العمرية على عدد من الفعاليات باعتبارها تحقق بناء الحاجة ومزاولة الفعاليات بصورة مستمرة •

ـ يعد بناء فن الأداء الحركي كاعداد للتدريب الأساس •

ـ أهمية بناء فن الاداء الحركي لتطوير الانجاز الرياضي •

المصـــادر

المصادر العربية :

١ ـ ابراهيم أحمد سلامة : الاختبارات والقياس من التربية البدنية ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

٢ ـ باوزفيلو : قواعد العاب الساحة والميدان : ترجمة قاسم حسن حسين وانير صبري ، مطبعة الموصل ، ١٩٨٨ .

٣ ـ كورت مانيل : التعلم الحركي : ترجمة عبدعلي مضيف ، مطبعة الموصل ، ١٩٨٠ .

٤ ـ قاسم حسن حسين وآخرون : مقارنة اللياقة البدنية لتلاميذ المدارس الابتدائية من كلا الجنسين في بعض محافظات العراق » بحث منشور ١٩٨٦ .

٥ ـ فاطمة عوض صابر : دراسة تحليلية لمدى فاعلية دروس التربية الرياضية للصفين الخامس والسادس الابتدائي المؤتمر العلمي الثاني لدراسة وبحوث التربية الرياضية ١٩٨١ كلية التربية الرياضية بالاسكندرية .

مطبعة الموصل ١٩٨٨ .

٦ ـ ماتفيف : قواعد التدريب الرياضي ، ترجمة قاسم حسن حسين ،

٧ ـ محمد صبحي حساني : التقويم والقياس في التربية البدنية ، ج . ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٩ .

٨ ـ محمد حسن علاوي : اختبارات الاداء الحركي ، مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ ..

9 — AuGust; E; staud, probleme und Aufgaben der lehrplanentwicklung. inpadagogishe froschung, 7 (1972) Heft 6.

10 — Grosser, mineumeier, A; Tchniktrainvge muncher 1981.

11 — Hoκmann, G; Durch laufen, springem and werfen zukrabt Schnelligkeit nud Ausdauer. In; korper erziehung Heft 5 (1967).

12 — Pausch, G. Ihofmann, H. Igrunom Ann. G; zuk Akzentuierung im sportum tericht. in; theorie und praxis derkorperkultur (1965) 8.

13 — So Hwid Tmann, H. kogel, H; Gedanken Zum Uber das elnheitliche sozialistische Bildun gssystem In; Theorie praxis der K. K 4 (1985) 5.

14 — THIESS — G: Das leichtathletik, Auglag, Berlin, 1985.

سياسة التمييز العنصري

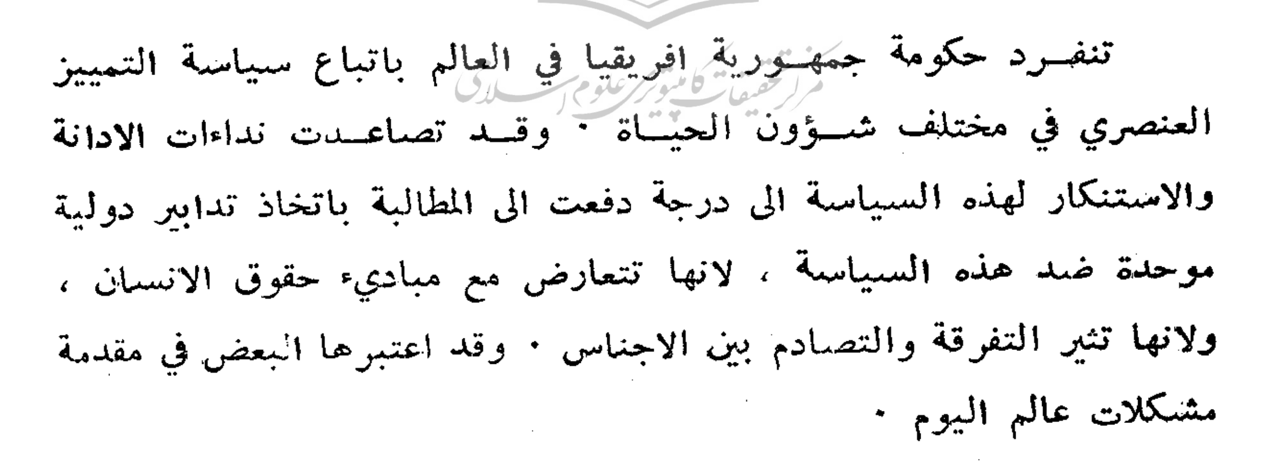
في جمهورية جنوب افريقيا

ـ دراسة في الجغرافية البشرية ـ

د. عبدالعزيز محمد حبيب

قسم الجغرافية ـ كلية الاداب

جامعة بغداد



تنفـرد حكومة جمهـورية افريقيا في العالم باتباع سياسة التمييز العنصري في مختلف شـؤون الحيـاة . وقـد تصاعـدت نداءات الادانة والاستنكار لهذه السياسة الى درجة دفعت الى المطالبة باتخاذ تدابير دولية موحدة ضد هذه السياسة ، لانها تتعارض مع مباديء حقوق الانسان ، ولانها تثير التفرقة والتصادم بين الاجناس . وقد اعتبرها البعض في مقدمة مشكلات عالم اليوم .

ويهدف هذا البحث الى التعرف على الخلفية التأريخية لاستيطان السكان في جمهورية جنوب افريقيا وتكوينهم العنصري . وبيان التطبيقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للتمييز العنصري ، والكشف عـن أسباب قيام واستمرار سياسة التمييز العنصري في هذه الجمهورية حتى اليوم . وما هو المصير المرتقب لهذه السياسة ؟

١ ـ الخلفية التأريخية للسكان :

كان الخويزان ، البشمن والهوتنتوت ، أول مجموعة بشرية سكنت جنوب افريقيا(١) ، والخويزان Khoi - San اسم مركب يتألف من كلمتين ، كلمة Khoi اوخوي خوين Khoi — Khoin يطلقها الهوتنتوت على انفسهم وتعني) الناس (• اما كلمة زان San فهي الاسم الذي يطلقه الهوتنتوت على البشمن الذين لا توجد لديهم كلمة موحدة يطلقوها على شعبهم ، بل نجد كل مجموعة تسمي نفسها كونج Kung وتعني (الناس) ، بلغتها أو لهجتها الخاصة ، اما التسمية (بشمن) و (هوتنتوت) فهي تسمية هولندية • وهي تعني على التوالي سكان الاحراج والناس الذين يتأتؤن في الكلام •

في عصور ما قبل التأريخ هاجر البشمن من موطنهم الاصلي في شرق افريقيا وهضبة الحبشة الى جنوب افريقيا وانتشروا فيها انتشارا واسعا حتى بلغوا سواحل المحيط الهندي(٢) • وفي اعقابهم جاء الهوتنتوت من شرق افريقيا أيضا ليستقروا في المنطقة الواقعة بين مصب نهر كونيني وشبه جزيرة الكاب(٣) •

وخلال المدة ١٥٩٠ ـ ١٦٢٠ عبرت قبائل البانتو نهر ليمبوبو باتجاه جنوب افريقيا قادمة من شرق افريقيا أيضا • وبعد عبورهم انقسموا الى مجموعتين رئيسيتين • الاولى مجموعة نجوني التي عبرت جبال دراكنزبرج من ترانسفال ثم تفرقت في أربع قبائل ، اتجهت نحو الاراضي الساحلية شبه الاستوائية في الناتال ، فأقام السوازي في الشمال الشرقي • واستوطن الزولو والبوند والاكسوسا على امتداد الساحل باتجاه الكاب حتى وصلوا الى نهر كي • واما المجموعة الثانية فهي مجموعة سوثو التي استقرت في الاجزاء الداخلية بين جبال دراكنزبرج وصحراء كلهاري • ووصل الفرع الجنوبي للسوثو الى ولاية اورنج الحرة خلال القرن السابع عشر ، بينما استقر السوثو الشماليون في الترانسفال(٤) •

كانت الحياة الاجتماعية عند هذه السلالات الافريقية الثلاث متشابهة تقوم على التنظيم العشائري . فالتأريخ يخبر بنا بان البشمن كانوا ينتظمون في زهاء مائة قبيلة ، وكل قبيلة تنقسم الى عدة عشائر ومجموعات وكانت كل مجموعة تتكون من عدة عائلات صغيرة تعيش متجاورة ، لكل منها كوخها بالقرب من مورد مائي ، وتنتمي كل مجموعة الى جد واحد ، ولها لغة واحدة ، ومساحة من الأرض تلزمها ولا تخرج منها . ومجتمع البشمن مجتمع انعزالي منفصل لا تتعاون فيه المجموعات فيما بينها الا في الحالات النادرة . فالعشائر تعيش متباعدة لا يكاد يعرف بعضها بعضاً ولا توجد بينها صلة . اما حالة التعاون القائم بين أفراد المجموعة الواحدة فيتمثل في حالة الصيد وتقسيم نتاجه وفي درأ الاخطار المشتركة . ويشرف على تنظيم كل مجموعة كبار السن وذوو الخبرة من الرجال ، وفي بعض القبائل يوجد نوع من الرئاسة الوراثية ، حيث يتمتع الرئيس بقيادة حملات الصيد والقيام ببعض الطقوس الدينية ، ولكنه لا يمارس أية سلطات قضائية باستثناء حالات نادرة .

وكان الهوتنتوت ينقسمون الى قبئل عديدة أكثر تنظيما . وكل قبيلة تتكلم بواحدة من أربع لهجات محددة ، وتبعا لذلك انقسم الهوتنتوت الى أربع مجموعات لغوية هي الناما والكورونا والجواناكو والكاب . وفي كل قبيلة عشيرة تتركز فيها زعامة القبيلة ، وعلى رئيس العشيرة أن يتشاور مع زعماء العشائر الاخرى في الشؤون العامة للقبيلة . والسائد ان تعيش كل قبيلة بمفردها معظم أيام السنة ، ولكن العشائر قد تجتمع في بعض المواسم في مكان واحد .

وهكذا كان مجتمع البانتو أيضا ، فهم ينتمون الى عدة قبائل ، ولكل قبيلة رئيس ، ومساحة من الارض تتناسب طرديا مع عددها وقوتها . ويتميز الرئيس في مجتمع البانتو بقدرته على تنفيذ العرف والقانون

القبلي . وهو ملزم باستشارة المجلس القبلي أو القبيلة في الظروف الاعتيادية ، ولكنه يتمتع بالحكم المطلق في الحالات الطارئة .

واذا نظرنا الى النظم الاقتصادية التي كانت سائدة عند هذه السلالات نجدها تقوم على أساس الملكية الجماعية لكل الموارد الاقتصادية المتاحة ، الا انهم يختلفون اختلافا كبيرا في الحرف ، فالبشمن يعتمدون على الجمع والالتقاط والصيد . والعنصر الهام في حياتهم هو البحث عن الطعام سواءاً على مستوى الافراد او العشيرة ، اما الهوتنتوت فكانوا يربون الابقار والماشية ويمارسون تعدين الحديد ويصنعون منه الادوات والرماح والسهام . واما البانتو فكنوا أكثر تطوراً ، اذ كانوا يمارسون الرعي والزراعة .

والظاهرة البارزة في جنوب افريقيا هي نشوب الصراعات والحروب بين البشمن والهوتنتوت والبانتو حيثما التقى بعضها بالبعض الاخر ، بسبب اختلاف العشائر حول ملكية الارض ، ورغبة كل منها في المحافظة على أرضه ، وعلى توسيعها باطراد ، في سبيل تغطية حاجات العشائر التي يزداد افرادها سنة بعد أخرى . ولما كان البانتو أكثر عددا وافضل تنظيما واقوى زعامة من البشمن والهوتنتوت ، لذا استطاعوا الاستيلاء على أراضي شاسعة تتمثل فيما يعرف اليوم : الترانسفال وولاية اورنج الحرة والناتال ومقاطعة الكاب وجنوب غرب افريقيا وليسوتو وسوازيلاند وبوتسوانا . اما البشمن والهوتنتوت الضعفاء المتفرقون ، فقد تعرضوا للقتل والتشريد ، وفقدوا اراضيهم ، باستثناء مقاطعة الكاب وصحراء كلهاري وجنوب غرب افريقيا .

وفي بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأ اول استيطان اوربي في جنوب افريقيا . ففي ٦ نيسان سنة ١٦٥٢ وصلت الى خليج تيبل ثلاث سفن تحمل أول مجموعة من الهولنديين بقيادة جان فان ريبك

Jan Van Riebeeck ، بناءا على أمر من شركة الهند الشرقية الهولندية(٥) . وفي الايام التالية شرعت هذه المجموعة ببناء محطة استراحة في منطقة الكاب لخدمة السفن التي تدور حول افريقيا باتجاه جزر الهند الشرقية وبالعكس . كما شرعت باعداد الخطط لزراعة الحدائق وتربية الماشية لامداد السفن بحاجتها من الخضروات والفواكه واللحوم ، وعندما علم الهوتنتوت بذلك شرعوا بالدفاع عن اراضيهم الرعوية التي احتلها الهولنديون . وبعد حربين قصيرتين استسلم الهوتنتوت وقبلوا العمل في مزارع ومواشي الهولنديين .

وفي سبيل استغلال أراضي شركة الهند الشرقية الهولندية التي استولت عليها بالقوة ، وتوفير المواد الغذائية لسوق مدينة الكاب ، جيء بالفلاحين من هولندة سنة ١٦٥٧ ، كما جيء بالعبيد من ساحل الذهب وموزمبيق ومدغشقر ، وجيء أيضا بالملاويين من الملايو ، ونظرا لنقص عدد النساء الهولنديات في الكاب في المراحل الاولى من الاستيطان اقبل الهولنديون على التزاوج من نساء الهوتنتوت وظهرت جماعة كبيرة من المولدين ، كان يطلق على افرادها في البداية اسم (ابناء الحرام) ، ثم عرفوا فيما بعد بالجريكا أو الرجبوت أو الملونون .

ومع تزايد الطلب على المواد الغذائية ، والدعم الذي كانت تقدمه شركة الهند الشرقية الهولندية للاستقرار وفلاحة الارض ، اخذت افواج الهولنديز تتوافد على الكاب . وأعقبهم الفرنسيون البروتستانت والالمان والايطاليون(٦) ، حيث سمى هذا الخليط الاوربي بـ (البوير) وهي كلمة هولندية الاصل تعني الفلاح . وقد استغلت الشركة ظاهرة الاضطهاد الديني في اوربا في تشجيع حركة الهجرة الى الكاب . ففي عام ١٦٨٥ الغى لويس الرابع عشر مرسوم (نانت) الذي استمر يحمي البروتستانت طيلة سبعة وثمانين عاما(٧) . فتعرض الهيجونوت في فرنسا للاضطهاد ،

واضطروا للهجرة الى جنوب افريقيا ، طلبا للحرية في ممارسة مذهبهم الكلفني ، وللاقامة بصورة دائمية • وقد استقبل الهولنديون هؤلاء المهاجرين بالترحاب • ولا عجب في ذلك ، لان الهولنديين من اتباع كلفن أيضا • وخلال جيل واحد ، اتحد الهولنديون والفرنسيون الهيجونوت بحكم المذهب الواحد والمصالح المشتركة • وسرعان ما ساد الجميع بأنهم مواطنون أحرار من اهل افريقيا بدلا من أوطانهم الاصلية • وان عليهم ان يعيشوا منفصلين عن السكان الوطنين ، لانهم ارقى عرقيا وحضاريا •

ان ازدياد عدد المستوطنين الاوربيين في منطقة الكاب وازدياد الطلب على اللحوم دفعهم للهجرة باتجاه داخل البلاد سعيا وراء الارض الصالحة للزراعة والرعي • وكانت جميع الاراضي المستولى عليها من قبل هؤلاء الاوربيين تعد من الناحية القانونية ملكا لشركة الهند الشرقية الهولندية • ويستطيع البوير استئجارها لتصبح منحة دائمة ومعفاة من الايجار بعد انقضاء خمس سنوات ، فاستولوا وبسرعة على مساحات كبيرة من الاراضي • ففي عام ١٧٥٠ كان الاوربيون لا يبعدون سوى خمسة وخمسين ميلا عن مدينة الكاب • وبعد عام ابتعدوا الى مسافة ٢٢٥ ميلا ، وبحلول عام ١٧٧٥ انتشروا الى مسافة ٥٠٠ ميل أخرى(٨) •

وفي أثناء هذا الانتشار السريع واجه الاوربيون مقاومة عنيفة من قبائل البانتو ، ففي عام ١٧٠٢ التقى الصيادون البوير بهذه القبائل لأول مرة ، ولكن الحروب والمعارك العنيفة بين الطرفين لم تتم حتى سنة ١٧٧٥ حين تقابلت قبيلة الاكسوسا مع الاوربيين عند نهر جريت فش • كان لهذا اللقاء أهمية بالغة الخطورة في حياة سكان جنوب افريقيا ، لانه أدى الى سلسلة من الحروب والمعارك العنيفة بين طرفين قويين ، كان كل منهما يدفع حدوده الى الامام ، وكان كلاهما يشتغل بتربية الماشية ويريد التوسع على حساب الاراضي التي ترعى فيها ماشية الطرف الاخر • ولما ازدادت

كثافة الاستيطان على جانبي النهر اتسع نطاق سرقة المواشي بين الطرفين وابتدأت حروب الكفار سنة ١٧٧٩ وامتدت لمدة مائة عام .

وشهد القرن الثامن عشر مجيء المستوطنين الانكليز ، ففي عام ١٨٠٦ احتل الانكليز مقاطعة الكاب لتبقى مستعمرة لهم حتى ١٩١٠ ، وقد أدى هـذا الاحتلال الى تغيرات سكانية واجتماعية وسياسية في جنوب افريقيا . ففي عام ١٨٢٠ وصل الى هـذه البلاد خمسة آلاف مستوطن بريطاني تنفيذا لمشروع قديم ليستهدف تدعيم السيطرة البريطانية على منطقة الباني . واستقر هؤلاء الوافدون في المنطقة الشرقية حول بورت اليزابث(٩) ، ثم جاء بعدهم آخرون واستقروا في منطقة الناتال .

هذا ، وقد شرع الانكليز منذ اللحظة التي وطأة فيها أقدامهم اقليم الكاب بتنفيذ سياسات تستهدف اضعاف البوير والانفراد بالسلطة ، ففي عام ١٨٢٨ أصدرت الادارة البريطانية المرسوم رقم (٥٠) الذي يعد من أهم الاصلاحات التي ادخلها الانكليز في حياة السكان الوطنيين في جنوب افريقيا . فقـد أعطى المرسوم المذكور ، ولأول مرة ، الحق للهوتنتوت والبشمن والملونيين بان يمتلكوا الارض والغى اجبارهم على العمل ، والغيت قوانين حمل جوازات المرور . ولم يعد بالامكان القبض بتهمة التشرد على العاطلين من غير البيض ، وضمنت حقوق متساوية للبيض والسود سواء بسواء ، ولكن البوير اعتبروا هذه الاصلاحات ضد مصلحتهم وبأنها تتعارض مع قوانين الله ، وفي هذا السياق اقدمت بريطانيا على الغاء الاسترقاق في جميع امبراطوريتها استجابة لعدة عوامل ، منها ايقاف تهجير الزنوج من افريقيا الى الولايات المتحدة الامريكية بعد انتصار الثوار واستقلالها عن بريطانيا ، ولما كانت التنمية الزراعية في الاجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة تعتمد بشكل أساسي على الأيدي العاملة الزنجية ، فان هذا المنع سيعمل على عرقلة تلك التنمية ، ومنها رغبة بريطانيا في الابقاء على الايدي

العاملة الزنجية في مستعمراتها لاستغلالها في استثمار الموارد الاقتصادية المحليـة ٠

لقد تدهور وضع البوير بعـد الغاء تجارة الاسترقاق في مستعمرة الكاب سنة ١٨٣٤ ، لانهم فقدوا عبيـدهم الذين يشكلون الايدي العاملة الرئيسة في الاعمال الزراعية وتربية المواشي ، وراحوا يشكون من ان الهوتنتوت والملونيين لا يريدون العمل عندهم ٠ وهكذا وجد البوير انفسهم مضطرين الى ترك منطقة الكاب الخاضعة للسيطرة البريطانية والتوغل مرة أخرى في أراضي البانتو ، وفي خريف عام ١٨٣٥ قررت حوالي مائة وخمسون اسرة بويرية مغادرة الكاب باتجاه اعماق الفيلد ، وفي العـام التالي بدأت الهجرة الكبرى للبوير ، اذ انتقل عشرة آلاف بويري في عربات تجرها الثيران خصصت لحمل الامتعة والنساء والشيوخ والاطفال ، بينما ركب الرجال الخيول وهم يحملون البنادق منطلقين عبر نهر الفال الى سـهول ترانسفال الواسعة وسوازيلاند بهـدف الحصول على الارض والماشية ، وبينما كان البوير يواصلون زحفهم نحـو الشمال اصطدموا بقبيلة الماتابيلي في منطقة الفال سنة ١٨٣٦ فهزموهم شر هزيمة ، وسلبوا أراضيهم ومواشيهم واضطروهم للفرار والاستقرار في زمبابوي ٠ كما اتجه البوير نحو الشرق عبر ممرات جبال دراكنزبرج الى اقليم الناتال ، حيث تتوطن قبيلة الزولو أقوى قبـائل البانتو واكثرها شجاعة وتنظيما ٠ فاشتعلت نار الحرب بين الطرفين ، وفي معركة نهر الدم الفاصلة في ١٦ كانون الاول سنة ١٨٣٨ ، انتصر البوير على الزولو وشتتوهم واستولوا على جميـع اراضيهم ومواشيهم أيضا ٠ ثم اعلنـوا قيام جمهورية ناتال البويرية المستقلة سنة ١٨٣٩ ، التي اعلنت التزامها بتنفيـذ سياسة عنصرية قاسية تجاه السكان الافارقة ٠

سارعت القوات البريطانية نحو احتلال الناتال واسقاط جمهوريتها

البويرية سنة ١٨٤٣ ، خدمة لمصالحها الاستعمارية في افريقيا ، ولحرمان البوير من فرصة الوصول الى البحر والاتصال بالعالم الخارجي ، وهكذا وجد البوير انفسهم مجبرين على تنظيم هجرة أخرى ومغادرة الناتال باتجاه الفيلد • فعبروا ممرات جبال دراكنزبرج في عربات تجرها الثيران • وتوجه بعضهم نحـو شمال نهـر الفال على مقربة من جمهورية بوتشيفستروم البويرية (١٨٣٨ - ١٨٦٠) واقامـوا ثلاث جمهـوريات هي : ليـدبنرج وزاويتانسبرج واوترخت ، واقام الباقون جمهورية وينبرج جنوب نهـر الفـال ، وفي عـام ١٨٦٠ توحدت جميع هـذه الجمهوريات البويرية في جمهورية اورنج الحرة وجمهورية ترانسفال •

ان العوامل المسؤولة عن هجرة البوير الكبرى كثيرة ، اذ يذهب بعض المؤرخين الى تقديم الاسباب التالية : البحث عن أرض افضل وضرائب أقل ، المرارة التي ملأت النفوس بسبب تحرير العبيد ، عـدم اطمئنان البوير الى حقوق ملكيتهم للارض في ظـل القانون الانكليزي ، القلق من السياسة البريطانية ازاء البانتو والاعتقـاد بان المعاهدات المعقودة مع الوطنيين ليس لها تأثير فعال ، والغارات المستمرة التي كان يشنها البانتو عبر نهر جريت فش • ويذهب البعض الاخر في تقديم اسباب اخرى منها رغبة البوير في حماية دينهم من تأثير اللاهوت الحديث والخوف من قيام الحكومة البريطانية بفرض الكاثوليكية عليهم ، والاستياء من تدخـل البريطانيين في العلاقات التقليدية بين السادة والعبيد ، وربما كان العامل الاخير أقوى دافع على هذه الهجرة •

اما العوامل المسؤولة عن انتصار الاوربيين على الافارقة فترجع الى قوة اسلحتهم ، اذ لم يستطع الافارقة رغم كثرة عددهم ان يصمدوا أمام اسلحة الاوربيين الحديثة المتطورة ، فكان امتلاك الاوربيين لاسلحة ارقى تعوض النقص في عددهم •

وفي عقد الستينات من القرن التاسع عشر اخذ الاسيويون ، الذين يشكل الهنود غالبيتهم ، يتوافدون الى جنوب افريقيا وبصفة خاصة على اقليم الناتال . ففي عام ١٨٦٠ جيء بالعمال الزراعيين من الهند للعمل في مزارع قصب السكر في الناتال بدلا من الافارقة . وجيء بآخرين للعمل في دوائر الدولة موظفين وكتبة لمعرفتهم باللغة الانكليزية(١٠) .

وبعد اكتشاف الماس في كمبرلي (١٨٦٧) والذهب في الترانسفال (١٨٨٦) والبلاتين والكروم والنحاس والمنغنيز ، جاء الى جنوب افريقيا آلاف الاوربيين ، جالبين معهم رؤوس الاموال والتقنية والمهارات اللازمة لقيام الصناعة وتطورها . ومن النتائج الاخرى التي اسفرت عن اكتشاف الثروة المعدنية الهائلة في جمهوريات البوير اشتداد الصراع بين البوير والانكليز ، اذ اخذ الانكليز الذين كانوا يسيطرون على اقليم الكاب والناتال فقط يعدون الخطط والتجهيزات لاحتلال جمهوريات البوير (الترانسفال والاورنج) والقضاء على استقلالهم وارغامهم على قبول السيادة البريطانية ، وبالتالي الاستحواذ على تلك الثروة المعدنية الهائلة ، وفي عام ١٨٩٩ تفجر الصراع في حرب ضروس وقتال مرير وعنيف بين البوير والانكليز ، انتهى بانتصار الانكليز واجبار البوير على توقيع معاهدة فيرينجينج عام ١٩٠٢ . وبموجب هذه المعاهدة اعترفت جمهوريتا الاورنج والترنسفال بالحماية البريطانية . وهكذا وطدت بريطانيا سيطرتها الكاملة على جنوب افريقيا . وفي عام ١٩١٠ توحدت هذه البلاد تحت اسم اتحاد جنوب افريقيا ، وأصبحت تضم أربع ولايات هي الكاب والاورنج وناتال والترنسفال تحت اشراف التاج البريطاني ، واندرج كدولة من دول الكومونولث بالامبراطورية البريطانية . وفي عام ١٩٦١ اعلنت جنوب افريقيا جمهورية وانسحبت من الكومونولث .

٢ ـ التركيب العنصري للسكان :

يبلغ عدد السكان في جمهورية جنوب افريقيا ٣٥ر٠٩٠ر٠٠٠ نسمة ، حسب تقديرات الباحث لسنة ١٩٨٦ ، وتدل الاحصاءات السكانية المنشورة على ان هذه الجمهورية تحتل المكانة الرابعة بعد نيجيريا ومصر واثيوبيا في القارة الافريقية(١١) ٠ والارقام الواردة في الجدول (١) تبين ان عدد السكان بدأ في النمو بسرعة منذ اوائل القرن العشرين ٠ ففي عام ١٩١١ بلغ عدد السكان ٥ر٩٧٣ر٠٠٠ نسمة ، ارتفع الى ١١٤١٦٠٠٠ نسمة في ١٩٤٦ ، ثم ارتفع مرة أخرى الى ٢٦ر٥٨٢ر٠٠٠ نسمة في ١٩٧٧ ٠ وبلغت الزيادة في عدد السكان ٣٤٥٪ للمدة ١٩١١ ـ ٩١٧٧ ، غير ان هذه الزيادة لم تكن متساوية بين عناصر السكان (شكل ١) ، فقد ازداد الاوربيون بنسبة ٢٤١٪ مقابل ٤٠١٪ للاسويين و٣٧٣٪ للافريقيين و٣٧٢٪ للميلونيين وسوف نتعرض لدراسة هذه المجموعات العنصرية طبقا لبيانات ١٩٧٧ ، لانها تمثل احدث احصاء متاح ، ولاهميتها في تبيان التوزيع المكاني لمختلف العناصر ٠

١ ـ ٢ الافريقيون (السود) :

يعرف الافارقة في جنوب افريقيا بالسود وهم يمثلون أكبر مجموعة عنصرية في هذه البلاد ، والبيانات الواردة في الجدول (١) تبين ان عددهم ازداد باطراد من أربعة ملايين نسمة في ١٩١١ الى تسعة عشر مليون نسمة في ١٩٧٧ وبمعدل ٣ر٣٪ في السنة ٠ وهكذا ارتفعت نسبتهم الى جملة السكان من ٣ر٦٧٪ الى ٥ر٧١٪ ٠

يتألف معظم الافارقة في جمهورية جنوب افريقيا من البانتو وهؤلاء ينتمون الى مئات القبائل ، وباعتبار اللغة السائدة يمكن تقسيم البانتو الى أربع مجموعات لغوية رئيسة هي :

أ ـ مجموعة نجوني :

تعد مجموعة نجوني أكبر مجموعة لغوية في جنوب افريقيا ، اذ يبلغ عـدد الناطقين بهـا احد عشر مليون نسمة ، اما قبائلها فتشمل الزولو (٤ر٥ مليون نسمة) والاكسوسا (٤ر٤ مليون نسمة) وندبيله وسوازي ، وجميع هذه القبائل تسكن في شرق جبال دراكنزبرج في اقليمين رئيسين ، الأول في شرق الكاب ومعظـم الناتال بين نهر سونداج ، شرق بورت اليزابت ، ونهر توجيلا ، شمال دربان • وهنا تعيش قبائل اكسوسا في ترانسكي حول مدينة ايست لندن • كما تعيش قبائل الزولو في الناتال حول مدينة دربان ، وتنتشر قبائل البوندو والتنمبو بين قبائل الاكسوسا والزولو، والثاني يمتد من سوازيلاند الى الشمال من الناتال وتسكنه قبيلة سوازي ، كما يمتد الى قبيلة ندبيلة في جنوب شرق ووسط الترانسفال •

ب ـ مجموعة سوثو ـ تسوانا :

تأتي مجموعة سوثو ـ تسوانا بالمرتبة الثانية بعد مجموعة نجوني • فعدد أفرادها لا يقل عن ٢ر٦ مليون نسمة • اما قبائلها فتتكون من سوثو الشمال وسوثو الجنوب وتسوانا • ومن المعروف ان مجموعة سوثو تستقر في الهضبة الوسطى الى الغرب والشمال الغربي من جبال دراكنزبرج ، وبصورة خاصة في حوض اوليفانس في شرق الترانسفال ، وفي مرتفعات باسـوتو • اما تسـوانا فتسكن في غـرب الفـال واللمبوبو في اراضي بوتسوانا •

ت ـ مجموعة شانجا ـ تسونجا :

تتوطن مجموعة شانجا ـ تسونجا في شمال الترانسفال الى الجنوب من مجموعة فندا • ويبلغ عددها أكثر من مليون ومائة الف نسمة •

ث ـ مجموعة فندا :

يبلغ عدد افراد مجموعة فندا سبع مائة الف نسمة ، لهذا فهي اصغر مجموعات البانتو عددا ، اما منطقة سكناها فتقع في حوض نهر اللمبوبو الى الشمال من مجموعة شمانجا ـ تسونجا ٠

والى جانب مجموعات البانتو توجد مجموعة صغيرة من الهوتنتوت تسمى كورانا تعيش في منطقة جريكا غربي التقاء نهر الاورنج برافده الفال(١٢) ٠

هذا وقد اظهر الاحصاء السكاني لعام ١٩٧٠ ان ٦٥٪ من الافارقة يسكنون الارياف ، اما البقية فيسكنون في المدن ، ولاسيما جوهانسبرج وايست لندن وفيرينجينج ودربان وبريتوريا وبورث اليزابث (جدول ٢) ٠

٢ ـ ٢ الاوربيون (البيض) :

يأتي الاوربيون بعد الافارقة من حيث العدد وبفارق كبير ، فالارقام الواردة في الجدول (١) تبين ان عددهم هو ٤٫٣٥٠٫٠٠٠ نسمة لسنة ١٩٧٧ ، وهذا يعادل ١٦٫٣٪ من جملة السكان ، وهم يزدادون ببطيء وبمعدل لا يتجاوز ١٫٤٪ في السنة ، يضاف الى هذه الزيادة الطبيعية ، هجرة اوربية صافية وافدة بمعدل ٣٠٫٠٠٠ فرد في السنة ، يأتي معظمهم من بلدان اوربا الغربية ولاسيما المملكة المتحدة ، ويلاحظ ان معدل صافي الهجـــرة الوافدة في السنوات الاخيرة اتسم بالذبذبة والتناقص بسبب اشتداد مقاومة الافارقة لسياسة التفرقة العنصرية ٠ ففي عام ١٩٨٣ بلغ عدد صافي الهجرة من الوافدين البيض الى جمهورية جنوب افريقيا ٢٢٢٣٦ شخصا مقابل ٣٨٩٥٢ شخصا في ١٩٨٢ و٣٢٧٥١ شخصا في ١٩٨١ ، وكانت زمبابوي والمملكة المتحدة المصدرين الرئيسين للمهاجرين في عـام ١٩٨٣(١٣) ٠

يظهر من الجدول (١) ان عدد الاوربيين ارتفع خلال المدة ١٩١١ ـ ١٩٧٧ من ١٫٢٧٦٫٠٠٠ نسمة الى ٤٣٥٠٠٠٠ نسمة أي بنسبة ٢٤١٪ ، وهي أدنى من نسب نمـــو المجموعات العنصرية الاخرى . وتبعا لذلك انخفضت نســـبة الاوربيين الى جملة السكان من ٢١٫٤٪ الى ١٦٫٣٪ واصبحت حالة التوازن السكاني لصالح الافارقة وبفارق كبير . فاليوم يقف أمام كل اوربي أكثر من اربعة افارقة .

ينقسم الاوربيون في جمهورية جنوب افريقيا باعتبار لغـــة الام والخلفية التأريخية الى قسمين رئيسيين هما الافريكانز والانكليز وبنسبة ٥٨٪ ، ٣٧٪ على التوالي . وهناك ٥٪ من الاوربيين يتحدثون بلغـــات اوربية اخرى(١٤) ، والافريكانز مجمـــوعة اوربية تنحـــدر من اولئك الهولنديين والفرنسيين الذين استوطنوا الكاب سنة ١٦٥٢ ، اما الانكليز فهم احفاد اجدادهم الأوائل الذين استقروا في الكاب والناتال سنة ١٨٢٠ ، واليوم يتركز كلا الافريكانز والانكليز في المدن . واحصاء ١٩٧٠ يبين ان ٨٦٪ من الاوربيين يستقر في المـــدن ولاسيما جوهانسبرج وكيب تاون وايست راند ودربان وبريتوريا وبورث اليزابث وفرينيجنج وساسولبرج (جدول ٢) . ويذهب بعض الكتاب الى ان تطوير جمهورية جنوب افريقيا في مجال التعدين والصناعة والتجارة والنقل والمواصلات ، اعتمد اعتمادا كبيرا على نشاط السكان الانكليز ، بينما بالغ الافريكانز (البوير) في المحافظة على الطابع الريفي وتطوير الزراعة والرعي .

٣ ـ ٢ الملونون :

يبلغ عدد الملونيين ٢٫٤٧٠٫٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٧٧ أو ما يساوي ٩٫٣٪ من جملة سكان جمهورية جنوب افريقيا ، وهي نسبة تكاد ان تكون ثابتة طيلة العقود السبعة الماضية . والارقام الواردة في

الجدول (١) تبين ازدياد عدد الملونيين بمعدل ٣٪ في السنة خلال عقد الستينات • ولكن المعدل هبط الى ٢ر٤٪ في السنة ابتداء من عام ١٩٧٠ بسبب انخفاض معدل المواليد ، ومع ذلك ، فان معدل النمو السكاني عند الملونيين أعلى من نظيره عند الاوربيين •

يسكن ٧٤ر٣٪ من الملونيين في المدن ، وهم يتركزون تركزا كبيرا في كيب تاون وبورث اليزابث وجوهانسبرج • ويتكلم الملونون باللغة الافريكانية والانكليزية ، ولكن اللغة الاكثر شيوعا بينهم هي الافريكانية ، اذ يبلغ عدد الناطقين بها زهاء ٩٠٪ من مجموع الملونيين • وهذه الحقيقة تكشف عن عمق الروابط التأريخية بينهم وبين الهولنديين الاوائل • وبحكم نفس المؤثرات أصبح معظم الملونيين من اتباع الكنائس الهولندية تليها الانكليزية ، وهناك اقلية ملونة (٥٪) تؤمن بالديانة الاسلامية ، وغالبية الملونيين تعمل في الزراعة والمصانع والخدمة المنزلية لدى الاوربيين•

٤ ـ ٢ الأسيويون :

يمثل الاسيويون أصغر مجموعة عنصرية في جمهورية جنوب افريقيا• وقد ازداد عددهم باطراد من ١٥٢ر٠٠٠ نسمة في ١٩١١ الى ٧٦٢ر٠٠٠ في ١٩٧٧ وبمعدل ٢ر٢٦٪ في السنة • ومع ذلك ، بقيت نسبهم الى اجمالي السكان في حدود ٣٪ • ولقد اثار تزايد الاسيويين السريع عن طريق الزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة قلق المجموعة الاوربية الحاكمة ، ومن أسباب هذا القلق كون معظم الاسيويين من أصل هندي ، وارتفاع وعيهم السياسي ونشاطهم المتميز في الاعمال المالية والتجارية ، وانتمائهم الى دولة كبيرة لها وزنها في الميدان الدولي ، كل هذه العوامل جعلت حكومة جنوب افريقيا تأمر بوقف هجرة الهنود الحرة اليها سنة ١٩١١ ، ثم عقدت اتفاقية مع الهند لتشجيع عودة الهنود الى وطنهم ، الا ان عدد الذين عادوا الى الهند كان خمس عشرة الف نسمة حتى عام ١٩٤٧ •

يستقر ثلاثة أرباع الاسيويين في اقليم الناتال ، اما البقية فيتوزعون في الترانسفال والكاب ، ويندر وجودهم في ولاية اورنج بسبب عدم سماح السلطات لهم بالاقامة هنا قانونيا • وبيانات ١٩٧٠ تبين ان نسبة التحضر عند الاسيويين تبلغ ٨٤٫٣٪ ، وهي نسبة مماثلة لنظيرتها عند الاوربيين ، وتكاد ان تكون مدينة دربان مدينة هندية ، ففيها يتركز ٤١٪ من الاسيويين ، وعددهم فيها يمثل ٣٨٪ من اجمالي السكان (جدول ٢) ، ولا زالت المجموعة الاسيوية تتكلم بلغات هندية متنوعة • كما تتكلم باللغة الانكليزية ، والتي أصبحت لغة التفاهم بين الجميع ، والديانة الشائعة بين الاسيويين هي الهندوسية (٧٠٪) والاسلام (٢٠٪) ، هذا ، وقد اشتغل الاسيويون اولا كاجراء في مزارع السكر التابعة للانكليز في الناتال ولكن بمجرد انتهاء عقودهم تحول قسم كبير منهم الى العمل الحر ، وبحلول القرن العشرين أصبح معظمهم يشتغل في المعامل والامور المالية وظهر منهم ملاك للاراضي وتجار اثرياء قاموا بمشاريع تجارية ناجحة بالاشتراك مع الاوربيين خصوصا في مدينة دربن(١٤) •

٣ ـ التمييز العنصري :

ظهرت سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا منذ بداية الاستيطان الاوربي ، اذ سيطر المستوطنون الاوربيون على الافارقة وعاملوهم معاملة العبيد • وقد استخدم الاوربيون الدين لتبرير فكرة استعلائهم على الافارقة في البداية • كما استخدموا فكرة تفوق الجنس الابيض على الاسود من الناحية العنصرية والحضارية •

وقد اصدر الاوربيون في القرن التاسع عشر مجموعة قوانين تهدف الى تثبيت التمييز العنصري ، أهمها قانون المرور الذي صدر في عام ١٨٠٩ بحجة منع التشرد(١٥) الذي يفرض على السكان من غير الاقلية البيضاء حمل بطاقات المرور Laissez Passer التي يسمح بواسطتها

التجول ، وقانون الخدم والمخدومين ، الذي ينظم علاقة العمال السود بأرباب العمل البيض ، ودستور ١٨٥٦ الذي رفض العناصر غير البيضاء من الناحيتين الاجتماعية والسياسية ، وفي عام ١٨٨٧ أصدر الاوربيون قرارا بشطب ٣٠٠٠٠ افريقي من الجداول الانتخابية في اقليم الكاب بغية السيطرة على المجالس البرلمانية والتحكم في الافارقة ·

وعندما ظهرت حكومة اتحاد جنوب افريقيا في عام ١٩١٠ امعنت في سياسة التمييز العنصري وتوجيه الادارة والتشريع لخدمة الاوربيين · فقد راعى دستور الاتحاد الذي وضع في ١٩٠٩ ان يسير نظام الحكم على نمط النظام البرلماني الاوربي مع اقتصار عملية انتخاب الاعضاء على الاوربيين · اما السلطة التشريعية فتتمثل في مجلس شيوخ كل أعضائه من الاوربيين (٤٥ عضوا) ومجلس نواب (١٧٠ عضوا) من الاوربيين أيضا ، بالاضافة الى ممثلي الملونين الذين يبلغ عددهم (٤٠ عضوا) · وترتب على ذلك ان المجتمع الاوربي أصبح يتمتع بشكل من الديمقراطية البرلمانية يسمح لاعضائه بانتخاب ممثله في الجمعية العامة (مجلس النواب ومجلس الشيوخ) · في حين احتفظ كل اقليم بطريقته في تمثيل غير الاوربيين · فقد اقتصرت الحقوق البرلمانية على اتاحة الفرصة للافريقيين والملونين الاكفاء تقييد اسمائهم في سجلات الناخبين في مدينة الكاب ، ولكنها لم تقدم أي تمثيل مباشر لغير الاوربيين في الناتال والترانسفال والاورنج · واما الاسيويون فلم يتمتعوا بحقوق التصويت في الانتخابات ولا بحقوق ارسال ممثلين عنهم الى الجمعية العامة · وبذلك اصبحت الاقلية الاوربية هي التي تختار الهيئات التشريعية كما انها هي التي تشكل الهيئة التنفيذية(١٦) · ولكي تحقيق سيطرتها باستمرار سيطرت باستمرار على الجيش والبوليس ، وأصبحت الحكومات المتعاقبة تشكل اساسيا من البيض ·

وبعد انتخاب البرلمان الاتحادي أصدر تشريعات عاجلة ترمي الى سلب ما تبقى من يد الافارقة من أراضي ، فصدر قانون الارض الوطنية في عام ١٩١٣ ، وبموجبه حرم الافارقة من تملك الارض خارج المعازل والتي لا تزيد مساحتها على ١٣٪ من مساحة البلاد ، وخصصت الحكومة في عام ١٩٢٢ كثيرا من الاعمال التي تتطلب المهارة للاوربيين وحدهم • وفي ١٩٢٤ أبعدت حكومة الاتحاد آلاف الافريقيين عن مراكز المدن ومن الاكواخ التي اقاموها بقربها • وتقرر شطب أسماء افريقي الكاب في ١٩٣٦ من جداول الانتخابات العامة واصبح يمثلهم ثلاثة أعضاء من الاوربيين • وسمح للافارقة بانتخاب أربعة شيوخ بيض بطريقة غير مباشرة من جميع أنحاء الدولة ، وثلاثة أعضاء من بين أعضاء الجمعية العامة ، وقد تم انشاء مجلس تمثيل المواطنين الافارقة للتعويض عن شطب اسمائهم من سجلات الكاب الانتخابية ، ولكن هذا المجلس لم يكن اكثر من كونه مجلسا استشاريا اوقفت اعماله لعدم استشارة الحكومة له • اما الملونون الذين ظلوا في سجلات الكاب الانتخابية فقد سمح للرجال فقط بممارسة الانتخاب على ان تتوفر فيهم الشروط اللازمة وبذلك أصبح الاوربيون يسيطرون على غير الاوربيين في جنوب افريقيا •

وكان من بين التشريعات المهمة تجاه الاسيويين اصدار قانون تثبت الاوضاع سنة ١٩٤٣ ، الذي حرم لمدة ثلاث سنوات أي توسع في التجارة الهندية في الترانسفال كما حرم عليهم شراء الارض في الناتال •

يعد تولي الحزب الوطني للسلطة في عام ١٩٤٨ على أثر فوزه في الانتخابات البرلمانية بداية لمنعطف جديد في سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا • فقد كان هذا الحزب الاكثر تطرفا في الميل للتمييز العنصري باعتباره يمثل البوير • وكان من مبادئه ان عدم تبني سياسة قائمة على التمييز العنصري معناه انهيار هيكل العلاقات السياسية

والاقتصادية وتقويض التقاليد الاجتماعية وتهديد السلطان الاوربي في البلاد . واعلن الحزب بانه مكلف بالمحافظة على السيادة الاوربية باكملها(١٧) ، وبان هدفه تحقيق سياسة الابارتهيد (Apartheid) والابارتهيد اصطلاح يعني حرفيا بلغة الافريكانرز (الفصل) قاصدين بذلك الفصل بين الاوربيين وغير الاوربيين فصلا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا(١٨) . وقد حدد رئيس وزراء جنوب افريقيا الدكتور هـ. فيرفورد جوهر سياسة الابارتهيد في خطاب القاه في البرلمان في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٦٣ بالقول (ان سياسة الابارتهيد عند ردها الى ابسط أشكالها ، فان المشكلة ليست اي شيء غير ما يلي : اننا نريد جنوب افريقيا بيضاء ، وابقاءها بيضاء لا يمكن ان يعني الا شيئاً واحدا هو السيطرة البيضاء ، ليست القيادة وليس التوجيه وانما التحكم والاستعلاء . واذا كنا متفقين على ان رغبة الشعب هي انه ينبغي ان يتمكن الرجل الابيض من الاستمرار في حماية نفسه بواسطة الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة البيضاء فاننا نقول ان هذا يمكن تحقيقه من خلال التطور المنفصل)(١٩) .

٤ ـ تطبيقات سياسة التمييز العنصري :

١ ـ ٤ فصل الجماعات العرقية التي يتكون منها السكان

(فكرة الجماعة المنفصلة Separate group (٢٠)

في عام ١٩٥٠ أصدرت حكومة جنوب افريقيا قانون تسجيل السكان لوضع فكرة فصل الجماعات العرقية موضع التطبيق وبمقتضى هذا القانون جرى تصنيف السكان الى أربعة مجموعات عرقية رئيسة هي البيض والبانتو والآسيويون والملونون . وقد اوجب القانون مراعاة الضوابط التالية عند التصنيف :

ـ الشخص الابيض هو الذي (أ) يبدو بوضوح من مظهره انه أبيض ولا تقبله الكافة على انه شخص ملون ، او (ب) تقبله الكافة على انه شخص أبيض ، ولا يبدو واضحا من مظهره انه شخص غير أبيض . لكن الشخص الذي يبدو من مظهره انه ابيض وقبلته الكافة على هذا الاساس ، لن يصنف باعتباره أبيض ، متى كان احد ابويه الطبيعيين قد صنف على انه عضو من عنصر آخر .

ـ البانتو هو الشخص الذي هو بالفعل عضو من أي عنصر اصلي أو من قبيلة افريقية ، أو تعتبره الكافه كذلك .

ـ الشخص الملون هو الشخص الذي لا هو بالابيض ولا بالبانتو . أي في الغالب ذو بشرة سمراء .

ـ والشخص الاسيوي هو الشخص الذي هو من أصل هندي أو باكستاني عموما(٢١) . ويصنف الشخص الذي ينتمي الى ابوين طبيعيين من مجموعة عنصرية واحدة على انه عضو منها ، واذا كان احد الابوين ابيضا والاخر ملون او بانتو ، فان ذلك الشخص يجب ان يصنف ضمن مجموعة الملونين ، اما اذا كان أحد الأبوين ملون والآخر بانتو فان الشخص المذكور يعد من البانتو .

والحقيقة فان سكان جنوب افريقيا يختلفون اختلافا واضحا في صفاتهم الطبيعية ، الامر الذي يمكننا من تصنيفهم الى أربعة سلالات متميزة ، فالاوربيون ينحدرون من السلالة القوقازية ، وهم يتصفون ببشرة يتراوح لونها بين الشقرة والبياض ، والشعر مموج ، والانف مستقيم والشفاه رفيعة والرأس طويل والقامة متوسطة والعيون ذات فتحة طويلة وافقية يتراوح لونها بين الأزرق والبني ، وينحدر الهنود والباكستانيون من نفس السلالة ، الا انهم يتميزون عن الاوربيين ببشرة ذات لون بني داكن . واما البانتو فينتمون الى السلالة الزنجية التي

تتصف بشرتها باللون الداكن الى الاسود ، وشعر الرأس صوفي مفلفل ، والانف مقعر ، وهو في غالبية الأحوال ذو جذر عريض منخفض له فتحات واسعة وعريضة ، والشفاه غليظة ومقلوبة ، والرأس طويل ، والعيون ذات فتحات دائرية متقاربة ولونها أسود ، وللبشمن والهوتنتوت صفات زنجية ومغولية ، ومن ابرز صفاتهم اللون البني المائل الى الصفرة والشعر الشديد التفلفل والعيون الضيقة المنحرفة والعجز المتضخم وخاصة عند النسـاء . واما الملونون فهـم مجموعة خلاسية تتصف ببعض الصفات القوقازية وبعض الصفات الزنجية ، وتسود بين أفرادهم لون البشـرة السمراء(٢٢) .

هذا ، وللتصنيف العرفي أهمية حاسمة بالنسبة للفرد ، اذ انه يحدد للشخص غير الابيض المكان الذي يعيش فيه ، وكيف يمارس حياته ، واي عمل يستطيع ان يؤديه ونوع التعليم الذي يتلقاه والحقوق الاساسية التي يتمتع بها وممن يتزوج والامكانيات الاجتماعية والثقافية والترفيهية المتاحة له ، وبشكل عام مدى حريته في الحركة والتنقل(٢٣) . وتجـدر الاشارة الى قيام الحزب الوطني في عام ١٩٤٩ باصدار قانون يقضي بعدم شرعية الزواج بين الاوربيين وغير الاوربيين .

٢ ــ ٤ الفصل الجغرافي (فكرة المنطقة المنفصلة)

Separate Zone

تعد فكرة الفصل الجغرافي بين الجماعات العرقية الرئيسة في جنوب افريقيا حجـر الزاوية في نظام التمييز العنصري ، ووفقـا لقانون مناطق الجماعات الصادر في عام ١٩٥٠ وتعديلاته جرى تقسيم أرض البلاد الى منطقة اوربية مساحتها ٤١٠٥٦٩ ميلا مربعا ، ومنطقة افريقية مساحتها ٦١٩٣١ ميلا مربعا ، وقـد سميت المساحة المخصصة للافارقة بالمعـازل Reserves . ولم تخصص مساحة معينة للاسيويين والملونيين ، وانما

سمح لهم بالاقامة الدائمة في المنطقة الاوربية ، على ان يجري الفصل بين السكان البيض والملونين والآسيويين بواسطة المناطق الجماعية ٠

ويبدو واضحا ان خطة تقسيم أرض جنوب افريقيا طبقا لقانون مناطق الجماعات تشكل عدوانا خطيرا على حقوق الاغلبية الساحقة من السكان ، فالافارقة الذين يتجاوز عددهم ٧١٫٥٪ من مجموع السكان يبلغ نصيبهم ١٢٫٧٪ من مساحة البلاد ٠ بينما يبلغ نصيب الاوربيين ٨٧٫٣٪ من مساحة البلاد رغم ان عددهم لا يزيد عن ١٦٫٣٪ من مجموع السكان ٠ وهكذا حرم الافارقة من التواجد والتملك في معظم أرجاء البلاد ٠ ويلاحظ ان المساحة المخصصة للافارقة ذات أرض مجدبة غير صالحة للزراعة في الغالب ، كما تعاني من ندرة الثروة المعدنية ، في حين تنعم المساحة المخصصة للبيض بتربة خصبة صالحة للزراعة ، وثروة معدنية هائلة ٠

٣ ـ ٤ الأوطان (Bantustans ‘ Home lands)

نص قانون تطوير الحكم الذاتي للبانتو الصادر في عام ١٩٥٩ وتعديلاته على التجمع التدريجي للمعازل الافريقية (٢٦٤ معزلا) في عشرة اوطان (بانتوستانات) يمارس فيها الوطنيون الحكم الذاتي ، ثم تتطور في المستقبل الى دول مستقلة ، وحجة الحكومة في ذلك انها تسعى نحو تطبيق فكرة الفصل العنصري للبانتو وتحقيق التنمية المستقلة ، كما نص القانون المذكور على ان يكون لكل افريقي من مواطني جنوب افريقيا وطنه القومي في أحد الاوطان العشرة ، وان يكون مهاجرا اذا ما خرج من وطنه المخصص له الى بقية أنحاء البلاد ، سواء المنطقة الاوربية أو الاوطان الافريقية ٠

وتطبيقا للقانون المذكور ، فقد تم انشاء عشرة أوطان هي : بوفوثاتسوان وفيندا وكواندبيلي وترانسكي وسيسكي وسوازي وكوازولو

وجازان كوكو وباسوتوكواكوا وليبوا (خارطة ١) . ومن الاسس التي اعتمدت عند انشاء هذه الاوطان : وحدة القبيلة ، ووحدة اللغة والخلفية التأريخية للاستيطان القبلي . وهكذا أصبحت الاوطان عبارة عن اماكن تسكن في كل واحدة منها قبيلة افريقية معينة . وفي هـذا السياق قامت الحكومة حتى عام ١٩٨٤ بمنح الاستقلال التام الى خمسة أوطان هي : بوفاثاتسوانا وفيندا وكواندبيلي وترانسكي وسيسكي . أما الاوطان الخمس الأخـرى ، سوازي وكوازولو وجـازان كولو وباسـوتوكواكوا وليبوا ، فانها تتمتع بالحكم الذاتي ، وتقتصر حقوقها على ادارة شؤونها المحليـة فقط . ولا يحـق لها انشـاء قوات عسكرية وانتـاج الاسلحة والذخيرة ، كما لا يحق لها اقامة علاقات خارجية أو النظر في شؤون الهجرة والشرطة والامن الداخلي وادارة البريد وسكك الحديد والموانيء والطيران والعملة والرسوم ، لان حكومة جنوب فريقيا هي المسؤول الشرعي عـن ادارة جميع هذه الشؤون .

تعـرض الجداول ٣ و٤ والخـرائط ١ و٢ المرفقة بعض البيانات الاساسية عن أوطان البانتو ، ومن ملاحظتها نستنتج الحقائق التالية :

أ ـ ان الفكرة القائلة بان المناطق المخصصة للافارقة تعد مواطـن تأريخية لهم يناقضها الواقع ، ففي عام ١٩٧٠ الذي جرى فيه الاحصاء الرسمي المعتمـد للتقسيم كان عـدد الافارقـة الساكنين في الاوطـان ٧٫١٧٣٫٠٠٠ نسـمة أو ما يسـاوي ٤٩٪ من جملـة الافارقـة مقـابل ٧٫٤١٥٫٠٠٠ نسمة أو ما يساوي ٥١٪ من جملة الافارقة يستقرون في المنطقة الاوربية ، وهؤلاء لا تربطهـم الا صلة ضئيلة أو لا صلة اطـلاقا بالمناطق المخصصة لهم (جدول ٣) .

ب ـ ان الظروف الطبيعية السائدة في مناطق الافارقة سيئة للغاية ، فالاوطان الموجودة في الشمال والشمال الغربي مثل بوفاثاتسوانا وفيندا

وجازان كولو وليبوا ، تقع في منطقة شبه جافة ، اما الوحدات الواقعة في الشرق ، ترانسكي وكوازولو ، فانها تقع في ارض شديدة التضرس · اذ تقدر نسبة الارض المستوية والمتوجة فيها بأقل من ٢٣٪ ، وتعاني تربتها من شدة التعرية بسبب غزارة الامطار والقطع الجائر للغابات ، وهكذا تحددت الزراعة في ١٥٪ من مساحة ترانسكي وكوازولو ، وانتشرت حرفة الرعي انتشارا واسعا في بقية المساحة ، والانتاج الزراعي محدود لا يوفر سوى ٦٠٪ من حاجة السكان(٢٤) ·

وعلى النقيض من ذلك المنطقة المخصصة للاوربيين فهي تتميز بالاستواء أو التموج والتربة الخصبة ووفرة الموارد المائية واعتدال المناخ · لذا اشتهرت بوفرة الانتاج الزراعي والقدرة على تغطية الحاجة المحلية ، وتصدير عدد من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية الى الاسواق العالمية ·

ت ـ تتركز الثروة المعدنية في الاراضي المخصصة للاوربيين · بينما يندر وجودها في أوطان الافارقة (خارطة ٢) ، وهكذا أصبحت المنطقة الاوربية تزدحم بالصناعات الاستخراجية والتحويلية ، على خلاف الاوطان الافريقية التي أصبحت تعاني من ندرة هذه المؤسسات ، وبوفاثاتسوانا هي الوطن الوحيد الذي يتصف بدرجة من النشاط الصناعي الذي يرتبط باستخراج البلاتين ومعادن أخرى ·

ث ـ تعاني جميع أوطان الافارقة من ضغط سكاني مرتفع ، فالارقام الواردة في الجدول (٤) تبين ان كثافة السكان الواقعية تتراوح بين ٧٠ ـ ٣٠٧ نسمة لكل ميل مربع حسب احصاء ١٩٧٠ ، وفي حالة تواجد جميع البانتو في الاوطان المخصصة لهم فان الكثافة سترتفع الى مستويات تتراوح بين ١١٧ ـ ٦٣٣٣ نسمة في الميل المربع · اما وطن الاوربيين فعلى النقيض من ذلك · فعلى الرغم من سعته وخصوبة أرضه ووفرة مياهه ، الا ان كثافة

السكان فيه لا تتجاوز تسعة أفراد لكل ميل مربع ، ترتفع الى ست عشرة نسمة للميـل المربع اذا أخـذنا بنظر الاعتبار عدد الملونيين والاسيويين المقيمين في أراضي الاوربيين ، وبسبب انعدام فرص العمل أو شحتها في الاوطان تحول سكانها الى مخزن كبير لليد العاملة يرفد المناطق البيضاء بما تحتاج من قوة عمل .

ج – تتصف أوطان الافارقة بصغر المساحة ، فهي تتراوح بين ١٩٨ ميلا مربعا (وطن باسوثوكواكو) و١٨٠٠٠ ميلا مربعا (وطن ترانسكي) . ومن المعلوم ان الدولة ذات المساحة الصغيرة لا يمكن ان تكون امة عظيمة مهما ارتفع مستواها الاقتصادي والحضاري .

ح – يظهر من الخارطة المرفقة ان أوطان البانتو قـد تم تصميمها بشكل يخدم الاهداف الستراتيجية الآتية :

١ – ح – تجزئة الوطن الواحد :

ان ظاهرة تجزئة الوطن الواحد الى وحدات ادارية متباعدة يفصل بينها حيز أرضي اوربي ظاهرة سائدة في أغلب الاوطان وان هذه التجزئة سوف تستمر طبقا لمخططات الاقلية الاوربية . وهذا ما نلاحظه في كوازولو (١٠ وحدات) وبوفوثاتسوانا (٦ وحدات) وليبوا (٤ وحدات) وجازانكولو (٣ وحدات) وترانسكي (وحدتان) . ومما لاشك فيه ان هـذه التجزئة تستهدف تفريق أبناء القومية الواحدة والحد من قوتهـا تطبيقا للقاعدة الاستعمارية (فرق تسد) .

٢ – ح – عزل الاوطان :

تتباعد اوطان البانتو بعضها عن البعض الاخر تباعدا كبيرا ، وهي محاطة بأراضي الاوربيين من كل جانب للحيلولة دون اتحادها أو تعاونها

المباشر من جهة ، ولمنع اتصالها ببقية الشعوب الافريقية · وفي هذا السياق اختيرت اراضي البانتو لتكون في موقع قاري مغلق بعيدا عن البحار لتقييد حريتها التجارية ، وجعلها تعتمد اعتمادا كليا على جمهورية جنوب افريقيا الاوربية ·

٣ – ح – توزيع الاوطان حول القلب الصناعي :

تتوزع اوطان البانتو بشكل هلال (الهلال الاسود أو الحزام الاسود) يحيط بالمراكز الصناعية التابعة للاقلية الاوربية · ويبدو جليا ان هذا التوزيع يستهدف توفير سبل الوصول الى الأيدي العاملة الافريقية خدمة للمستثمرين الاوربيين وفي هذا السياق تسعى حكومة افريقيا البيضاء نحو تأسيس بعض الصناعات كثيفة العمل في أوطان البانتو ذاتها ، أو في مناطق التخوم استجابة لنفس العامل (توفر العمالة ورخص الاجور) ·

٤ – ٤ تقسيم المدن الى مناطق عنصرية :

خططت جميع المدن في جنوب افريقيا بصورة تلزم كل مجموعة عنصرية بالسكن في مناطق منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، فاذا نظرنا الى خارطة مدينة بريتوريا مثلا نرى منطقة سكن الاوربيين في الوسط ، ومناطق سكن الافريقيين والملونين والآسيويين في الاطراف بجانب المشروعات الصناعية · ونرى أيضا وجود فضاءات واسعة تفصل ما بين منطقة عنصرية واخرى تفاديا للاختلاط · وتكرر هذه الصورة في بقية جنوب افريقيا مع اختلافات مكانية بسيطة · والشائع ان تخصص افضل المواضع للاوربيين واسؤها للافريقيين ·

٥ – ٤ اعادة توطين السكان :

من المفاهيم الاساسية التي تقوم عليها سياسة الفصل العنصري ان

يكون جميع الافارقة ، أياً كان مكان سكنهم أو عملهم في جنوب افريقيا رعايا لهذا الوطن او ذاك من الاوطان العشرة المذكورة . وقد أعطت حكومة جنوب افريقيا في عام ١٩٧٠ قالبا تشريعيا لهذا المفهوم باقرار قانون جنسية اوطان الافارقة الذي حدد الأوطان على أساس اللغة التي يتكلمها الشخص(٢٥) . وينطبق هذا القانون على جميع الأفارقة بغض النظر عن مكان ولادتهم ، وعما اذا كانوا قد عاشوا طوال حياتهم في مناطق مخصصة للاوربيين ، وعن توفر أي معلومات لديهم عن الوطن المخصص لهم أو روابط عائلية لهم فيه . وتنفيذا لسياسة الفصل العنصري قامت الحكومة البيضاء باعادة توطين مئات الالوف من الافريقيين والملونيين والاسيويين وعدد محدود من الاوربيين بدعوى توحيد الاوطان وتقوية تماسكها العنصري . والشائع ان تجري عمليات الترحيل القسري من البقع السوداء الى أوطان البانتو ، والبقع السوداء هي مستوطنات للبانتو تنتشر في المناطق الريفية التابعة للاوربيين أو في أجزاء من أوطان أخرى . وهذه المستوطنات كانت مشغولة من قبل سكانها الحاليين وأسلافهم منذ فترات طويلة قد تصل الى مائة سنة في كثير من الاحيان ، وهي تتسم بوجود مجتمعات محلية متماسكة ومستقرة وذات كفاية ذاتية اعتمادا على مواردها الخاصة .

ومنذ عام ١٩٥٧ ، اقدمت حكومة جنوب افريقيا البيضاء على طرد أكثر من ٦٠٠ ألف من الملونيين والاسيويين وارسلوا الى مناطق جديدة والى ترحيل أكثر من ٤٥٤ ألف افريقي الى الاوطان ، وتشير التقديرات الى ان عدد السود الذين طردوا منذ ١٩٦٠ من المزارع الاوربية يتراوح بين مليون و٠٠٠ر٧٥٠ر١ فرداً . وفي عام ١٩٨٢ اعلن وزير التعاون والتنمية ان من المقرر تحويل ٧٢ منطقة ما زال الافارقة يحتلونها الى مناطق مخصصة للاوربيين ، الامر الذي يتطلب ترحيل عدد يتراوح بين ٠٠٠ر٢٠٠ ـ ٠٠٠ر٣٠٠ افريقي . وكان التقدير السابق (١٩٧٢) يتضمن ترحيل

٣٤٣٫٠٠٠ شخصا من الزولو من مناطقهم في الناتال مقابل ترحيل ٦٠٠٠ شخص اوربي ، وفي هذا السياق اعلنت الحكومة البيضاء عزمها على ترحيل جميع السكان السود (٢٠٠٫٠٠٠ نسمة) من ويسترن كيب الى موضع جديد في كلايليتشا على مسافة ٣٥ كيلومتر من كيب تاون(٢٦) ٠

هذا ، وتكشف نتائج احصاء ١٩٨٠ عن المدى الواسع لتأثير سياسات الترحيل على توزيع السكان الافارقة ، فقد ظهر ان عدد الافارقة المقيمين في المناطق الاوربية قد ارتفع من ٧٫٢٥٠٫٠٠٠ نسمة في ١٩٧٠ الى ٩٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة في ١٩٨٠ وبنسبة ٣١٪ ، في حين ازداد عدد الافارقة في الأوطان للمدة المذكورة من ٧٫١٧٣٫٠٠٠ الى ١١٫٣٣٠٫٠٠٠ نسمة وبنسبة ٥٨٪ ، وتبعا لذلك ارتفعت نسبة السكان الافارقة المقيمين فعليا في الاوطان الى اجمالي عددهم من ٤٩٪ في ١٩٧٠ الى ٥٤٪ في ١٩٨٠ ٠ وقد غدا عدد كبير من هؤلاء المرحلين يعيشون في ضواحي جديدة شيدت خصيصا لهم ، بحيث تسمح لهم بالانتقال يوميا من الاوطان الىالمناطق الاوربية المجاورة، ويمنع وجودها خارجأوقات العمللئلا يشباركوا الاوربيين في الشؤون الاجتماعية ٠

كما يبين احصاء ١٩٨٠ مدى ترحيل السكان الافارقة الى بعض الأوطان ، فخلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ ارتفع عدد السكان من ٥٠٧٧٩ الى ١٦٦٤٧٧ نسمة في وطن كواندبيلي ، ومن ٢٤٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠٠ نسمة في وطن كواكوا ، وازداد عدد سكان وطن كانجوانا بمقدار ١٥٠٫٠٠٠ نسمة نقلوا اليه من البقع السوداء المنتشرة في ريف الترانسفال ، حيث كانوا يعملون في مزارع الاوربيين(٢٧) ٠

٦ ـ ٤ اسقاط الجنسية :

نصت قوانين تحديد أوضاع الأوطان على ان جميع الاشخاص الذين

هم رعايا لأحد الاوطان لا يحتفظون بصفة كونهم رعايا في جمهورية جنوب افريقيا البيضاء . وهذا يعني عمليا ان رعايا (وطن) ما ايا كان مكان سكنهم أو عملهم يعدون أجانب في هذه الجمهورية فور استقلال هذا الوطن . وقد أدى استقلال خمسة أوطان (بوافاتاتسوانا وفيندا وكواندبيلي وترانسكي وسيسكي) الى سقوط جنسية جنوب افريقيا عن زهاء تسعة ملايين نسمة ، ومن الاثار التي ترتبت على اسقاط الجنسية ما يلي :

أ ـ يفقد الافارقة بوصفهم رعايا اوطان مستقلة حق الحصول على جواز سفر من جنوب افريقيا ، ويطالبون باستخدام جواز سفر صادر عن وطنهم الجديد ، ولكن بما انه لم يعترف بجوازات السفر هذه أية دولة باستثناء جمهورية جنوب افريقيا ، فانه يتعذر على هؤلاء السفر خارج جنوب افريقيا .

ب ـ يسمح للاشخاص من رعايا الاوطان المستقلة والذين سبق وان اكتسبوا حقوق الاقامة في جنوب افريقيا الاوربية بالاحتفاظ بهذه الحقوق بعد الاستقلال ، على شرط الاستمرار في العمل والاقامة في مسكن توافق عليه السلطات . علما بان هذه الحقوق قد تسحب في أي وقت دون ابداء اسباب ، والمرأة الافريقية تعاني من مساوىء التمييز العنصري بدرجة أشد من الرجل . اذ يقتصر حق الاقامة والعمل في المناطق الاوربية على النساء المتزوجات فقط ، على ان يقمن مع ازواجهن . واذا اصبحت المرأة ارملة أو مطلقة فقدت اهليتها للعيش والعمل في المناطق الاوربية .

ت ـ تسمح قوانين التمييز العنصري للافارقة من سكان الاوطان بارتياد المناطق الحضرية الاوربية خلال النهار شريطة ان يكونوا حاملين لجوازات المرور أو وثيقة صادرة عن أحد الاوطان . ويكونون معرضين للتوقيف اذا لم يكن في حوزتهم مثل هذه الوثائق . ولا يحق لهم العمل أو البحث عنه ما لم يحصلوا على اذن خاص ، فاذا ضبطوا وهم يعملون فانهم يقعون كما يقع أصحاب عملهم تحت طائلة الغرامات أو السجن .

ويوقف كل افريقي يضبط في الطريق أو في بيت يقع في ضاحية للافارقة أو للاوربيين ما بين الساعة العاشرة ليلا والخامسة صباحا اذا لم يكن يحمل تصريحا يسمح له بالوجود في هذه الاماكن · وبسبب صعوبة حصول الافارقة على رخص الدخول الى المناطق الاوربية ازداد عدد المقبوض عليهم بتهمة مخالفة قواعد جواز المرور من ١٥٨٣٣٥ شخصا في ١٩٨٠ الى ١٦٢٠٢٤ شخصا في ١٩٨١ ثم وصل الى ٢٠٦٠٢٢ شخصا في ١٩٨٢(٢٨) ·

٧ ـ ٤ العمالة والاجور :

من النواحي الاساسية في سياسة التمييز العنصري المتبعة في جنوب افريقيا قصر المهن التي تحتاج الى مهارة والتي تدر اجورا عالية على الاوربيين فقط ، وحصر العمال الافارقة في المهن ذات الاجور الزهيدة التي لا تتطلب مهارات · وهكذا أصبح نظام العمالة طبقيا يحتل فيه الاوربيون المرتبة العليا ، بينما يظل غير الاوربيين في الاسفل · واوسع هوة على الصعيد المهني هي التي تفرق ما بين الاوربين والافريقيين · ويحتل الملونون والأسيويون مركزا متوسطا في المناطق التي يتركزون فيها · ومن ملاحظة الجدول (٥) الذي يبين توزيع السكان النشطين اقتصاديا حسب العنصر والقطاع لسنة ١٩٧٠ ، نستنتج الحقائق الآتية :

أ ـ يمثل الافارقة ٧٠٪ من مجموع السكان النشطين اقتصاديا يليهم في الاهمية وبفارق كبير الاوربيون (١٨ر٨٪) ثم الملونون (٨ر٨٪) وأخيرا الاسيويون (٢ر٢٪) · والنسب المذكورة تبين أهمية الافارقة في توفير العمالة لمختلف المشروعات الانتاجية والخدمية في جنوب افريقيا ·

ب ـ يعاني الافارقة من البطالة بنسبة ١١٪ من جملة عددهم النشطين اقتصاديا · ويذهب بعض الاقتصاديين الى تقدير المستوى الحقيقي لبطالة الافارقة خلال عقد السبعينات الى نسبة تتراوح بين ٢٠ و٢٥ بالمائة من السكان النشطين اقتصاديا ، ثم هبطت الى ١ر٢١٪ في عام ١٩٨١ · وجميع

هذه النسب أعلى بكثير مما هي عليه لدى العناصر الاخرى . فنسبة البطالة لا تتجاوز ٨٪ للاسويين و٥ر٢٪ للاوربيين .

ت ـ يعمل معظم الافارقة في قطاع الزراعة والخدمات والتعدين والمقالع والصناعة التحويلية . في حين يتركز نشاط الاوربيين في قطاع التجارة والمال والخدمات والصناعة التحويلية والنقل والمواصلات . ويعمل معظم الملونيين في الصناعات التحويلية والخدمات والزراعة والتجارة والبناء . واكثر الاسيويين يعمل في قطاع الصناعات التحويلية والتجارة والمال .

اما حقيقة تباين الاجور وتأثرها بسياسة الفصل العنصري فيعكسها الجدول (٦) ، الذي يبين توزيع متوسط الدخل الشهري للمجموعات العرقية بين مختلف قطاعات الاقتصاد لعام ١٩٨٣ . وعند امعان النظر فيه نستنتج الحقائق التالية :

أ ـ يتمتع الاوربيون بأعلى دخل شهري وفي جميع القطاعات الاقتصادية ، يليهم الآسيويون ثم الملونون وأخيرا الافريقيون (شكل ٢) .

ب ـ هناك فجوة كبيرة بين اجور الاوربيين والافريقيين ، اذ يبلغ متوسط الدخل الشهري للافريقيين كنسبة مئوية من دخل الاوربيين ١٨ر٧٤ في صناعة التعدين ، ٢٥ر٠٣ في الصناعات التحويلية ، ٥٢و٢٨ في الكهرباء ، ١٩ر٤٥ في البناء ، ٢٣ر٩٣ في التجارة ٢٧ر٨٩ في النقل والمواصلات ، ٤١ر٣٥ في المصارف ، ٢٧ر٢٣ في الوظائف الحكومية والخدمات العامة .

وانعكاسا لتباين توزيع العمالة والاجور تم توزيع الدخل القومي على المجموعات العنصرية بصورة غير عادلة . فالاوربيون الذين لا يتجاوز عددهم ١٦ر٣٪ من جملة السكان ، يبلغ نصيبهم ٧٣ر٦٪ من مجموع الدخل القومي . اما الافريقيون الذين يبلغ عددهم ٧١ر٥٪ من جملة السكان فيحصلون على ١٩ر١٪ من الدخل القومي . ويحصل الاسيويون

والملونون على دخل يتناسب مع وزنهم السكاني ·

٨ ـ ٤ الخدمات :

من مظاهر التفرقة العنصرية البشعة في جمهورية جنوب افريقيا تحديد الامكانيات الاجتماعية والثقافية والترفيهية المتاحة لكل مجموعة عنصرية ، ففي المدن جرى تصنيف المؤسسات الخدمية الى مؤسسات خاصة للاوربيين واخرى لغير الاوربيين · فالابنية والمحلات التجارية لها مداخل ثانوية يفرض استعمالها على غير الاوربيين ، وفي مكاتب البريد شبابيك خاصة أو صفوف خاصة للانتظار يقف فيها غير الاوربيين ، ولا يأتي دورهم الا بعد خدمة جميع الاوربيين · وهناك مصاعد خاصة لغير الاوربيين في بعض الابنية الجديدة ، ونجد قاعات للانتظار ومراحيض معينة لغير الاوربيين في جميع محطات السكك الحديدية · وهناك سيارات نقل وقطارات خاصة لغير الاوربيين ، وان مقصورات الدرجة الثالثة في جميع الخطوط مخصصة لغير الاوربيين · وفي جميع المدن يمنع غير الاوربيين من الدخول الى المكتبات العامة · ولكل جماعة عنصرية شواطئها وملاعبها الخاصة ، والسجون والاصلاحيات منفصلة كذلك ، وحراس السجون اوربيون جمعا ، أما أفراد الشرطة غير الاوربيين فلا يستطيعون ممارسة وظائفهم الا في المناطق غير الاوربية ولا سلطة لهم على المجرمين الاوربيين(٢٩) ·

ويقوم النظام التعليمي في جنوب افريقيا على أساس ادارات منفصلة وقائمة على العنصرية والاقليمية ، فلكل عنصر مدارسه ولغته الأم كوسيلة للتعليم على المستوى الابتدائي · ويلاحظ ان تعليم الافارقة يعاني من نقص الانفاق وعدم كفاية التخصيصات · ففي العام الدراسي ١٩٧٩/ ١٩٨٠ استأثر تعليم الاوربيين بنسبة ٨ر٦١٪ من اجمالي تخصيصات التعليم مقابل ٦ر٩٪ للافريقيين القاطنين في المناطق الاوربية ٣ر٧٪

للافريقيين القاطنين في الأوطان غير المستقلة ٧ر٩٪ للملونين ٦ر٤٪ للاسيويين ، وكانت نسبة المدرسين الى التلاميذ ١ : ١٨ للاوربيين ١ : ٢٧ للملونين ١ : ٢٤ للاسيويين ١ : ٤٨ للافريقيين ، وقد تمثلت بعض اثار التأريخ الطويل من نقص الانفاق وعدم كفاية ما تقدمه حكومة جنوب افريقيا للافريقيين في صور متعددة . منها اتجاه معظم الطلبة الى ترك الدراسة قبل ان يتعلموا القراءة والكتابة بصورة صحيحة . وان عدد الذين حصلوا على شهادة اتمام الدراسة المؤهلة للالتحاق بالجامعة أقل من ٦٪ من جملة الطلبة(٣٠) .

٥ ــ أسباب التمييز العنصري :

اتضح لنا مما تقدم ان جذور التمييز العنصري في جنوب افريقيا يعود الى بداية الاستيطان الاوربي سنة ١٦٥٢ . وقد أصبحت هذه السياسة جزءاً من الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، ويرى الباحث ان نشوء هذا التمييز واستمراره يعود الى الاسباب التالية :

أ ــ النزعة العنصرية :

تنتشر بين أفراد المجموعة الاوربية الساكنة في جنوب افريقيا ، ولا سيما البوير ، الاراء والفلسفات العنصرية التي تبرر افضلية الاوربيين من حيث الصفات الطبيعية والمكتسبة على العناصر الاخرى . وتعد نظرية الحاجز اللوني من اكثر النظريات العنصرية شيوعا في جنوب افريقيا . ويقصد بالحاجز اللوني ، لون البشرة الذي يفصل بين البيض وغير البيض ، والذي يستند على انعدام المساواة بين الابيض والاسود ، لان الابيض ذو عقلية فذة سامية ، على نقيض الاسود والملون الذين اعتبروا ذو عقليات منحطة .

ب ــ اختلاف المستويات الحضارية :

يفتقر سكان جنوب افريقيا الى الوحدة الحضارية ، فالافريقيون قوم

متخلفون ، لأسباب تأريخية معروفة ، في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية واسياسية ، وهذا يصدق على الاسيويين والملونين القاطنين في هذه البلاد ، بينما يتميز الاوربيون بالتقدم ، اعتمادا على معطيات الفكر الاوربي الموروث وانجازاتهم الحضارية المستمرة • وهذا التفوق هو المسؤول عن روح الاستعلاء والغطرسة التي يشعر بها الاوربيون تجاه الافريقيين والاسيويين والملونيين •

ت ـ النزعة الاستعمارية :

تمثل النزعة الاستعمارية أهم سبب لقيام التمييز العنصري واستمراره في جنوب افريقيا • فقد انتزع الاوربيون الأرض والماشية والموارد من الافريقيين ، واستغلوا قواهم أبشع استغلال • واليوم يواصل الاوربيون الاستحواذ على معظم موارد البلاد متذرعين بسياسة تقسيم البلاد الى أوطان عنصرية • وطبقا لهذه السياسة استأثرت الاقلية الاوربية بأوسع مساحة ، واكثرها خصبا وافضلها موقعاً واغناها بالثروة المعدنية • بينما حصلت الاكثرية الافريقية على أصغر مساحة واقلها خصبا واسوءها موقعا وافقرها بالثروة المعدنية •

ث ـ المساعدات الخارجية :

قامت بعض الدول الاوربية بمساعدة وتشجيع التمييز العنصري في جنوب افريقيا بهدف فرض سيادتها في المنطقة واستغلال مواردها • وفي مقدمة تلك الدول هولندا وانكلترا والولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية • كما تحظى جمهورية جنوب افريقيا بمساعدات واسعة من الكيان الصهيوني العنصري القائم في فلسطين ، لتشابه النظامين في الفلسفة والتطبيق •

ج ـ الخلفية التأريخية :

استمرت ظاهرة العداء والصراع بين الاوربيين والافريقيين طيلة

القرون الثلاث الماضية ، تاركة وراءها ذكريات ملؤها الحقد والكراهية ، فأصحاب البلاد الاصليين ، الافريقيون ، ينظرون الى الاوربيين باعتبارهم غزاة مستعمرون يجب طردهم من جنوب افريقيا لما اقترفوه من اثام بحقهم ، والاوربيون ينظرون الى الافريقيين باعتبارهم أقوام متخلفة عاجزة عن استغلال موارد البلاد وتطويرها . كما ينظرون الى البانتو باعتبارهم غزاة مغتصبون جاؤا الى هذه البلاد من شرق افريقيا في نفس الوقت الذي جاء فيه الاوربيون ، وبالتالي فهم لا يتمتعون بالسبق التأريخي وما يترتب عليه من حقوق وواجبات في هذه البلاد ، وعبر التأريخ ، ونتيجة لظاهرة الصراع والحروب المستمرة بين الطرفين تكونت في النفوس ذكريات مريرة لما ارتكبته كل جماعة ضد الجماعة الاخرى . اذ لا زال الاوربيون يتذكرون بأسى حادث (يوم دنجان) وهو يوم اجازة رسمية في جميع أنحاء جنوب افريقيا تخليدا للذكرى . ففي ذلك اليوم من شهر كانون الاول سنة ١٨٣٨ قام دنجان زعيم الزولو بقتل أفراد الوفد البويري الذي جاء للتفاوض وعقد معاهدة صلح بين الطرفين المتحاربين(٣١) .

٦ ـ مستقبل التمييز العنصري :

ان المتتبع لتأريخ جنوب افريقيا يرى حتمية القضاء على التمييز العنصري وقيام دولة موحدة ديمقراطية يتمتع فيها البيض والسود بنفس الحقوق والواجبات . ومن العوامل التي تعمل ايجابيا لتحقيق هذه الرؤية الحقائق التالية :

أ ـ رفض المواطنين السود والآسيويين والملونيين لسياسة التمييز العنصري . فقد غرست بذرة الثورة ضد هذه السياسة منذ فترة طويلة ، وتأسيس حزب المؤتمر الافريقي سنة ١٩١٢ من أجل قيادة الحركة الشعبية وتنظيمها .

وقد حدد الزعيم الافريقي المعروف نلسون ماندلا أهداف الثوار

الافارقة بما يلي :

١ ـ وحدة جنوب افريقيا كاملة ورفض تام للاوطان المصطنعة داخل التراب الجنوبي الافريقي .

٢ ـ تمثيل كامل للشعب في البرلمان المركزي ، وليس عضوية محدودة في مجالس عنصرية خاصة للملونيين والافارقة .

٣ ـ مساواة تامة في الحقوق الدستورية وحق التصويت لكل مواطن أياً كان لونه .

وفي سبيل تحقيق هذه الاهداف يسعى حزب المؤتمر الى قيام الجبهة الديمقراطية الموحدة التي تضم أغلبية الافارقة ، والى اثارة أعمال المقاومة في المدن الاوربية والمؤسسات الاقتصادية من أجل اسقاط الحكومة العنصرية البيضاء .

ب ـ ارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للافارقة وتزايد الوعي السياسي بين صفوفهم .

ت ـ ازدياد عدد الأفارقة وتفوقهم على الاوربيين بصورة متصاعدة ، ففي نهاية هذا القرن يتوقع ان يبلغ عدد الافارقة ٤١ مليون نسمة أو ما يعادل ٧٦٪ من اجمالي سكان جنوب افريقيا مقابل سبعة ملايين اوربي ، أو ما يساوي ١٣٪ من اجمالي السكان ، وبذلك تكون النسبة : اوربي واحد امام ستة افارقة (جدول ١) .

ث ـ امكانية تحالف الافارقة مع الاسيويين والملونين في سبيل القضاء على التمييز العنصري الموجه ضدهم . ويلاحظ لجوء الاقلية الاوربية الى اعطاء الملونيين والآسيويين بعض الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في سبيل كسبهم الى جانبهم من جهة ، والى دق اسفين الخلاف بينهم وبين الاكثرية الافريقية من جهة أخرى .

ج ـ استقلال الشعوب الافريقية :

تميز عقد الستينات بحصول معظم الاقطار الافريقية على الاستقلال ورحيل المستعمر الاوربي ، الأمر الذي ساعد على نمو وتعاظم ثورة الافارقة في جنوب افريقيا · وتلعب دول المواجهة دورا مهما في هذا الشأن ، ولاسيما انجولا وزمبابوي ، والى جانب ذلك تقوم الدول الافريقية بعقد المؤتمرات والندوات للتنديد بسياسة التمييز العنصري واتخاذ الاجراءات الكفيلة باسقاطها ·

ح ـ موقف الامم المتحدة :

تقف الامم المتحدة ضد سياسة التمييز العنصري على المستوى الفكري والعملي ، فالاعلان العالمي لحقوق الانسان يدين بشدة التفرقة العنصرية ويؤكد على ان جميع الناس يولدون أحرارا وبكونهم متساوون في الحقوق والواجبات ، وتبعا لذلك دعت الامم المتحدة الى ازالة البانتوستانات (الاوطان) وتوحيد جنوب افريقيا ووقف ترحيل السكان القسري والغاء قوانين الحظر المفروضة على المنظمات والأفراد المعارضين للنظام العنصري ، وفي سبيل القضاء على التمييز العنصري طلبت الجمعية العامة من الدول الاعضاء اتخاذ الاجراءات التالية :

١ ـ قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة جنوب افريقيا أو الاحجام عن اقامة مثل هذه العلاقات ·

٢ ـ اغلاق موانئها أمام كافة السفن التي ترفع علم جنوب افريقيا ·

٣ ـ اصدار التشريعات التي تمنع سفنها من دخول موانيء جنوب افريقيا ·

٤ ـ مقاطعة كافة البضائع التي تنتجها جنوب افريقيا ، والاحجام عن تصدير البضائع الى جنوب افريقيا بما في ذلك كافة الاسلحة

والذخائر ٠

٥ ـ رفض هبوط كافة الطائرات التابعة لحكومة جنوب افريقيا والشركات المسجلة طبقا لقوانين جنوب افريقيا وكذلك رفض تسهيلات المرور ٠

٦ ـ الامتناع عن تصدير النفط الى جنوب افريقيا ٠

٧ ـ اتخاذ التدابير اللازمة لانهاء الاستثمارات والقروض الأجنبية في جنوب افريقيا(٣٢) ٠



جدول (١)

نمو السكان في جمهورية جنوب افريقيا حسب المجموعات العنصرية

السنة	المجموع	الافريقيون		الاوربيون		الملونون		الاسيويون	
	١٠٠٠	١٠٠٠	٪	١٠٠٠	٪	١٠٠٠	٪	١٠٠٠	٪
١٩١١	٥٩٧٣	٤٠١٩	٦٧٫٣	١٢٧٦	٢١٫٤	٥٢٣	٨٫٨	١٥٢	٢٫٥
١٩٢١	٦٩٢٧	٤٦٩٧	٦٧٫٨	١٢٧٦	١٢٧٦	٥٤٥	٧٫٩	١٦٤	٢٫٣
١٩٣٦	٩٥٨٨	٦٥٩٧	٦٨٫٨	٢٠٠٣	٢٠٫٩	٧٦٩	٨٫٠	٢٢٠	٢٫٣
١٩٤٦	١١٤١٦	٧٨٣٠	٦٨٫٦	٢٣٧٢	٢٠٫٨	٩٢٨	٨٫١	٢٨٥	٢٫٥
١٩٦٠	١٥٩٨٣	١٠٩٠٨	٦٨٫٢	٣٠٨٨	١٩٫٣	١٥٠٩	٩٫٤	٤٧٧	٣٫٠
١٩٧٠	٢١٤٤٨	١٥٠٥٨	٧٠٫٢	٣٧٥١	١٧٫٥	٢٠١٨	٩٫٤	٦٢٠	٢٫٩
١٩٧٧	٢٦٥٨٢	١٩٠٠٠	٧١٫٥	٤٣٥٠	١٦٫٣	٢٤٧٠	٩٫٣	٧٦٢	٢٫٩

١٩٨٦	٣٥٠٩٠	٥٥٦٦٠	٧٣ر١	٥٢٤٤	١٥ر٠	٣١٩٢	٩ر١	٩٩٤	٢ر٨
١٩٩٠	٣٩٧٢٦	٢٩٣٣٠	٧٣ر٨	٥٦٩٨	١٤ر٤	٣٥٧٩	٩ر٠	١١١٩	٢ر٨
٢٠٠٠	٥٤١٥٠	٤٠٨٧٠	٧٥ر٥	٧٠١٣	١٣ر٠	٤٧٦٣	٨ر٨	١٥٠٤	٢ر٧



الشترة ١٩١١/١٩٧٧ نقلا عن :

Best, Alan C.G. & de Blij, Itarm. J. African Survey, Jihn Wiley & Sons, In C. Newyork 1977, p. 342.

الفترة ١٩١١/١٩٧٧ نقلا عن :

جـدول (٢)

عناصر السكان في المدن الكبرى بجنوب افريقيا لسنة ١٩٧٠(١)

المدينة	المجموع	الافريقيون		الاوربيون		الملونون		الاسيويون	
	١٠٠٠	١٠٠٠	٪	١٠٠٠	٪	١٠٠٠	٪	١٠٠٠	٪
جوهانسبرج	١٤٣٣	٨١٠	٥٦ر٥	٥٠١	٣٥ر٠	٨٣	٥ر٨	٣٩	٢ر٧
كيب تاون	١٠٩٧	١٠٨	٩ر٩	٣٧٩	٣٤ر٥	٥٩٩	٥٤ر٦	١١	١ر٠
ايست راند	٨٩٦	٥٤٢	٦٠ر٥	٣٢٣	٣٦ر١	١٩	٢ر١	١١	١ر٣
دربان	٨٤٣	٢٢٥	٢٦ر٦	٢٥٨	٣٠ر٦	٤٤	٥ر٢	٣١٧	٣٧ر٦
بريتوريا	٥٦٢	٢٣٥	٤١ر٨	٣٠٥	٥٤ر٢	١١	٢ر٠	١١	٢ر٠
بورت اليزابث	٤٦٩	٢٠٢	٤٣ر١	١٥٠	٣٢ر٠	١١٢	٢٣ر٩	٥	١ر٠
فرينيجنج	٤٢١	٢٥٩	٦١ر٥	١٤٨	٣٥ر٢	١٢	٢ر٨	٢	٠ر٥
ساسولبرج	٣٠٤	١٨٩	٦٢ر١	١١١	٣٦ر٥	٢	٠ر٧	٢	٠ر٧
حقول ـ الذهب	٢٠٩	١٥٧	٧٥ر١	٥٠	٢٣ر٩	٢	١ر٠	٠	٠ر٠

بلومفونتين	١٨٠	٩٦	٥٣ر٠	٧٥	٤١ر٦	٢٥	٢٤ر٠	١	١ر٠
بيتر ماريتز برج	١٥٩	٦٨	٤٢ر٧	٤٦	٢٨ر٩	١٠	٥ر٤	٠	٠ر٠
ايست لندن	١٢٣	٥١	٤١ر٥	٥٧	٤٦ر٢	٩	٥ر٧	٣٦	٢٢ر٧
كمبرلي	١٠٤	٤٩	٤٧ر١	٢٩	٢٧ر٩	١٣	٠ر٦	٢	١ر٦



(1) Best & de Blij - Op. Cit. p 345.

(النسب من عمل الباحث)

جـدول (٣)

اوطان البانتو في جنوب افريقيا

الوطن	العشيرة	المساحة ميل مربع	عدد الوحدات ١٩٧٥	مقترحة	السكان في ١٩٧٠ واقعي ١٠٠٠	مخطط ١٠٠٠
باسوثوكواكوا	نوثو الجنوب	١٩٨	١	١	٢٤	١٢٥٤
بوفوثاتسوانا	تسوانا	١٢٥٨٩	١٩	٦	٨٨٤	١٦٥٨
سيسكي	اكسوسا	٣٠٠٠	١٩	١	٥٢٤	٩٢٤
جازان كولو	شانجان	٣٣٩٥	٤	٣	٢٦٧	٦٥٠
كوازولو	الزولو	١٢١١٩	٢٩	١٠	٢٠٩٧	٤٠٢٦
ليبووا	سوثو الشمال	٦٧٥٣	٩	٤	١٠٨٣	٢٠١٩
سوازي	سوازي	١٢٣٥	٢	١	١١٨	٤٦٠

ترانسكي	اكسوسا	١٨٠٠٠	٢	٢	١٧٣٤	٣٠٠٥	
فيندا	فيندا	٣٠٦٢	٣	١	٢٦٤	٣٥٨	ككـ لالا
ندبيلي الجنوب	ندبيلي	٥٨٠	١	١	١٧٨	٢٣٤	
المجموع		٦١٩٣١	٨٩	٣٠	٧١٧٣	٧٤١٥	

Best & de Blij — op. Cit. p 349.

جـدول (٤)

كثافة السكان في أوطان البانتو سنة ١٩٧٠(١)

الوطـن	نسـبة ٪ الواقع السكاني الى المخطط	كثافة السكان نسمة / ميل مربع الواقعية	المخططة
باسوثوكواكوا	٩ر٣	١٢١	٦٣٣٣
بوفوثاتسوانا	٣ر٥٣	٧٠	١٣٢
سيسكي	٧ر٥٦	١٧٥	٣٠٨
جازان كولو	١ر٤١	٧٩	١٩٢
كوازولو	١ر٥٢	١٧٣	٣٣٢
ليبووا	٦ر٥٣	١٦٠	٢٩٩
سوازي	٧ر٢٥	٩٦	٣٧٣
ترانسكي	٧ر٥٧	٩٦	١٦٩
فيندا	٧ر٧٣	٨٦	١١٧
ندبيلي	١ر٧٦	٣٠٧	٤٠٣

(١) الجدول من عمل الباحث استنادا على بيانات الجدول ( ) .

جدول (٥)

توزيع السكان النشطين اقتصاديا حسب العنصر والقطاع

لسنة ١٩٧٠ (بالآلاف)(١)

القطاع	المجموع	الافريقيون	الاوربيون	الملونون	الاسيويون
الزراعة والغابات والصيد	٢٢٣٩	٢٠١٤	٩٩	١١٩	٧
التعدين والمقالع	٦٧٦	٦٠٥	٦٣	٧	١
الصناعات التحويلية	١٠٢٤	٥١٢	٢٨٠	١٦٩	٦٣
الخدمات	١٥٧٥	١٠٦٤	٣٢٥	١٦١	٢٣
التجارة والمال	٩٠٧	٣٤٩	٤١٩	٨٥	٥٤
البناء	٤٤٦	٢٦٥	٩٦	٧٧	١٠
الكهرباء والغاز والماء	٥٠	٣٢	١٤	٣	—
النقل والمواصلات	٣٣٩	١٤٠	١٦٣	٢٨	٨
العاطلون	٧٢٣	٦٢٤	٣٨	٥٥	١٥
النشطون اقتصاديا	٧٩٨٧	٥٦٠٤	١٤٩٨	٧٠٤	١٨١
نسبة النشطون ٪	٠ر١٠٠	٢ر٧٠	٨ر١٨	٨ر٨	٢ر٢

1 — Best & de Blij — op. Cit. p 352.

جـدول (٦)

متوسط الاجر الشهري للمجموعات العنصرية في جنوب افريقيا

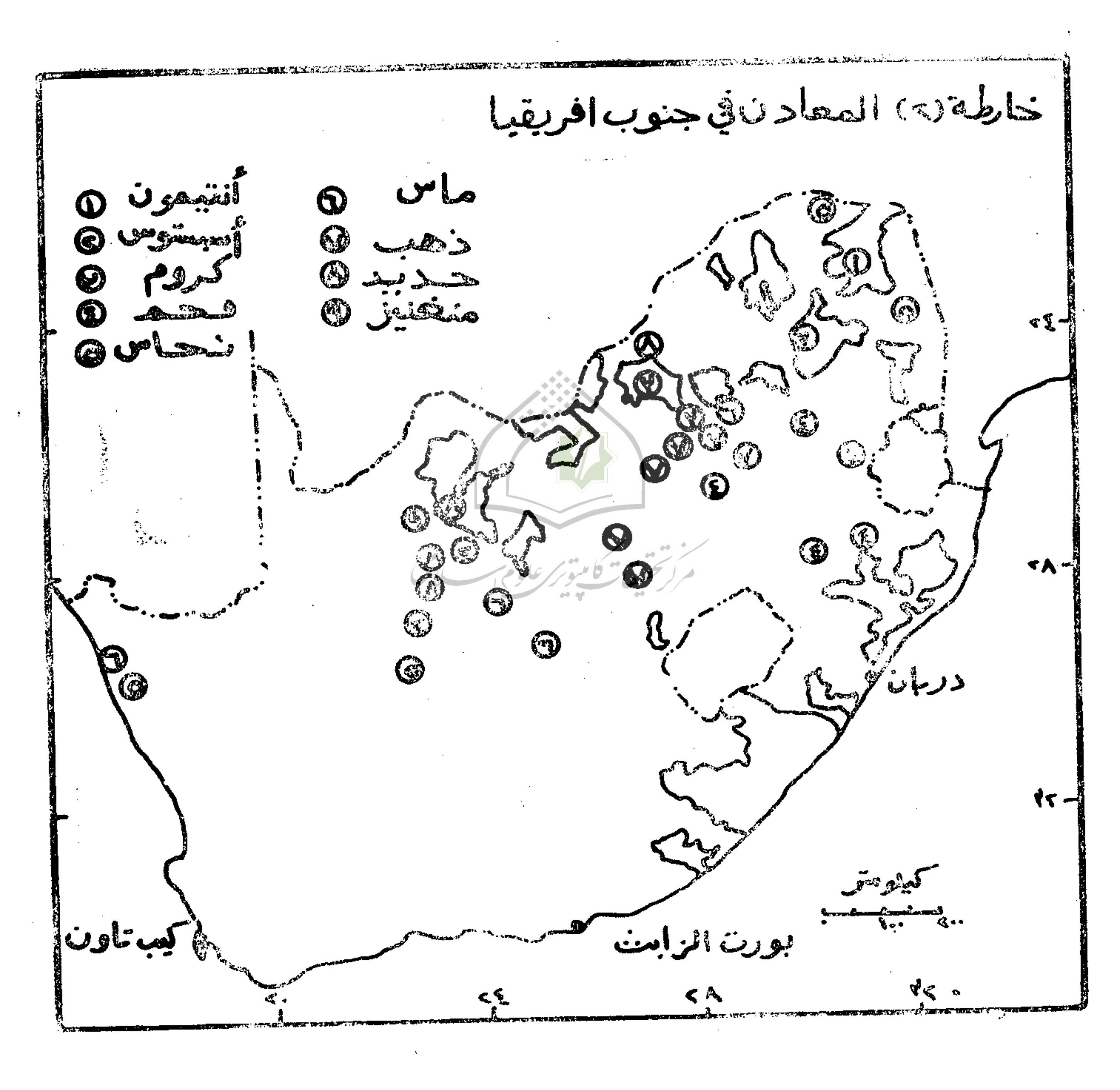
بحسب القطاعات الاقتصادية لسنة ١٩٨٣ (بالراند)(١)

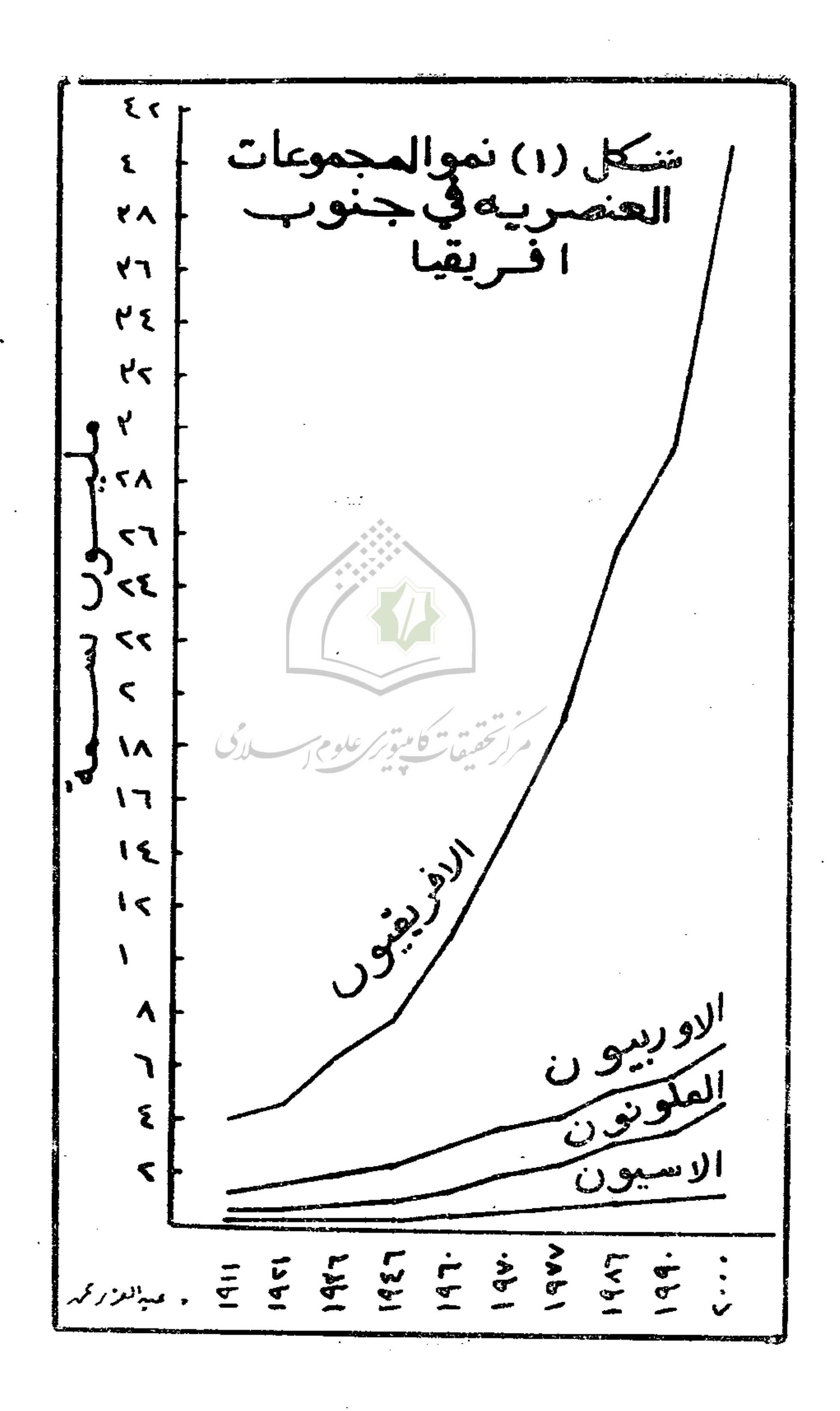
القطـاع	المجمـوعة العرقيـة			
	الاوربيون	الملونون	الآسيون	الافريقيون
صناعات استخراج المعادن	١٥٣١	٤٩٥	٧٥٠	٢٨٧
الصناعات التحويلية	١٤٧٨	٤٣٢	٥١٦	٣٧٠
الكهرباء	١٤٦٥	٤٦٣	٦٠٨	٤١٨
البنـاء	١٥١٦	٤٨٠	٨١٣	٢٩٥
التجـارة	٩٨٢	٣٣٤	٥٠٨	٢٣٥
النقل والمواصلات	١١٢٣	٣٦٥	٧٠٥	٣١٣
المصارف والتأمين	١١١٠	٥٨٣	٧٨١	٤٥٩
الحكومة والخدمات العامة	١٠٨٧	٣٤٠	٧٥٣	٢٩٦
المجموع	١٠٢٩٢	٣٤٨٣	٥٤٣٤	٢٦٧٣

(١) مكتب العمل الدولي ـ تقرير خاص للمدير العام عن تطبيق الاعلان المتعلق بسياسة الفصل العنصري بجنوب افريقيا ، سويسرا ، جنيف ١٩٨٥ ص ٦١ .

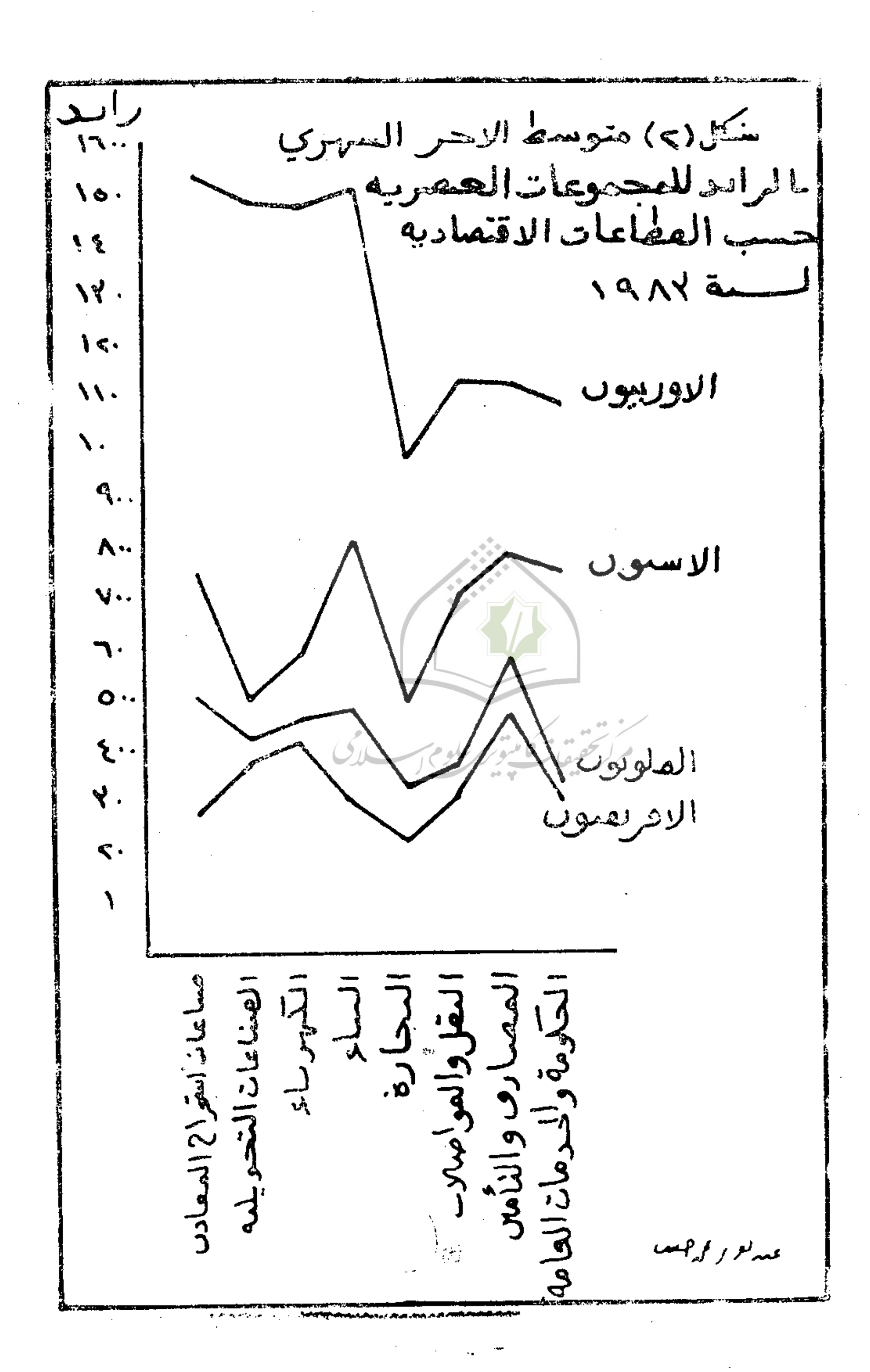


خارطة (١) اوطان البانتو المقترحة سنة ١٩٧٥
زمبابوي
موزمبيق
بوتسوانا
بريتوريا
جوهانسبرج
سوازيلوند
بلومفونتين
ليسوتو
دربان
المحيط الهندي
ايست لندن
كيلومتر
١٥٠
١- باسوثوكواكوا
٢- بوفا تسوانا
٣- ليبوا
٤- فيندا
٥- جازان كولو
٦- نديبلي
٧- سوازي
٨- كوا زولو
٩- ترانسكي
١٠- سيسكي
د عبد العزيز محمد حبيب


خارطة (٧) المعادن في جنوب افريقيا
أنتيمون
أسبستوس
كروم
فحم
نحاس
ماس
ذهب
حديد
منغنيز
دربان
كيب تاون
بورت اليزابث
كيلومتر
٢٤
٢٨
٣٢
٢٠
٣٠



شكل (١) نمو المجموعات العنصرية في جنوب افريقيا
مليون نسمة
الافريقيون
الاوربيون
الملونون
الاسيون
١٩١١
١٩٢١
١٩٣٦
١٩٤٦
١٩٦٠
١٩٧٠
١٩٧٧
١٩٨٦
١٩٩٠
٢٠٠٠



شكل (٢) متوسط الاجر الشهري
بالراند للمجموعات العنصريه
حسب القطاعات الاقتصاديه
لسنة ١٩٨٢
راند
الاوربيون
الاسيون
الملونون
الافريقيون

مصادر البحث :

1 — Loran Marshal "The Kung Bushmen of the Kalahari desert" in James L. Gibbs, JR. (edited) Peoples of Africa Newyork, 1965, p. 243.

٢ ــ محمد ، محمد عوض ــ الشعوب والسلالات الافريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٥ ص ٢٩ ٠

٣ ــ محمد ، محمد عوض ــ المصدر السابق ، ص ٣٧ ٠

٤ ــ ودنير ــ دونالد (ترجمة راشد البراوي) ــ تأريخ افريقيا جنوب الصحراء ، دار الجيل للطباعة ، مصر (بدون تأريخ) ص ١٥٧ ٠

5 — Leo Marquard — The Peopls and Policies of South africa, London 1962, p. 5.

6 — Leo Marquard — op. cit. p. 6.

٧ ــ ودنير ــ دونالد ــ المصدر السابق ، ص ١٩٨ ٠

٨ ــ ودنير ــ دونالد ــ المصدر السابق ص ١٦٣ ، ١٦٩ ٠

9 — G. W. Kingsnorth — Africa South of the Sahara, Cambrige university Press London, 1962, p. 69.

01— G. W. Kingsnorth — op. cit. p. 70.

11— U. N — World Population Prospects as assessed in 1980. Newyork, 1981, p. 16.

21— Best & de Blij — African Survey, John Wiley & Sons, Inc, Newyork, 1977. p. 341.

١٣ــ مكتب العمل الدولي ــ الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، جنيف ١٩٨٥ ص ٨٣ ٠

41— Fitzgerald, Walter — AFRICA, Methuen & Co.

١٧ــ الامم المتحدة ــ تكوين سياسة الفصل بين الاعراق ، بيروت ، ١٩٦٨

LTD. London, 1968, p. 200.

١٥ــ ودنير ــ دونالد ــ المصدر السابق ص ١٧٥ ٠

61— William A. Hance — The geography of Modern Africa, Second edition, Newyork, 1975. p. 514.

ص ١٠ ٠

١٨ـ كينت ليندل ـ « العرق والمجتمع » ، اونسكو ـ العرقية ازاء العلم ، دار الثقفة ، بيروت ، لبنان، (بدون تأريخ ، ص ٦١) ٠

١٩ـ مكتب العمل الدولي ـ الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، جنيف ، ١٩٨٣ ص ٦٠ ٠

٢٠ـ مكتب العمل الدولي ـ الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، جنيف ١٩٨٤ ، ص ٧٠ ٠

٢١ـ ليزلي روبين ـ تطبيق سياسة الابارتهيد ، مركز الامم المتحدة للاعلام نيويورك ١٩٧١ ص ٤٢ ٠

٢٢ـ كون ، كارلتون اس (ترجمة محمد السيد غلاب) ـ السلالات البشرية الحالية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٢ـ ٣٥ وص ٢٧١ـ٣٧٣ ٠

٢٣ـ الامم المتحدة (١٩٦٨) مصدر سابق ، ص٨ ٠

42— William A. Hance — op. cit, p. 518.

٢٥ـ مكتب العمل الدولي ـ ١٩٨٣ ، مصدر سابق ص ٦٠ ٠

٢٦ـ مكتب العمل الدولي ـ ١٩٨٤ مصدر سابق ص ٧٠ ٠

٢٧ـ مكتب العمل الدولي ـ ١٩٨٣ ، مصدر سابق ص ٥٥ ٠

٢٨ـ مكتب العمل الدولي ـ الفصل العنصري في جنوب أفريقيا ، جنيف ١٩٨٥ ، ص ٦٧ ٠

٢٩ـ كينت ليتل « العراق والمجتمع » اونسكو ـ العرقية ازاء العلم ، دار الثقافة بيروت (بدون تأريخ) ص ٦١ـ٦٢ ٠

٣٠ـ مكتب العمل الدولي ـ ١٩٨٣ ، مصدر سابق ص ٣٦ـ٣٩ ٠

٣١ـ ودنير ، دونالد ـ مصدر سابق ، ص٢٠١ ٠

٣٢ـ السامرائي ، ضاري رشيد ـ الفصل والتمييز العنصري في ضوء القانون الدولي العام ، دار الحرية للطباعة ـ بغداد ، ١٩٨٣ ص٢٠٧ ٠

قائمة الاعراض المختصرة

لتشخيص بعض المظاهر العصابية

الدكتور موفق الحمداني
استاذ علم النفس
جامعة بغداد

السيدة نسرين العمر
الاستاذة المساعدة في علم النفس
جامعة بغداد

خلاصــة :

تشتد الحاجة للخدمات العلاجية في المجتمع العراقي المعاصر الامر الذي يلزم الباحثين بايجـاد أدوات تشخيصية تســاعد المعالجين وتوفر الزمن للاطباء ·

اختار الباحثان قائمة الاعراض المختصرة (BSI) وهي قائمة تعتمد التقرير الذاتي كما يسهل تطبيقها وتفسير نتائجها وتحظى أيضا بانتشار واسع في المستشفيات الامريكية والالمانية · وتضم القائمة جوانب خمســة من العصاب وهي التحويل الجسمي ، الحساسية في التفاعل مع الناس ، القسرية ، الكآبة والقلق ·

تمت ترجمة القائمة وتطبيقها على عينة من طلبة وطالبات جامعــة بغداد (٤٦٣ طالبا وطالبة) · استخرج الصدق الظاهري والصدق المنطقي وصدق البناء والمعايير العراقية · واعتبر الباحثان القائمة صالحة للتطبيق في العراق ·

تمهيـــد :

تتزايد الحاجة للخدمات العلاجية والارشادية النفسية عبر العالم باجمعه ، وتغدو هذه الحاجة ملحة في البلدان النامية مثل العراق نظرا لتنامي الوعي الصحي والعلمي ، الذي يقود الى ارتفاع الطلب على الخدمات العلاجية . وبالرغم من تزايد عدد الاطباء النفسيين والعاملين في الميدان النفسي خلال العقد أو العقدين الماضيين ، فان الطلب يزداد على هـذه الخدمات ، ونتوقع أن يزداد أكثر فأكثر خلال السنوات القادمة .

ويطرح تزايد الطلب على الخدمات ضرورة اعداد أدوات تشخيص مناسبة تساعد المعالج في تشخيص المشكلات النفسية وتختزل الزمن . وتفضل في هذه المرحلة الأدوات التي لا يحتاج تطبيقها وتفسير نتائجها اعـداد اكاديمي طويل ، كما هـو الحال مع بعض الاختبارات النفسية العيادية مثـل اختبار رورشاخ واختبـار تفهـم الموضوع وغـير ذلك من الاختبارات الاسقاطية التي يتطلب تفسير نتائجها تدريبا يتراوح بين سنة وسنتين .

ولا تتعـدى الأدوات المتوافرة حاليا في العراق للعاملين في ميـدان العلاج النفسي في عددها أصابع اليدين مثل اختبار كراون كرسب للخبرة العصابية The Crown Crisp Experiential Index (المغازجي وآخرون ، ١٩٨٦) وتعديلاته (سالم ، ١٩٨٧) (العبيدي ، ١٩٨٧) واستبيان الصحة العـامة (General Health Questionnaire) (الهيتي وآخرون ، ١٩٨٦) وبعض اختبارات الذكاء التي قد تساعد في بعض الجـوانب الثانوية في التشخيص مثـل تقنين اختبـار المصفوفات (الدباغ وآخرون) (عبدالفتاح ، ١٩٧٣) (عبدالفتاح والسلمان ، ١٩٨٨) (العبيدي ، ١٩٨٦) واختبار وكسلر بلفيو Wppsi واختبار وسك (خلف ، ١٩٨٧) على سبيل المثال لا الحصر .

من المعلوم عياديا أنه لا يمكن الاستعاضة عن المقابلة التشخيصية في الممارسة العيادية النفسية ، الا أن القوائم (Checklists) والاختبارات والاستبيانات يمكن أن تساعد الطبيب في اكتشاف ما لا تكشفه المقابلة أو تساعد الطبيب المعالج في التركيز على الجوانب الاكثر أهمية اذا اطلع على نتائجها قبل المقابلة الاولى أو خلال المقابلات اللاحقة ، كما قد يساعد ذلك الطبيب المعالج في ادخار الوقت لدى زيادة زخم المقابلات ، فيركز الطبيب على الجوانب المجدية أثناء المقابلة · وغالبا ما تعتمد هذه الادوات على أساليب التقرير الذاتي فيؤشر المريض على الاعراض التي يعاني منها ·

اختار الباحثان قائمة يطلق عليها اسم « قائمة الاعراض المختصرة » Brief Symptoms Inventory التي تستعمل استعمالا واسعا في عدد كبير من المستشفيات في الولايا ت المتحدة (كوتسجوك واوليانا Gottschalk and Uliana ١٩٧٩) لغرض اعدادها للاستعمال في العراق لعل ذلك يشكل خطوة أخرى في السير قدما نحو توفير الادوات المناسبة للاغراض العملية والعلمية ·

مشكلة التشخيص :

تستند عملية التشخيص أساسا على تصنيف الظواهر · فان ظهرت الاعراض أ ، وب ، وحـ ، ود ، والتي تميز المصابين بالمرض الفلاني في شخص معين قلنا انه مصاب بذلك المرض · أي أننا نضعه في صنف المصابين بذلك المرض · ويجرى ذلك وفق نظام معين يشبه نظام تصنيف الكائنات العضوية أو العناصر الطبيعية ··· الخ · ولكن الممارسون للطب وبضمن ذلك الطب النفسي يعلمون بأن الاعراض قد لا تظهر جميعا في حالة ما · وقد تختلط الاعراض بأعراض أخرى بحيث يصعب التشخيص ·

ولكن تبقى هناك الحالة النموذجية ، والتي قد لا يكون لها وجود في الواقع الفعلي في الممارسة ، والتي يطلق عليها مصطلح الحالة الموصوفة في الكتاب التدريسي Textbook case · وهذا ما دعا الباحثان للعودة للكتب التدريسية لمتابعة ما يدعى بالعصاب (Neuroses) أو ما اصطلح على تسميته بالامراض النفسية · ولقد تبين للباحثين ان الكتب التدريسية ، وحتى في البلد الواحد مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، تختلف اختلافات قد تكون كبيرة في وصف الحالة العصابية أو ما ينضوي ضمن المصطلح العام (العصاب) وسنتطرق في أدناه الى ثلاثة نماذج فقط للتدليل على ذلك ·

يتحدث بوتزن واكوكلا Bootzin Acogella, 1984 عن المشكلات الانفعالية التي تضم أنواعا مختلفة من الامراض مثل القلق والرهاب والقسرية والشدة اللاحقة للصدمة Post Araumatic Stress وتحت عنوان آخر يضعان المشكلات الجسمية (Somatization) والتي تضم المشكلات التحويلية (الرحام) والمشكلات التفككية التي تضم فقدان الذاكرة وتعدد الشخصية ·

ويعمد ساراسن (Sarason, 1974) لتصنيف العصاب الى ستة أمراض هي القلق والرهاب والعصاب التفككي والرحام والكآبة ·

بينما يتحدث كولمان (Coleman, 1976) تحت عنوان العصاب عن صيغ عصابية مختلفة هي القلق والرهاب والقسرية والرحام التحويلي (hysteria) والرحام التفككي (تعدد الشخصية وفقدان الذاكرة) والكآبة العصابية ·

ويتبين من النبذة المختصرة جدا أن تصنيفات العصاب في كتب علم نفس الشواذ ، ليست متطابقة · فبينما يضع ساراسن الرحام تحت عنوان

العصاب العام . نجد أن بوتزن واكوكلا يضعان الرحام التحويلي تحت المشكلات الجسمية ، ويضعان الرحام التفككي في صنف مستقل يضم فقدان الذاكرة وتعدد الشخصية . بينما يهمل كل من بوتزن واكوكلا من جهة وكولمان من جهة أخرى وضع صنف خاص للمشكلات الجسمية Somatization بل يدمجان ذلك ضمن صنف آخر هو عنوان الامراض النفسية الجسمية Psycho - Somatic disorders .

اما اذا عدنا الى الاعراض التي تنسب الى كل أشكال العصاب أو صيغه وجدنا اتفاقا على بعضها واختلافا على البعض الاخر . ولكي نوضح ذلك نأخذ مثالا واحدا سيجد القاريء الكريم ما يشبهه حيثما التفت . يشير سم (Sim, 1974) الى أن أصل التعبير الالماني الذي طرحه فرويد لحالة معينة هو (Zwangneurose) فترجمه الانكليز الى (Obssesion) بينما ترجمه الاميركان الى (Compulsion) وقد جر ذلك الى شيوع التعبيرين سوية في الكتابات اللاحقة تحت اسم (Obession - Compulsion) . (انظر Sim, 1974 p. 501) ويصف سم الاعراض التالية لهذا النمط من السلوك والذي نطلق عليه اسم القسرية « تكرار الافعال والتأكد من الاشياء والقيام بطقوس معينة ، الشكوك ، ضرورة التأكد من الاشياء ، الحماية المفرطة ، فرط التحبب للناس ، تجنب العدوى ، ضرورة لمس الاشياء ، ضرورة عد الاشياء ، ضرورة تسجيل الاشياء حتى التافه منها (Sim, pp. 505-506) .

ولكننا عندما ننظر الى أعراض القسرية كما يصفها كولمان فنجدها افكار تلازم المرء بشكل ملح وتبدو له غير معقولة وتتعارض مع أو تعرقل التصرف اليومي للمصاب ، وتدور حول الاهتمام بالوظائف والعمليات الجسمية ، والقيام بأفعال منافية للمثل التي يحملها المصاب : كما يقوم

بأفعال لا يستطيع مقاومتها مثل غسل اليدين بشكل مفرط ولكنه يخفض التوتر والقلق (Colman, 1976, p. 232) .

هـذا في الوقت الذي يطـرح فيـه بارتون (Barton 1975) أعراض القسرية على النحو الآتي : الشعور بالاكراه على القيام بأفعال معينة مثل لمس الأشياء وضرورة التأكد من الاشياء والتروي في اتخاذ القرارات (Barton 1975 pp. 153-163) .

ولو راجعنا هذه الاعراض نجد أن هناك اتفاق بين المؤلفين على أن بعض الاعراض تميز المصاب بالقسرية بينما يختلف المؤلفون على أعراض أخرى ۰ فيدرج (سم) مثلا فرط التحبب للناس من اعراض القسرية ولا يشاركه في هذا الامر المؤلفان الآخران بينما يتفق الثلاثة على أن تكرار الافعال والتأكد من الاشياء من اعراض القسرية ۰

ولقد اقترحت رابطة علماء النفس الاميركية (APA) في تصنيفها الاخير اهمال مصطلح العصاب وتسمية الامراض التي كانت تقع تحت مصطلح العصاب على النحو التالي ۰

(DSM III)

300.11 مشكلة الكآبة المزمنة

300.12 اضمحلال الشخصية (التفكك)

300.60 المـراق

300.70 الجسمية (الرحام)

300.80 الكآبة الكبرى (اصابة لمرة واحدة) أو

296.21 متكررة

296.31 الكآبة المزمنة

301.12 الألم ذو المنشأ النفسي (الجسمية Somatization)

307.80 التحويل (التفككي)

... الى آخره

) انظر ماركس (Marks, 1981 p. 18

ولكن من المفيد أن نذكر بأن أحد المؤلفين الذين أوردوا التصنيف أعلاه وضع في عنوان كتابه (شفاء العصاب وعلاجه Care and Cure of Neuroses) مصطلح العصاب الذي اقترحت الرابطة اهماله · ولربما كان ذلك يدل على أن مصطلح العصاب سيستمر معنا لفترة قادمة ·

ويفترض أن تصنيف (DSM III) هو تصنيف بعيد عن المدرسية ومحايد ازاء الخلافات بينها الا أن التمحيص الدقيق للتسميات والاعراض المطروحة ازاءها ، توحي بغير ذلك ، ولا مجال للخوض في ذلك في هذا المجال بالتفصيل ·

الا أن تصنيف منظمة الصحة العالمية الذي يدعي أيضا لنفسه ضمناً الحياد ازاء النظريات المتعارضة يطرح تصنيفا مختلفا نطرحه أدناه للمقارنة ·

300	مشكلات العصاب
300.0	حالات القلق
300.1	الرحام
300.2	الرهاب
300.3	القسرية
300.4	الكآبة العصابية
300.5	النحول العصبي
300.6	المتلازمة التشيؤية Depersonalization Syndrome

300.7 المراق

300.8 أخرى

(راجع W.H.O Geneva, 1977)

يتضح من المقارنة أعلاه أن الاختلافات قائمة سواء كانت أسباب ذلك مدرسية ، أو غير مدرسية ٠

ومقابل ما يطلق عليه اسم الانموذج الطبي (Medical Model) (راجع ناتان Nathan 1974 ص ٨٧) هناك جماعة واسعة من علماء النفس تفضل التشخيص استنادا الى الجوانب الدينامية النفسية في نشوء الحالة المرضية وتطوراتها ٠ وبالرغم تأييد كاتبا هذا البحث الذي بين يديك لهذا التوجه في الموقف العلاجي والتشخيصي الفردي ، ففي التشخيص الجمعي أو التمهيدي أو لاغراض البحث العلمي يصعب تطبيق هذا المنظور ٠ ويضيف ناتان في الفصل المعنون الاعراض والدلائل التشخيصية المميزة في كتاب المرجع في الطب النفسي ، أنه من الضروري التمييز بين ثلاثة أنماط من الاعراض هي الدلائل المؤكدة (definitive) على الاصابة بالمرض والاعراض الرئيسة (Major) والاعراض الثانوية (Minor) ويرى أن جميع هذه الاعراض لا تتمتع بثبات عال لأسباب مختلفة يعددها ٠ ولكن المهم بصدد هذا التنوع في أهمية الاعراض في التشخيص هو قلة الاتفاق بين المختصين ، بل وبين تشخيص نفس الطبيب لنفس المريض اذا عرضت عليه اعراضه عددا من المرات ، وقلة الاتفاق حول ما يعتبر دليلا أكيدا أو رئيسا أو ثانويا ٠

ومن المعروف أن نسبة الاصابة بالامراض النفسية تختلف من مجتمع الى آخر وفي نفس المجتمع في العصور المختلفة مما ينسجم ومبدأ النسبية الاجتماعية Social Relativity ٠ فمن المعروف مثلا أن نسب

الانتحار مثلا ـ وهو أمر شديد الصلة بالكآبة ـ تختلف من مجتمع الى آخر (انظر كولمان Coleman ١٩٧٦ ص٦١٣) (وكذلك سارتوريوس Sartorius ص ٦ ـ ١٢ ، ١٩٨٦) نظرا لتباين الثقافة والظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية • ويطرح هذا الامر على الباحث مسألة دراسة وبائية الأمراض النفسية والعقلية • الا أن بعض الباحثين يشيرون الى أمر آخر هو اختلاف الاعراض لنفس المرض من مجتمع لآخر ، بل وفي نفس المجتمع من ثقافة صغرى الى أخرى • فيشير سيتي مثلا (Sethi ١٩٨٦ ص ٣٠ ـ ٣٢) أن أعراض الكآبة في الهند تختلف نوعا ما عن أعراضها في العالم الغربي كما تختلف تلك الاعراض من منطقة في الهند لأخرى •

ان هذه الطروحات المختلفة قد تعبر عن الاختلافات المدرسية لنظريات علم النفس السريري مما حاولنا تجنبه في هذا البحث أو الاختلافات حول معايير التشخيص • ويشرح بيشو (Pichot ١٩٨٦ ص ٦ وما بعدها) النظريات المطروحة في عصاب الكآبة ويوضح انعكاسات ذلك على الاعراض المرضية ، كما تعالج كتب عديدة المدارس المختلفة في علم النفس العلاجي •

خلاصة القول أن الاختلاف قائم بين المفكرين والممارسين حول تصنيف الأمراض العصابية واعراضها • ويطرح ذلك على الممارسين والباحثين في الوطن العربي ضرورة الاتفاق على التسميات والتصنيفات والاعراض كي يتسنى للباحثين اعداد الادوات الصالحة للتشخيص • الا أن الباحثين لا يستطيعون الانتظار حتى يتم الاتفاق ، فلابد من الانطلاق مما هو قائم فعلا أملا في بلوغ الاغراض المنشودة •

أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي تطبيق قائمة الاعراض المختصرة (BSI)

لتشخيص بعض المظاهر العصابية بغرض :

١ ـ الكشف عن صدق الاداة وصلاحيتها للتطبيق في العراق ٠

٢ ـ الكشف عن وبائية تلك الظواهر أو الاعراض العصابية بين طلبة جامعة بغداد ٠

وصف الاداة :

تتالف قائمة الاعراض المختصرة Brief Symptoms Inventory من خمسين عبارة تغطي بعض جوانب العصاب المهمة ويؤشر المستجيب على تلك العبارات ما اذا كان العرض المذكور في القائمة أثر عليه خلال الاسابيع الماضية أم لا بمتدرج ذي أربع درجات يمتد من أثر بشكل شديد ، ثم أثر فعلا وأثر قليلا ولم يؤثر اطلاقا ٠ وقد أعيد توزيع العبارات بحيث لا يكتشف المستجيب تقسيمها أصلا الى خمس قوائم فرعية تعتمد التقرير الذاتي ٠ وقد صيغت العبارات صياغة بسيطة بحيث يستطيع المستجيب العادي فهمها دون تعقيد يذكر ٠

وتضم القائمة الجوانب الخمس التالية :

أ ـ التحويل الجسمي Somatization

ب ـ الحساسية في التفاعل مع الناس ٠

حـ ـ القسرية Obsessive-Compulsiveness

د ـ الكآبة Depression

هـ ـ القلق Anxiety

وتتألف القوائم الفرعية من عبارات غير متساوية العدد تغطي الاعراض المعروفة المؤكدة والرئيسة لكل من التسميات أعلاه وعلى النحو التالي ٠

أ ـ التحويل الجسمي : أربع عشرة عبارة تشمل ، التعرق ، صعوبة التنفس ، الشعور بقلة الطاقة ، الآلام في القلب والصدر ، الحر والبرد ، الشعور بغصة في الحلق ، الخدر ، الثقل في الايدي والأرجل ، الأغماء والدوار ، الألم في أسفل الظهر ، الألم في العضلات ، الشعور بالضعف والوهن ، القيء والغثيان .

ب ـ الحساسية في التفاعل مع الناس : سبع عبارات تشمل الحساسية لنقد الآخرين ، سهولة جرح الاحساسات ، الشعور بالانزعاج ، الانفجار الانفعالي ، عدم فهم الاخرين للمستجيب ، عدم محبة الاخرين للمستجيب ، الشعور بالدونية .

حـ ـ القسرية سبعة عبارات تضم : صعوبة التذكر ، ضرورة التأني صعوبة اتخاذ القرارات ، صعوبة التركيز ، يصبح الفكر فراغا ، القلق الزائد حول الاهمال ، ضرورة التأكد من الأشياء .

د ـ الكآبة : اثنتا عشرة عبارة تغطي : لوم الذات ، البكاء بسهولة فقدان الرغبة الجنسية ، قلة الشهية ، صعوبة النوم ، اليأس من المستقبل، الحزن ، الوحدة ، التفكير بالانتحار ، الشعور بالوقوع في مصيدة ، الهموم، فقدان الاهتمام .

هـ ـ القلق : سبع عبارات تغطي الخوف المفاجيء ، الشعور بالرهبة تجنب الاشياء والاماكن ، العصبية ، خفقان في القلب ، التوتر ، الارتجاف .

ان هـذه التسميات التي وضعت أزاؤها الاعراض تغطي الاعراض الخالصة (Textbook. Case) للحالة ، ومن المعروف لدى الممارسين للعلاج النفسي أن الاعراض لا تأتي بمثل هذا القطع كما سبق أن ذكرنا . اذ كثيرا ما تختلط الاعراض ، فالمصاب بالقلق غالبا ما تظهر عليه بعض الاعراض الجسمية والمصاب بالكآبة يندر أن لا يشكو من بعض اعراض الحساسية في التفاعل مع الناس وهلم جرا ... ولكن ذلك غير مهم جدا

في هذا المجال اذ أن ما هو مهم في القائمة هو الاعراض العصابية بمجملها ومدى تركيزها في مجال معين دون المجالات الأخرى .

تصحيح القائمة واسلوب تفسير النتائج :

القائمة معـدة أصلا للمعالجة النوعية دون الكمية . اذ يستطيع المعالج من خلال تأشير المريض على الاعراض المختلفة المتضمنة في القائمة الاطلاع على الاعراض التي يحس بها المريض أو يشكو منها ، فيقوم الطبيب المعالج بتقليص بدائل التشخيص للاستفادة من الوقت المتاح أثناء المقابلة التشخيصية ـ العلاجية .

ولكن ذلك لا يمنع من معالجة البيانات كميا حيث تعطى الاجـابة « لم تؤثر اطلاقا » مقدار صفر « وأثرت قليلا » مقدار (واحد) « وأثرت فعلا » مقدار (اثنين) وأثرت بشكل شديد مقدار (ثلاثة) . فيكون بذلك مجموع درجات الشخص السليم تماما أو الذي لا يعاني من أي عرض من الاعراض المذكورة في القائمة صفرا . بينما تبلغ درجة الذي يعاني من جميع الاعراض بشكل شديد مجموع فقرات القائمة الفرعية مضروبا بثلاثة . فالدرجة القصوى لمقياس الكآبة المؤلف من (١٢) فقرة تساوي (٣٦) درجة والدرجة القصوى على مقياس القلق المؤلف من (٧) فقرات (٢١) درجة وهكذا دواليك . وللاغراض الاحصائية في هذا البحث أخذنا بالاسلوب الكمي الموضح أعلاه الا اننا ننصح في الحالات الفردية باستعماله نوعيـا وكميا ، كما سنوضح فيما بعد .

اجراءات البحث :

تمـت ترجمـة القائمـة الى اللغـة العربيـة وعرضـت الترجمة على ثلاثة من المختصين باللغة الانكليزية في كلية الآداب وتأيدت صحة الترجمة .

ثم طبقت الاداة على مجموعة من طلبة وطالبات جامعة بغداد بلغت خمسمائة طالب وطالبة ثم اسقطت الاستمارات التي لم تستوف الشروط الكاملة المطلوبة للاجابة الصحيحة (مثل عدم اكمال الاستمارة أو وضع الاشارة في مكان واحد لجميع الفقرات) . وبلغ المتبقي (٤٦٣) استمارة (٢٠٤) ذكور (٢٥٩) اناث .

تراوحت اعمار العينة بين ١٧ - ٣٣ سنة بمنوال يقع في حدود اثنتين وعشرين سنة (٢٢) سنة تقريبا .

جمعت البيانات في الصفوف أثناء الساعة الدراسية بحيث تمت الاستجابة بشكل جماعي ولم يطلب من المستجيبين ذكر الأسماء تحاشيا للتأثيرات التي يؤدي اليها ذكر الاسم .

صدق الاداة وثباتها :

استند الباحثان على ثلاثة أنواع من الصدق لهذه الاداة .

أ - الصدق الظاهري : بما أن الاداة من اعداد نخبة من العاملين في ميدان الطب النفسي ، بحيث صيغت كل عبارة للدلالة على عرض معين من أعراض الصيغ العصابية وفق الاطر النظرية والعملية للتشخيص والعلاج (راجع كوتسجوك وأوليانا ١٩٧٩) يمكن القول ان القائمة تتمتع بالصدق الظاهري .

ب - الصدق المنطقي : يعتمد مدى ظهور عرض من الاعراض أو متلازمة معينة (Syndrome) على وبائية المرض . ويمكن القول أن الاعراض المرضية ، بشكل عام ، يقل ظهورها في الاحوال الاعتيادية ، لذلك لو طرحنا متدرجا من اربع درجات يضم المعاناة الشديدة من عرض ما وعدم المعاناة منه فأننا نتوقع قلة المستجيبين بشدة المعاناة من العرض وزيادة المستجيبين بعدم المعاناة بين الاصحاء .

بكلمة أخرى لا يكون توزيع الاستجابات على الدرجات الأربعة بنفس المقدار بل يلتوي التوزيع الى جانب عدم المعاناة من العرض بين الاصحاء (بما أن عينة البحث هم من طلبة الجامعة ، فيمكن القول أن العصابيين بينهم يشكلون القلة على العكس من عينة مستمدة من المراجعين لمستشفيات الأمراض العقلية والنفسية) • وهكذا فان تبين أن توزيع الاستجابات قد جاء متفقا مع المنطق أعلاه يمكن القول أن الاداة تتمتع بالصدق المنطقي •

طبق الباحثان اختبار مربع كاي (X2) وظهر أن توزيع الاستجابات جاء منسجما مع المنطق أعلاه في جميع العبارات سوى أربعة عبارات في الاستبيان الفرعي « الحساسية في التفاعل مع الناس » مما يلقي بعض الشكوك حول استعمال هذا الجزء مع الذكور العراقيين وفقرتين في استبيان الكآبة لربما كانت ذات علاقة بوبائية هذين العرضين وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد • اما لدى الاناث فقد كانت الفقرتان (٥ و٨) في التحويل الجسمي والفقرة (١٣) في التفاعل مع الناس والفقرة (٤١) في الكآبة والفقرة (٣) في القلق •

جدول (١)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور والاناث على كل فقرة من فقرات الجسمية

تسلسل الفقرة	الفقرة	اناث	ذكور
١	التعرق	٤ر٩٤**	٨ر٥٣**
٢	صعوبة في التنفس	٨و٥٨**	٥ر٨٣**
٥	قلة الطاقة	٨ر٦	٨ر٧*
٦	الآلام في القلب والصدر	٠ر٤٣**	٢ر٢٢**
٨	الشعور بالحر والبرد	٠ر٢٣**	٨ر٢٧**

١٠	الشعور بغصة في الحلق	٨ر١٣**	٩ر١٠٢**
١٢	الشعور بالخدر	٩ر٨*	٨ر٨*
١٦	الثقل بالأيدي والأرجل	٥ر١٤**	٧ر٤٨**
١٧	الاغماء والدوار	٥و٤١**	٧ر٦٦**
٣٥	الصداع	١ر٢٣**	٥ر١٣**
٣٩	ألم في أسفل الظهر	٤ر٥٢**	٢ر٣٤**
٤٥	ألم في العضلات	ــر١٤٩**	٦ر٩٥**
٤٧	الضعف العام	٣ر٧٣**	٢ر٥٠**
٤٩	القيء	٧ر٣٦**	٢ر٥٦**

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠٥ر٠

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠١ر٠

جدول (٢)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور

والاناث على كل فقرة من فقرات الحساسية

تسلسل الفقرة	الفقرة	اناث	ذكور
١٣	الحساسية نحو نقد الآخرين	٦ر٤**	٠٠ر٤
٢٠	سرعة جرح الاحساسات	١٥٣*	٦ر٥
١٩	الانزعاج بسهولة	٣ر١٥٠**	٥ر٣
٢٦	الانفجار الانفعالي	٦ر٢٩**	٢ر٤
٤٢	عدم فهم الآخرين	٧ر١٩**	٤ر٢١**
٤٣	الاحساس بعدم محبة الآخرين	١ر٢٠**	٦ر٤٣**

٤٤	الشعور بالدونية	٢ر١٩*	٧ر١٦١***

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٥٠ر٠)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠١ر٠)

جدول (٣)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور والاناث على كل فقرة من فقرات القسرية

تسلسل الفقرة	الفقـرة	انـاث	ذكـور
٧	صعوبة التذكر	٩ر٢٢**	ـر١١**
١٥	ضرورة التأني	١ر١٠٢**	٤ر٥٤**
٢٥	صعوبة اتخاذ القرارات	٢ر١٢**	٦ر١١**
٣٢	صعوبة التركيز	١ر٧*	١ر٧*
٣٣	الفكر يصبح فراغا	ـر٣٣**	٤ر٤٦**
٣٦	القلق حول الاهمال	٨ر٤٢**	٣ر٧*
٤٦	ضرورة التأكد	٥ر٥٩*	٢ر٨*

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٥٠ر٠)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠١ر٠)

جدول (٤)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور والاناث على كل فقرة من فقرات الكآبة

تسلسل الفقرة	الفقرة	اناث	ذكور
٩	لوم الذات	٦ر٩٦**	٤ر٢٠**
١٨	البكاء بسهولة	٣ر٩٩**	٤ر٤٩**
٢٢	فقدان الرغبة الجنسية	٦ر٢٧**	٩ر٢٠**
٢٤	قلة الشهية	٩ر٢٦**	٧ر٢٦**
٣٠	صعوبة النوم	٣ر٣٠**	٧ر١١**
٢٧	الشعور باليأس	٨ر٢٦**	٨ر٤٠**
٢٨	الحزن	٢ر١١٩**	٧ر٨**
٢٩	الشعور بالوحدة	ـر٤٢**	٩ر٦
٣٤	التفكير بالانتحار	٢ر٤١**	٣ر٧٢**
٣٨	الشعور بالوقوع في مصيدة	٩ر٧١**	٨ر٦٢**
٤٠	الهموم	٩ر١٠٤**	٧ر٦
٤١	فقدان الاهتمام	٨ر٣	٥ر١٣*

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠٥ر٠)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠١ر٠)

جـدول (٥)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور والاناث

على كل فقرة من فقرات القلق

تسلسل الفقرة	الفقـرة	انـاث	ذكـور
٣	الخوف فجأة	ـر٣١	٩ر٣١**
١١	الرهبـة	ـر٢٧**	١ر٢١**
١٤	تجنب الاماكن	٨ر٢٠**	٥ر٢٩**
٢٣	العصبية	٧ر١٦**	٥ر١٣**
٣١	خفقان القلب	٣ر٢٥**	٢ر٣٠**
٣٧	الارتجاف الداخلي	٤ر٧٢**	١ر١٠٥**
٤٨	التوتر	٦ر٦٥**	٣ر١١**

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠٥ر٠)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠١ر٠)

كان التوزيع فيها لا يرقي لمستوى الدلالة الاحصائية على مستوى البينة ٥٪ . ولربما كان لذلك علاقة بوبائية تلك الاعراض .

وهكذا يتبين من الجداول (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) أن توزيع الاستجابات توزيع يميل نحو الصحة لا المرض وبدلالة احصائية مما يؤكـد الصدق المنطقي لهذه القائمة .

صدق البناء : تشترك الامراض الخمسة التي هي مجال بحثنا هنا في أنها أمراض عصابية ، ولكنها في الوقت نفسه تشكل فروعا من العصاب مختلفة عن بعضها نوعا ما . ولغرض اكتشاف صدق البنـاء احتسبت

معـــاملات الترابط بين القـــوائم الفرعيـــة الخمسة (راجع جـدول ٦ و٧و٨) لقد تراوحت معاملات الارتباط بين (٤٦و٠) و (٧٢ر٠) للعينة باكملها وبين (٤٣ر٠) و (٧٤ر٠) للذكور و (٤٧ر٠) و (٦٧ر٠) للاناث ٠ وتدل هذه الارقام على صدق القائمة استنادا للمنطق أعلاه ٠ فلو كانت القوائم تقيس الظاهرة نفسها لكانت معاملات الارتباط عالية جدا ، ولو كانت معاملات الارتباط واطئة جدا لكانت القوائم تقيس ظواهر مختلفة ٠

جـدول (٦)

مصفوفة معاملات الترابط بين أجزاء القائمة الخمسة للذكور والاناث سوية

	الحساسية	القسرية	الكآبة	القلق
الجسمية	٥٢ر٠	٤٦ر٠	٥٤ر٠	٦٨ر٠
الحساسية		٥٤ر٠	٦١ر٠	٦٢ر٠
القسرية			٦٦ر٠	٦٠ر٠
الكآبة				٧٢ر٠

جـدول (٧)

مصفوفة الترابط بين أجزاء القائمة الخمسة للذكور فقط

	الحساسية	القسرية	الكآبة	القلق
الجسمية	٥٣ر٠	٤٣ر٠	٥٦ر٠	٧٢ر٠
الحساسية		٥٧ر٠	٦٣ر٠	٦٨ر٠
القسرية			٦٠ر٠	٥٨ر٠
الكآبة				٧٤ر٠

جـدول (٨)

مصفوفة الترابط بين أجزاء القائمة الخمسة للاناث فقط

	الحساسية	القسرية	الكآبة	القلق
الجسمية	٥٠ر٠	٤٧ر٠	٥١ر٠	٦٤ر٠
الحساسية		٤٨ر٠	٥٧ر٠	٥٣ر٠
القسرية			٦٧ر٠	٥٨ر٠
الكآبة				٦٧ر٠

ولكن بما أن القوائم الفرعية تقيس جوانب مختلفة من العصاب فقد ظهرت معاملات الارتباط وسيطة ٠ راجع الجدول (٦ ، ٧ ، ٨) ٠

الثبات : لم تستخرج معاملات الثبات للقائمة ، اذ لا يمكن استخراج الثبات بطريقة التجزئة النصفية لقصر القائمة لكل من القوائم الفرعية ٠ ولا يمكن استخراج معامل الثبات عن طريق اعادة تطبيق الاختبار ، لان تعليمات القائمة تطلب من المستجيب بيان ما اذا كان يعاني من هـذه الاعراض خلال الاسبوع الماضي ، ويعني ذلك أن هذه الاعراض متحولة ، ولا يستحسن اعادة اعطاء القائمة خلال مدة تقـل عن اسبوعين لعوامل الذاكرة ، المؤثرة في الاستجابة ٠

ويرى الباحثان أن الطريق الاسلم لاستخراج الثبات تطبيق الاختبار على عينة من المصابين الذين يراجعون المراكز العلاجية ، ولم يتوفر ذلك للباحثين أثنـاء اجراء هـذه الدراسة ٠ ولكننا نقترح ذلك اذا طبقت في المستشفيات العراقية ٠

النتائج ومناقشتها :

يمكن معالجة البيانات التي حصلنا عليها بطريقين الاولى تتلخص

باستخراج نسب الذين يتبين لنا اصابتهم بالكآبة أو القلق أو الجسمية أو غير ذلك من الامراض النفسية التي تشخصها القائمة · ويؤدي مثل هذا الاسلوب في معالجة البيانات الى التوصل الى وبائية تلك الامراض ، دون الالتفات الى مدى تفشي الاعراض المختلفة · ولكن مثل هذا الهدف مدروس جزئيا أو كليا في دراسات سابقة · فقد استخرج الهيتي وحسين ١٩٨٧ نسب الذين لا يعانون من الامراض النفسية في بحثهما الموسع · كما قام بدراسة مدى تفشي الاصابة بالامراض النفسية المغازجي وآخرون ١٩٨٦ لذلك فان التحليل بهذا الاسلوب لن يضيف معطيات جديدة ·

لقد فضل الباحثان الحاليان اللجوء الى تحليل نسب معاناة الافراد العراقيين « الاعتياديين » من الاعراض المختلفة التي تنسب للامراض النفسية · ومثل هذا التحليل مفيد للغاية برأي الباحثين الحاليين · اد تدل هذه المعطيات الطبيب المعالج على مدى معاناة الافراد العراقيين الاعتياديين (غير المرضى) من هذه الاعراض · فيستطيع استنادا لذلك

جدول (٩)

يبين المتوسط والانحراف المعياري والوسيط والمنوال لدرجات العينة في كل من أجزاء القائمة

	المتوسط	الانحراف المعياري	الوسيط	المنوال
الجسمية	١٦ر٨	٨ر٧	١٦	١٢
الحساسية في التفاعل مع الآخرين	١١ر٤	٥ر٤	١١	١٠
القسرية	١٠ر٢	٤ر٧	١٠	١١

الكآبة	١٧ر٦	٧ر٦	١٨	١٨
القلق	١٠ر٤	٧ر٥	١٠	٩

تقدير مدى معاناة المريض الفرد من هذه الاعراض لدى مقارنة الفـــرد بالمجموع الذي نشأ في نفس الثقافة ٠

وبما أن النتائج الاوليـة دلتنـا على أن الافراد الذين ينتمون الى الجنسين ـ الذكـور والاناث ـ يشكلان مجتمعين مختلفين فقـد فضلنا معالجتهما كلا على حدة ثم المقارنة بينهما ٠ واذا عدنا للقائمة وجدنا أن القائمة تحتوي على اربع احتمالات هي : أثرت بشكل شديد ، أثرت فعلا ، اثرت قليلا ، ولم تؤثر اطلاقا ٠ لقد اعتبرنا الحالة المرضية للعرض هي الاستجابة الاولى (اثرت بشكل شديد) ٠ وبالرغم من ان نقطة القطع هذه اعتباطية نوعا ما الا أن مبرراتها واضحة للعيان وان شاء القاريء الكريم تخفيض نقطـــة القطع الى اثرت فعـــلا ، فمـــا عليـــه الان أن يجمع النسبتين ويعـــالج البيـــانات على الشـــاكلة نفســـها ٠ لذلك ففي معالجتنا للنتائج اعتبرنا نسبة الذين اشاروا بانهم عانوا من العـرض بشكل شديد هي النسبة المرضية وما تبقى من الاستجابات اعتيادية ٠

نتائج استجابات الذكور :

التحول الجسمي : تدل النتائج ان اكثر من ٧٠٪ من الذكور في العينة لا يشكون من غالبية أعراض التحويل الجسمي كالتعرق وصعوبة التنفس والشعور بغصة في الحلق والثقل بالايدي والارجل والاغماء والدوار والالم في العضلات والشعور بالغثيان والحر والبرد ٠ الا ان نسبة منهم تعاني بشكل شديد من بعض هذه الاعراض وهي الآلام في القلب والصدر والخدر والصداع وألم في أسفل الظهر والضعف العام وقلة الطاقة (٩ر٢٩٪

و٢١٪ و١ر٢٠٪ و١ر١٩٪ و١ر١٩٪ و٢ر١٧٪ على التوالي) (جدول ١٠) ٠

الحساسية في التعامل مع الناس : يبدو من النتائج ان اكثر من ٨٠٪ من عينة الذكور لا يعانون من الشعور بالدونية والاحساس بعدم محبة الآخرين وسوء فهم الاخرين والانفجار الانفعالي ٠ الا ان حوالي ٣٠٪ منهم يعاني من ثلاثة أعراض من أعراض الحساسية في التعامل مع الناس بشكل شديد وهي الانزعاج بسهولة وسرعة جرح الاحساسات والحساسية نحو نقد الآخرين (جدول ١١) ٠

القسرية : جاءت نتائج الدراسة لتدل على ان نسبة الذكور الذين لا يعانون من معظم اعراض القسرية عالية فقد بلغت حوالي ٨٥٪ في الاعراض المتعلقة بصعوبة التذكر وصعوبة اتخاذ القرارات وحوالي ٧٠٪ في الاهمال وقلة التركيز وضرورة التأكد من الاشياء ٠ هذا من جهة اما من الجهة الاخرى نجد ان نسبة كبيرة من ذكور العينة ٦ر٤٣٪ تعاني من ضرورة التأني بشكل شديد ٠ (جدول ١٢) ٠

الكآبة : افاد ما بين ٨٠٪ والى ٨٥٪ من افراد عينة الذكور بأنهم لا يعانون من نصف اعراض الكآبة (قلة الشهية والشعور بالوقوع في مصيدة وفقدان الرغبة الجنسية والبكاء بسهولة والتفكير بالانتحار وفقدان الاهتمام) ٠ بينما تتراوح نسب الذين استجابوا للاعراض الاخرى على تفشي هذه الاعراض بشكل شديد بين حوالي ٢٥٪ والى ٣٠٪ وهي لوم الذات والحزن والشعور بالوحدة والهموم واليأس وصعوبة النوم ٠ (جدول ١٣) ٠

القلق : لا يبدو من نتائج هذا البحث ان الذكور يعانون كثيرا من اعراض القلق فقد افاد حوالي ٧٠٪ من قلة معاناتهم منها (مثل الارتجاف)٠ واشار حوالي ٢٠٪ من افراد العينة الى معاناتهم بشكل شديد من تجنب الاماكن والاشياء والتوتر والعصبية ٠ (جدول ١٤) ٠

نتائج استجابات الاناث :

التحويل الجسمي : تدل البيانات ان أكثر من ٨٠٪ من اناث العينة لا يعانين من معظم اعراض التحويل الجسمي كالضعف العام والالم في العضلات والاغماء والثقل بالايدي والارجل والتعرق وصعوبة التنفس والآلام في اسفل الظهر والقيء والغصة في الحلق والحر والبرد وصعوبة في التنفس . ويعاني بشكل شديد حوالي ٣٠٪ من افراد عينة الاناث من الصداع وقلة الطاقة والآلام في الصدر . (جدول ١٥) .

الحساسية في التعامل مع الآخرين : لقد جاءت نتائج البحث مؤيدة لما هو متوقع من تفشي اعراض الحساسية في التعامل مع الاخرين بين الاناث نظرا لعوامل التنشئة الاجتماعية للاناث والقيود المفروضة على تصرفاتهن وانعكاس النقد على الذات . فقد افاد اكثر من نصف افراد العينة انهن يعانين بشكل شديد من جرح الاحساسات والانزعاج وحوالي ٤٠٪ من الانفجار الانفعالي و٣٠٪ من التحسس لنقد الاخرين . وافاد معظم أفراد العينة (٩٠٪) من عدم معاناتهن من الشعور بالدونية . (جدول ١٦) .

القسرية : لقد تبين ان اعراض القسرية متفشية تفشيا واسعا بين الاناث من افراد العينة . اذ افاد ما يتراوح بين ٢٥٪ و٤٦٫٣٪ من انهن يعانين بشكل شديد من معظم اعراضها . ان وبائية الاعراض هذه تستدعي وقفة من الطبيب المشخص . فهل تعتبر المرأة التي تعاني من هذه الاعراض مصابة بالقسرية ؟ ومتى ؟ . بكلمة اخرى يبدو للباحثين الحاليين ان نقطة القطع في القسرية ينبغي ان تزاح بحيث يقع الكثير ممن يعانين من اعراض القسرية ضمن الطبيعات اذ تعتبر المعاناة بين النساء العراقيات من اعراض القسرية شيئا طبيعيا ، اذا أخذنا بالمعيار الاحصائي . (جدول ١٧) .

الكآبة :ـ تعاني نسبة عالية من المستجيبات للقائمة من اعراض الكآبة وبشكل شديد . اذ تعاني نصف الطالبات المستجيبات من الهموم والحزن والبكاء بسهولة ولوم الذات وتعاني ٤١ر٣٪ منهن من الشعور بالوحدة . اضافة لذلك فقد افاد ثلث افراد العينة من الشعور باليأس وصعوبة النوم وحوالي الربع من بقية الاعراض . (جدول ١٨) .

القلق :ـ تدل النتائج ان القلق ليس متفشيا تفشيا كبيرا بين الاناث . اذ افاد من ٧٠٪ والى ٨٥٪ منهن أنهن لا يعانين من اعراض القلق. (جدول ١٩) .

مقارنة بين استجابات الذكور والاناث على القائمة :

لدى مقارنة استجابات الذكور والاناث على القائمة يتبين لنا ان الفروق بينهما دالة احصائيا على مستوى البينة ٠٥ر٠ بحيث يمكن اعتبارهما مجتمعين متباينين كما سبق ان اسلفنا (راجع جدول ٢٠) .

ويتضح من الجدول أن الاناث على العموم يشكين أكثر من الذكور من الغالبية العظمى من الفقرات . وتتساوى الاستجابات حول بعض الفقرات تقريبا .

ففي التحويل الجسمي تشكي الاناث من قلة الطاقة والصداع أكثر مما يشكي الذكور ويتساوى الذكور والاناث تقريبا في بقية الفقرات.

اما بالنسبة للحساسية في التعامل مع الآخرين فتشكي الاناث من جرح الاحساسات والانزعاج والانفجار الانفعالي أكثر مما يشكي الذكور . وتقترب نتائج الاناث والذكور في التحسس لنقد الآخرين وعدم الشعور بالدونية .

وتتفشى أعراض القسرية بين الاناث الى درجة أكبر مما هي عليه بين الذكور . اذ تعاني نسبة كبيرة من افراد عينة الاناث من معظم اعراض

القسرية مقارنة بالذكور الذين لا يتشابهون مع الاناث في هذه الاعراض ما عدا في عرض واحد منها هو ضرورة التأني ٠

اما ما يتعلق بأعراض الكآبة فهي أكثر انتشارا بين الاناث من الذكور اذ أفادت نسب أعلى منهن من معاناتهن من معظم اعراضها ٠

وفي القلق يتساوى الاناث والذكور في عدم تفشي اعراضها ٠ ان هـذه الفـروق التي هـي في صـالح الذكـور تتسـق مـع نتائج دراسة الهيتي وحسين (الهيتي وحسين ، بت) اذ حصل الاناث في هذه الدراسة على درجة أعلى من الذكور على استبيان الصحة النفسية ٠ اضافة لذلك تؤيد بعض الدراسات الاجنبية نتائج الدراسة الحالية ودراسة الهيتي وحسين من حيث تفوق الاناث على الذكور في ظهور الاضطرابات العصابية كدراسـة تايلر وشيف Taylor and Chave, 1964 ودراسة جانس وبليز Janis and Plays, p. 1967 (انظر الهيتي وحسين ، بت ص١٧)

الخلاصة :

تدل نتائج دراستنا على العموم ان نسب الذين يعانون من المشكلات النفسية العصابية ليست كبيرة مقارنة بمجتمعات أخرى يقول سيل (Seil, 1974, p. 589) ان عدد الطلاب والطالبات في الجامعات الامريكية يقدر بحوالي ٨ ملايين طالب وطالبة ، يعاني ٤٤٪ منهم من مشكلات عصابية ، ويعاني ٣١٪ من مشكلات موقفية (Situational) بينماتبلغ نسبة المصابين بالذهان حوالي ٨٪ ويهدد سنويا أكثر من (٩٠٠ر٠٠٠) طالب وطالبة بالانتحار وينجح في هذه المحاولة أكثر من الف طالب وطالبة سنويا ٠

وبالرغم من ان بحثنا لم يتطرق لبعض الامراض التي تطرقت لها دراسة سيل الا أن النسب تدل على ان العراقيين أفضل من اقرانهم الامريكيين في هذه الجوانب ٠ ولربما كان لدور الاسرة المتين في مجتمعنا اثر في مثل هذه الفروق ٠

واذا اعتبرنا عينتنا تمثل العراقيين عموما (ويسند مثل هذا الرأي عدد من الباحثين مثل لين Lynn, 1971, p. 57) فأن نسب الذين يعانون في المجتمعات الغربية من مشكلات نفسية تتراوح بين ٢٣٪ و٤ر١٪ Srole and Langer 1962 Trussal and Elison ١٩٥٩ وتقع نسب أخرى مثل Lemkau, Tiet; Copper, 1941 ٦٪ Taylor and Chave 1964, Pasamanicet. al. 1959, ٩٪ ٠ (انظر الهيتي وحسين بت ، ص ٣ ـ ٤) ٠

ان هذه الفروق في النسب في الاقطار الاجنبية يمكن تعليلها أولا بالفروق في الفترة التاريخية التي اجريت فيها الدراسة ـ ومن المعروف

ان تفشي الامراض النفسية يتزامن مع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ـ وثانيا الى ان نقاط القطع في التمييز بين السوي والمريض والتي قد تختلف من دراسة لأخرى • ان هذه الامور تدعونا وبقية الباحثين الى وضع الاسس الكفيلة بالاتفاق على نقاط القطع في التمييز بين السوي والمريض لكي تكون الدراسات في المستقبل قابلة للمقارنة وتسمح باجراء الدراسات التاريخية لوبائية الأمراض المختلفة •

جدول (١٠)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث لكل عرض من أعراض التحويل الجسمي للذكور

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
التعرق	١	١٥ر٢٪	٨ر٨ ٪	٣٦ر٣٪	٣٧ر٧٪
صعوبة التنفس	٢	١٢ر٣	١٠ر٣	٢٣ر٥	ـر٥٠
قلة الطاقة	٥	١٧ر٢	٢٢ر١	٢٩ر٤	٢٨ر٤
الآلام في الصدر	٦	٢٩ر٩	١٣ر٧	١٩ر١	٣٣ر٨
الحر والبرد	٨	١٤ر٧	١٩ر٦	٢٤ر٥	٢٩ر٢
الشعور بغصة في الحلق	١٠	٩ر٨	١١ر٣	٢٠ر٦	٥٦ر٩
الخـدر	١٢	ـر٢١	ـر١٨	٢٩ر٤	٢٨ر٩
الثقل بالايدي والارجل	١٦	١٣ر٢	١٥ر٢	ـر٢٧	٤٣ر٦
الاغماء	١٧	١٢ر٧	٩ر٨	ـر٢٧	ـر٤٨
الصداع	٣٥	٢٠ر١	١٧ر٦	٣٤ر٣	٢٥ر٥

الآلام في اسفل الظهر	٣٩	١ر١٩	٣ر١٢	ـر٢٦	٧ر٣٩
الآلام في العضلات	٤٥	٨ر١١	٣ر١٠	٥ر٢٢	٥ر٥٢
الضعف العام	٤٧	١ر١٩	٢ر١٣	ـر٢٣	٦ر٤٢
القيء	٤٩	٢ر١٤	٨ر١١	٥ر٢٦	٦ر٤٤

جـدول (١١)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من اعراض الحساسية في التفاعل مع الآخرين للذكور

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
التحسس لنقد الآخرين	١٣	٩ر٢٨٪	٥ر٢٧٪	١ر٢١٪	٥ر٢١٪
جرح الاحساس	٢٠	٤ر٢٩	ـر٢٧	١ر١٩	٥ر٢١
الانزعاج بسهولة	١٩	٤ر٣٠	٥ر٢٢	ـر٢٤	ـر٢٢
الانفجار الانفعالي	٢٦	١ر٢١	٥ر٢٢	٩ر٢٧	٩ر٢٦
الاحساس بعدم فهم الآخرين	٤٢	٧ر١٤	٦ر١٧	ـر٢٥	٧ر٤٠
الاحساس بعدم محبة الاخرين	٤٣	٧ر١٣	٧ر١٢	٩ر٣١	٢ر٣٩
الشعور بالدونية	٤٤	٨ر١١	٨ر٧	٢ر١٥	٨ر٦١

جـدول (١٢)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث لكل عرض من اعراض القسرية للذكور

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
صعوبة التذكر	٧	٤ر١٥٪	ـر١٧٪	ـر٢٧٪	٥ر٢٢٪
ضرورة التأني	١٥	٦ر٤٣	ـر٢٨	٢ر١٣	٣ر١٢
صعوبة اتخاذ القرارات	٢٥	٤ر١٥	ـر٢٠	٥ر٢٤	٣ر٣٤
صعوبة التركيز	٣٢	ـر٢٣	١ر٢١	٣ر٣٣	ـر٢٢
الفكر يصبح فراغا	٣٣	٦ر١٨	٧ر١٤	١ر٢١	٦ر٤٤
القلق حول الاهمال	٣٦	٤ر٢٨	١ر٢١	ـر٢٩	١ر١٨
ضرورة التأكد من الاشياء	٤٦	ـر٣٠	ـر٢٧	٥ر٢٤	٧ر١٦

جـدول (١٣)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث لكل عرض من أعراض الكآبة للذكور

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
لوم الذات	٩	٨ر٣٣٪	ـر٢٣٪	٩ر٢٨٪	٧ر١٢٪
البكاء بسهولة	١٨	٦ر١٧	٧ر١٥	٦ر١٩	٦ر٤٥
فقدان الرغبة الجنسية	٢٢	١ر١٩	١ر١٦	٩ر٢٥	٨ر٣٦

قلة الشهية	٢٤	١٥ر٢	٢١ر١	٢٢رــ	٣٩ر٢
صعوبة النوم	٣٠	٢٥رــ	١٥ر٧	٢٤رــ	٣٣ر٨
الشعور باليأس	٢٧	٢٧رــ	٩ر٨	٢٢ر١	٤٠ر٧
الحزن	٢٨	٣٠ر٩	٢٥ر٥	٢٥ر٥	١٦ر٧
الشعور بالوحدة	٢٩	٣٠ر٤	٢١ر٦	١٩ر٦	٢٧ر٥
التفكير بالانتحار	٣٤	١٨ر٦	١٥ر٧	١٤ر٢	٥٠رــ
الشعور بالوقوع في مصيدة	٣٨	١٣ر٧	١٥ر٧	١٩ر١	٤٧ر٥
الهموم	٤٠	٢٩ر٤	٢٥رــ	٢٦رــ	١٧ر١
فقدان الاهتمام	٤١	١٦ر٧	٢٠رــ	٢٦ر٥	٣٣ر٣

جدول (١٤)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث لكل عرض من أعراض القلق للذكور

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
الخوف فجأة	٣	١٨ر١٪	١٥ر١٪	٢٣رــ٪	٤١ر٢٪
الرهبة	١١	١٥ر١	٢٢رــ	٢٣ر٥	٨٦ر٨
تجنب الاماكن والاشياء	١٤	٢٠رــ	١٦ر١	٢٢رــ	٤٠ر٦
العصبية	٢٣	٢٣ر٥	١٧ر٦	٢٣رــ	٣٥ر٣
خفقان القلب	٣١	١٨ر٦	١٦ر١	٢٣ر٥	٤٠ر٧
الارتجاف الداخلي	٣٧	١٤ر٧	٨ر٣	٢٠ر١	٥٤ر٤
التوتر	٤٨	٢٥ر٥	١٤ر٧	٢٩ر٤	٢٨ر٤

جدول (١٦)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث
لكل عرض من اعراض الحساسية في التفاعل مع الآخرين للاناث

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
التحسس لنقد الاخرين	١٣	٢٩ر-٪	٢١ر٢٪	٢٧ر٤٪	٢٢ر-٪
جرح الاحساس	٢٠	٥٧ر١	٢٠ر١	١٢ر٧	٨ر٩
الانزعاج بسهولة	١٩	٥٤ر٨	٢٦ر٣	١٤ر٧	٣ر٩
الانفجار الانفعالي	٢٦	٣٩ر-	١٢ر٤	١٨ر٩	٢٨ر٢
الاحساس بعدم فهم الاخرين	٤٢	٢٣ر٢	١٥ر٨	٢٥ر٥	٣٥ر١
الاحساس بعدم محبة الآخرين	٤٣	٢٢ر٤	١٤ر٧	٣١ر٣	٣١ر٣
الشعور بالدونية	٤٤	٩ر٦	١٢ر٤	١٥ر٤	٦١ر٨

جدول (١٧)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث
لكل عرض من اعراض القسرية للاناث

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
صعوبة التذكر	٧	١٩ر٧٪	١٨ر٥	٣٧ر١٪	٢٢ر٨٪
ضرورة التأني	١٥	٤٦ر٣	٣٠ر٩	١٤ر٧	٥ر٨

صعوبة أتخاذ القرارات	٢٥	٣٢ر٨	٢٥ر١	٢٣ر٢	١٧ر٨
صعوبة التركيز	٣٢	٢٧ر ــ	٢٦ر٣	٢٨ر٦	١٧ر٨
الفكر يصبح فراغا	٣٣	٢٥ر٩	١٢ر ــ	٢٤ر٣	٣٧ر١
القلق حول الاهمال	٣٦	٤١ر٧	٢٧ر٨	٢٠ر٨	٨ر٩
ضرورة التأكد من الاشياء	٤٦	٤٤ر ــ	٢٥ر١	١٨ر١	١٢ر٤

جـدول (١٨)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من أعراض الكآبة للاناث

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
لوم الذات	٩	٤٨ر٣٪	٢٥ر٩٪	١٩ر٣٪	٦ر١ ٪
البكاء بسهولة	١٨	٥٠ر٩	١٣ر٩	٢١ر٢	١٣ر١
فقدان الرغبة الجنسية	٢٢	١٢ر ــ	٨ر٢	٢٤ر٣	٥٢ر١
قلة الشهية	٢٤	٢١ر٢	١٥ر٤	٣٧ر٥	٢٥ر٥
صعوبة النوم	٣٠	٣١ر٧	١٦ر٢	٢١ر٦	٢٨ر٢
الشعور باليأس	٢٧	٣٥ر٥	١٣ر٥	٢٢ر ــ	٢٨ر٩
الحزن	٢٨	٥٢ر٥	٢٠ر٨	٢٠ر١	٦ر٢
الشعور بالوحدة	٢٩	٤١ر٣	١٦ر٦	١٩ر٣	٢١ر٢
التفكير بالانتحار	٣٤	٢٣ر٢	١٣ر٥	٢١ر٦	٤٠ر٩
الشعور بالوقوع في مصيدة	٣٨	٢١ر٢	١١ر٢	٢٠ر٥	٤٦ر٧

الهموم	٤٠	٥٠ر٢	٢٠رـ	٢٠ر٥	٧ر٣
فقدان الاهتمام	٤١	٢٤رـ	٢٠ر٥	٢٥ر٥	٢٩رـ

جـدول (١٩)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من اعراض القلق للاناث

الاعراض	تسلسل العرض في القائمة	اثرت بشكل شديد	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر اطلاقا
الخوف فجأة	٣	٣٠ر٩٪	٢٤ر٧٪	٢٢ر٤٪	١٩ر٧٪
الرهبة	١١	٣٦ر٣	٢٥ر١	٢٤ر٧	١٣ر٥
تجنب الاماكن والاشياء	١٤	٣٧رـ	٢٢رـ	٢١ر٦	١٨ر٩
العصبية	٢٣	٣٢رـ	١٤ر٧	٢٥ر٥	٢٧رـ
خفقان القلب	٣١	١٦ر٦	١٨ر٩	٢٧رـ	٣٦ر٦
الارتجاف الداخلي	٣٧	١٤ر٢	١١ر٦	٢٩ر٣	٤٢ر٥
التوتر	٤٨	٣٣ر٢	٢٣ر٦	٢٥ر٩	١٦ر٦

جـدول (٢٠)

الفروق بين الذكور والاناث في القوائم الفرعية

القائمة	الدرجة العليا	ذكور		اناث		النسبة التائية
		المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	
الجسمية	٤٢***	١٥ر٨٨	٩ر٢٣	١٧ر٤٥	١٤ر٨	١٩ر٣ *
الحساسية في التفاعل مع الاخرين	٢١	١٠ر٤٦	٤ر٧٨	١٢ر١٢	١٣ر٤	١٣ر٤ **

القسرية	٢١	٩ر١٠	٤ر٦٠	١١ر٠٨	٤ر١٥	٢ ر١٣**
الكآبة	٣٦	١٥ر٦١	٧ر٤٤	١٩ر٠٦	٧ر٣٥	٥ر٣١ **
القلق	٢١	٨ر٨٧	٥ر٩٣	١١ر٦٠	٥ر٣٢	٥ر٤٦ **

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠١ر٠

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠٠١ر٠

*** الدرجة العليـا للقائمة الفرعيـة = (عدد الفقرات × ٣) أي ان المستجيب يحصل على الدرجة العليا اذا أجاب ان ذلك العرض اثر عليه بشكل شديد في كل الفقرات ٠



المصـــــادر References

خلف ، طاهرة عيسى ، « بناء اختبار جمعي للذكاء للمرحلة المتوسطة في العراق » ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

الدباغ ، فخري وآخرون ، « اختبار المصفوفات المتتابعة لرافن ـ المقياس العراقي » ، الموصل ، دار الكتب بجامعة الموصل ، بلا تاريخ .

سالم ، غسان حسين ، « الخصائص النفسية للمرأة ومدى اسهامهـا في تحديد اتجاهها نحو الانجاب » ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٧ .

عبدالفتاح ، قيس ، « تقنين اختبار المصفوفات المتتابعة الملون لتلاميـذ الصفوف الرابعـة والخامسة والسادسة الابتدائية ببغـداد » ، منشورات مركز البحوث التربوية والنفسية ـ رونيو ـ ١٩٧٣ .

عبدالفتاح ، قيس والسلمان ، عبدالعال محمد ، « محاولة لتقنين اختبار المصفوفات المتتابعة المستوى المتقدم لطلبة الصفوف الاولى بالكليات العلمية ببغداد » ، مقبول للنشر في مجلة العلوم التربوية والنفسية ، ١٩٨٨ .

العبيدي ، شاملة شاكر ، « تقنين مقياس وكسلر لقياس ذكاء أطفال ما قبل المدرسة والمرحلة الاولية Wppsi ـ اختبارات الاداء لطفـل الروضة العراقي » رسالة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٦ .

العبيدي ، سعد خضير ، « دراسة تجريبية لبعض متغيرات آتخاذ القرار » ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .

المغازجي ، حيدر اسماعيل والكبيسي ، طارق « تطبيق مقياس كراون ـ كرسب المعرب على وحدات مختلفـة من القوات المسلحة » ، طبـع رونيو ، ١٩٨٦ .

الهيتي ، خلف نصار وآخرون ، « الحالة النفسية لطلبة الجامعة المستنصرية في ضوء استبيان الصحة العامة » ، المؤتمر العلمي السنوي لكلية

الآداب ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ص ٤ ـ ٦ ، ١٩٨٦ ٠
الهيتي ، خلف نصار وحسين ، عامر عباس ، « الحالة النفسية لطلبة الجامعات العراقية » ، قيد النشر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الكويت ٠

Barton, Russell, "Ashort Practice of Clinical Psychiatry", Bristol, John Wright, 1975.

Bootzin, R.R. and Acogella, J.R. "Abnormal Psychology", N.Y., Random House, 1984.

Coleman, J.C. "Abnormal Psychology and Modern Life", Glenview Illinois, Scott, Forman and Company, 1976.

Derogatis, L.R. and Spencer, p. M., "The Brief Symptom Inventory (BSI), administration, scoring and procedures manual I., Baltimore, Jobn Hopkins University School of Medecine (Privately Printed.)

Gottschalk and Uliana, Further Studies on the Relationship of Nonverbal to Verbal Behavior, in L.A. Gottschalk (ed.), "Verbal Behavior", New York, S.P. Medical and Scientific Books, 1979. Lynn, R., "Personality and National Character", Creat Britain, A. Wheaton and Co., 1971.

Manual of the International Statistical Classification of Diseases, Injuries and Causes of Death, Volume I., Geneva World Health Organization, 1977.

Marks, I, "Cure and Care of Neuroses", N.Y. John Wiley, 1981.

Nathan, Peter, Differential Diagnostic Symptoms and Signs, in Solomon. Philip and Patch, Vernon (eds) "Handbook of Psychiatry", Los altos Calif. Lange Medical Publications, 1974.

Sarason, I.G. "Abnormal Psychology, N.Y. Appleton, Century, Crofts, 1972.

Sartorius, N. "Cross - Cultural Research on Depression Psychopathology. Vol. 19, Sop. 2. 1986.

Seil, D.E., "College Psychiatry", in Solomon, P. and Patch, V. (eds) "Handbook of Psychiatry". Los Altos, Calif. Lauge Medical Publication., 1974.

Sim, Myre, "Guide to Psychiatry", London, Churchill Living Stone, 1974.

Sethi, B.B. "Epidemiology of Depression in India", Psychopathology. Vol. 19. Sep. 2. 1986.

محتويات العـدد

الموضـــوع	الصفحة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٩٧ لسنة ١٩٩٠